

لجنة الميكانيك
تقديم لكم ..

[المكتبة التخصصية]



Mech.MuslimEngineer.Net



[FB.com/Groups/Mid.Group](https://www.facebook.com/Groups/Mid.Group)



0789434018



MechFet

- * عنوان الكتاب : لثقافة الإسلامية لطلبة الجامعات
- * المؤلف: خالد إبراهيم الفتىاني وآخرون
- * الناشر : دار قنديل للنشر
- * الطبعة الأولى: 2016
- * رقم الإيداع دائرة المكتبة الوطنية (2015/3/3421)
- * حقوق الطبع محفوظة



2016م

الملكة الأردنية الهاشمية - عمان
 ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء (عمارة الحجري)
 تلفاكس: ٤٦٥٦١٢٨ +٩٦٢٦ ٠٦٧٧٤٠٨١٩
 ص.ب. : ٢٠٥٨٦ - عمان ١١١١٨ - الأردن
dar_kandeel@yahoo.com

• لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، أو احتزان ملصقه بطريقة
 الاسترجاع، أو نقله على أي وجه، أو بأي طريقة أكانت الكترونية أم ميكانيكية، أم
 بالتصوير، أم التسجيل، أم بخلاف ذلك، دون الحصول على إذن الناشر الخطي.
 وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل لللاحقة القانونية.

الثقافة الإسلامية

لطلبة الجامعات

إعداد

د. محمد علي خطاب
د. أحمد حسن ربابة

خالد إبراهيم الفتياوي
د. رائد علي الكردي

جامعة البلقاء التطبيقية

الطبعة الرابعة

2016م



المحتويات

الصفحة	الموضوع
9	المقدمة
11	الفصل الأول
13	تعريف بالثقافة عامة والثقافة الإسلامية خاصة المبحث الأول: مفهوم الثقافة لغة وأصطلاحاً وأبرز المفاهيم الشائعة للثقافة معناها العام
17	المبحث الثاني: مفهوم الثقافة الإسلامية ومواضيعها وأهدافها
23	المبحث الثالث: علاقة الثقافة الإسلامية بغيرها من المسميات والثرة المترتبة على ذلك
23	المطلب الأول: علاقة الثقافة بالدين
25	المطلب الثاني: علاقة الثقافة بالحضارنة
27	المطلب الثالث: علاقة الثقافة بالمدنية
28	المطلب الرابع: علاقة الثقافة بالعلم
30	المطلب الخامس: علاقة الثقافة بال التربية
32	المطلب السادس: علاقة الثقافة بالفكر الإسلامي
37	الفصل الثاني
39	مصادر الثقافة الإسلامية وروادها
39	المبحث الأول: مصادر الثقافة الإسلامية
58	المطلب الأول: القرآن الكريم
67	المطلب الثاني: السنة النبوية
67	المبحث الثاني: رواد الثقافة الإسلامية
67	المطلب الأول: الفكر والتراث الإسلامي

68	المطلب الثاني: الفقه الإسلامي ومذاهبه
78	المطلب الثالث: اللغة العربية
82	المطلب الرابع: التاريخ الإسلامي
85	الفصل الثالث
85	خصالص الثقافة الإسلامية
87	المبحث الأول: الربانية
94	المبحث الثاني: الموافقة للفطرة والعقل
95	المبحث الثالث: الشمول والكمال
97	المبحث الرابع: التوازن والاعتدال وعدم التطرف
100	المبحث الخامس: الثبات والتطور
103	المبحث السادس: الواقعية
108	المبحث السابع: الإيجابية
111	المبحث الثامن: الإنسانية والعالمية
115	الفصل الرابع
115	الإسلام والعلم
117	المبحث الأول: العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام
117	المطلب الأول: العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام
120	المطلب الثاني: الأسس الإسلامية للعلم
121	المطلب الثالث: أسباب الجفوة المفتعلة بين العلم والإيمان
126	المبحث الثاني: قضايا طيبة وثقافية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية
126	المطلب الأول: العقمة
131	المطلب الثاني: أطفال الأنابيب
133	المطلب الثالث: استئجار الأرحام
136	المطلب الرابع: المحافظة على البيئة في الإسلام

المطلب الخامس: آفة المخدرات وأثرها على المجتمع

141	الفصل الخامس
147	تحديات تواجه الثقافة الإسلامية
149	المبحث الأول: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية
155	المبحث الثاني: التتصير
161	المبحث الثالث: الاستشراق
167	المبحث الرابع: التغريب الثقافي
172	المبحث الخامس: العلمانية
175	المبحث السادس: العولمة
181	الفصل السادس
183	نظام الأخلاق في الإسلام
185	المبحث الأول: تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً
187	المبحث الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام
190	المبحث الثالث: هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟
193	المبحث الرابع: خصائص الأخلاق الإسلامية
198	المبحث الخامس: وسائل التربية الأخلاقية في الإسلام
211	الفصل السابع
	النظم الإسلامية
213	المبحث الأول: النظام العقدي
238	المبحث الثاني: النظام الاجتماعي
252	المبحث الثالث: النظام السياسي
259	المبحث الرابع: النظام الاقتصادي
266	المبحث الخامس: النظام القضائي

273	
285	الفصل الثامن
	الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والرد عليها
287	المبحث الأول: الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب والأصولية
293	المبحث الثاني: نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية
296	المبحث الثالث: تعدد الزوجات
298	المبحث الرابع: مكانة المرأة في الإسلام
303	المبحث الخامس: الطعن في الصحابة
307	المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وكرمنا به، وفضلنا بالعلم على كثير من عرق تقضيأً، وأمرنا بالاستزادة منه. يقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ رِزْقِنِي عَلَيْنَا﴾ (طه: ١١٤). إذ ثبت أنه لا شيء أشرف من العلم.

والصلة والسلام على نبينا ورسولنا محمد، وعلى آله وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم- ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فيسعدنا أن نقدم الطبعة الرابعة من كتاب (الثقافة الإسلامية لطلبة الجامعات) طلبة جامعة البلقاء التطبيقية خصوصاً، ولغيرهم من القراء والباحثين عموماً. وقد حرصنا في هذه الطبعة الجديدة والمطورة أن نقدم كل جديد للطالب والباحث في علم الثقافة الإسلامية.

منهجنا في الكتاب:

أولاً: تخریج الآيات القرآنية بارقامها وأسماء السور التي وردت فيها من القرآن الكريم، وبالرسم العثماني.

ثانياً: تخریج الأحاديث النبوية من مصادرها مباشرة وباللفظ كما ورد، وبيان مدى صحتها، مع التركيز على كتب الحديث الستة.

ثالثاً: الإشارة إلى بعض الأحاديث التي لم تثبت صحتها، تبيئاً عليها.

رابعاً: إسناد المادة العلمية إلى أصحابها، مع التحليل لبعضها، والتعليق عليها.

خامساً: مواكبة المستجدات المعاصرة -والتي تُعدُّ روح الثقافة الإسلامية- و خاصة في القضايا الطبية، مع ذكر القرارات الفقهية الخاصة بذلك، والصادرة عن مصادرها الموثوقة.

سادساً: شرح المفردات التي تحتاج إلى توضيح وبيان.

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير، وأن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

﴿رَبَّنَا تَقْبِلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: 127)

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: 286)

المؤلفون

عمان / الأردن

- 1431 هـ / رمضان / 20

آب / 2010

الفصل الأول

التعريف بالثقافة العامة والثقافة الإسلامية خاصة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الثقافة لغةً وأصطلاحاً وأبرز المفاهيم الشائعة للثقافة بمعناها العام

المبحث الثاني: مفهوم الثقافة الإسلامية وموضوعاتها وأهدافها كمقرر جامعي

المبحث الثالث: علاقة الثقافة الإسلامية بغيرها من المسميات والثمرة المترتبة على ذلك

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: علاقة الثقافة بالدين

المطلب الثاني: علاقة الثقافة بالحضارة

المطلب الثالث: علاقة الثقافة بالمدنية

المطلب الرابع: علاقة الثقافة بالعلم

المطلب الخامس: علاقة الثقافة بال التربية

المطلب السادس: علاقة الثقافة بالتفكير الإسلامي

الفصل الأول

التعريف بالثقافة عامة والثقافة الإسلامية خاصة

المبحث الأول

مفهوم الثقافة لغة واصطلاحاً

الثقافة لغة واصطلاحاً:

لغة:

مصدر مشتق من الثلاثي "تفق" بكسر القاف وضمها⁽¹⁾. ولها دلائلان حسية ومعنوية:

- 1 الدلالة الحسية (الحقيقية) وتعني: إدراك الشيء والحصول عليه،⁽²⁾ وتقويم المعوج وتسويته، واللعب بالسلاح.
- 2 الدلالة المعنوية (المجازية) وتعني: الحذق والفطنة، والتلذيب والتهذيب، وسرعة التعلم والفهم، وضبط المعرفة وإدراك العلوم، وتنمية الفكر والموهبة.

اصطلاحاً:

لم يكن هذا المصطلح مستخدماً في أدبيات و يوميات المسلمين رغم وجوده لفظاً، وقد تعددت وتشعبت تعريفاته عند العلماء والباحثين المسلمين والغربيين على السواء. فقد تجاوزت المائة، وعليه فإنه من الصعب إيجاد تعريف جامع متفق عليه لمصطلح (الثقافة) للأسباب التالية:

(1) ابن منظور، لسان العرب، الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، الزبيدي، تاج العروس، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. مادة (تفق)، الفيروزابادي، القاموس المحيط، فصل الثناء بباب الغاء.

(2) قال تعالى: ﴿وَأَفْتَلُوهُمْ حِيتَنَفْتَنُوكُم﴾ (البقرة: 191); قال ابن كثير حيث وجدهم،

- 1- اختلاف تخصص واهتمامات المعرف للثقافة، فتعريف الطبيب يختلف عن تعريف المهندس، وتعريف عالم الاقتصاد يختلف عن تعريف السياسي، وتعريف التربوي يختلف عن تعريف عالم النفس أو الاجتماع... الخ.
 - 2- اختلاف المدارس والاتجاهات الفكرية حول تعريف الثقافة.⁽¹⁾
 - 3- اختلاف مصادر التزويد عند الأمم.⁽²⁾
- ويرى مالك بن نبي أن المدرستين الغربية (الرأسمالية) والشرقية (الاشتراكية) اللتان تعنيان بتفسير الثقافة على أنها انعكاس لفلسفة الفرد أو المجتمع قد قصرتا في ذلك. وأن المدرسة الإسلامية قد جمعت بين الصورتين فهي ترى الثقافة انعكاساً لفلسفة الفرد والمجتمع معاً.⁽³⁾

التعريف العام للثقافة:

تأثرت أديباتنا المعاصرة بمجموعة تعريفات الثقافة كانت في غالبيتها نقلأً حرفيًّا لتعريف وضعها غربيون، أو هي ترجمة مع بعض التصرف، ويعتبر تعريف إدوارد تيلور Edward Tylor من أقدم التعريفات التي وضعت للثقافة في القرن التاسع عشر من خلال كتابه الثقافة البدائية،⁽⁴⁾ وقد توالى التعريفات فقام جيمس دنر James Downs بوضع تعريف خاص به للثقافة في كتابه "الثقافات في أزمة".⁽⁵⁾ كما قام العالم الأمريكي كلباتريك Kilpatrick بوضع تعريف من خلال علم السلالات البشرية (الأنثروبولوجي)، ووضع كوبنزي رايت Quincy Wright

⁽¹⁾ صالح هندي وأخرون، الثقافة الإسلامية، ص 9-10 بتصريف.

⁽²⁾ سميحة عطف الزين، الثقافة والثقافة الإسلامية، ص 11.

⁽³⁾ مالك بن نبي، منكلة الثقافة، ص 37 بتصريف.

⁽⁴⁾ للاطلاع على التعريف انظر : Tylor, E.B. Primitive Culture, New Brentanos

⁽⁵⁾ لنظر : James F. Down, Cultures. P. 48

تعريفاً آخر خاصاً به، كما قدم إدوارد هيريو الفرنسي E.Herriot تعريفاً آخر معايراً للثقافة.⁽¹⁾

أما العلماء العرب فقد تابع أكثرهم التعريفات الغربية بقليل من التصرف من خلال نقل وترجمة الأعمال والمؤلفات في الدراسات الإنسانية عن اللغات الأجنبية. وبهذه الطريقة تم نقل مصطلح "الثقافة" الغربي إلى أدبيات العرب والمسلمين المعاصرة. ومن أبرز هؤلاء العلماء:

1- المفكر الجزائري مالك بن نبي سرحه الله - وقد عرف الثقافة بأنها: مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.⁽²⁾

2- الدكتور عدنان زرزور: ويرى أن "الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة".⁽³⁾

3- التعريف الشائع: الأخذ من كل علم بطرف.⁽⁴⁾

وهذا تعريف ترسب في أذهان الكثيرين من الناس المتعلمين وغيرهم، ولا يناسب إلى شخص معين أو يعرف له واضح على وجه الدقة. وبناءً على هذا التعريف يطلب من الفرد أن يلم بشيء يسير من المعارف والعلوم والفنون حتى يكون متقدماً.

⁽¹⁾ د. معن زيادة، معلم على طريق تحديث الفكر العربي، ص31-33. وللمزيد انظر محمد عايد الجابري، تكريم العقل العربي، ص38 وما بعدها.

⁽²⁾ مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 71.

⁽³⁾ عدنان زرزور، إنسانية الثقافة الإسلامية، ص20.

⁽⁴⁾ عزمي السيد وأخرون، الثقافة الإسلامية، ص30.

فالثقافة لا يراد بها التعمق في دراسة علم من العلوم، وهذا هو الفرق بين المتفق، والعالم الأكاديمي المتخصص في علم أو فن من الفنون. ولهذا يقولون (تعلم شيئاً عن كل شيء لتكون متفقاً، وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالماً).⁽¹⁾

4- الدكتور عزمي السيد الذي يرى أن الثقافة (معرفة عملية مكتسبة، تتطوّي على جانب معياري، وتتجلى في سلوك الإنسان الوعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود).⁽²⁾

5- الدكتور عبد الله عبد الدايم وقد عرف الثقافة على أنها: (جملة السمات والملامح الخاصة التي تميز مجتمعاً معيناً أو زمرة اجتماعية معينة، روحية أو مادية، عاطفية أو فكرية).⁽³⁾

وهناك العديد من التعريفات التي تناولت الثقافة، لمجموعة من العلماء أمثال: د. طيب فيزيتي، السيد محمد الأمين، د. أحمد غراب، وأخرون. ولقد بات مصطلح (الثقافة) براقاً يجذب كل من يريد أن يُمدح، فإذا ما وصفنا شخصاً بأنه متفق، شعر بالفخر والاعتزاز والنشوة والزهو. كما أنه يخدع لقصور الكثير من التعريفات عن الوفاء بشروط وضع المصطلح، مما يسبب حيرة لمن يتلقى التعريف ويسعى لسبر غوره.⁽⁴⁾

(1) عبد الغني النوري وزميله، نحو فلسفة عربية للتربية، ص.54.

(2) عزمي السيد وأخرون، المرجع السابق، ص.37.

(3) عبد الله عبد الدايم، في سبيل ثقافة عربية ذاتية، ص.26.

(4) عزمي السيد وأخرون، ص.35 بتصرف شديد.

المبحث الثاني

مفهوم الثقافة الإسلامية، وموضوعاتها، وأهدافها

مفهوم الثقافة الإسلامية:

تنوعت وتعددت تعاريفات الثقافة الإسلامية، تبعاً لاختلاف وجهات نظر الباحثين المسلمين. فمنهم من اتجه نحو الجانب المعرفي للإسلام، وبعضهم الآخر اتجه نحو الجانب السلوكى للإسلام.

وتسهيلاً على القارئ، فإننا سنقوم بتصنيف هذه التعاريفات إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: الاتجاه المعرفي عن الإسلام

ونختار من هذه التعريفات -على سبيل المثال لا الحصر - ما يلى:

1- "إن مادة الثقافة الإسلامية تحرص على إعطاء الطالب صورة شاملة عن الإسلام قبل الدخول في التفصيات، فهي لا تبحث في التوحيد أو الفقه أو التفسير أو الحديث أو غيرها من العلوم الإسلامية كعلوم قائمة بذاتها، ولكنها تستفيد من هذه العلوم جميعاً للتعرف على حقيقة الإسلام".⁽¹⁾

2- "الفهم العام للحياة بشؤونها المختلفة من منظور إسلامي".⁽²⁾

3- قام الدكتور رجب شهوان بتصنيف مفهوم الثقافة الإسلامية إلى ثلاثة تعريفات: عام، وخاص، ومميز فقال:⁽³⁾

التعريف العام للثقافة الإسلامية: (معرفة مقومات الأمة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ وحضارة، وقيم وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة) ويقوم هذا التعريف على دراسة حياة الأمة من جميع

⁽¹⁾ عبد الكريم عثمان، معلم الثقافة الإسلامية، ص.7.

⁽²⁾ موسى الإبراهيم، ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديث، ص.15.

⁽³⁾ محمد عبد السلام محمد وأخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص.11-12.

جوانبها، على أساس أن لكل أمة ثقافتها. وهذا هو الاتجاه التربوي في تعريف الثقافات.

التعريف الخاص للثقافة الإسلامية: (معرفة مقومات الدين الإسلامي، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات، بصورة نقية مركزة).

ويقوم هذا التعريف على دراسة العلوم الإسلامية، المستمدة من القرآن الكريم والسنّة النبوية، وجهود علماء الفكر والتّراث الإسلامي. وبحسب هذا التعريف: فإن الثقافة الإسلامية تكون مرادفة للدراسات الإسلامية، أو العلوم الإسلامية، أو التربية الإسلامية.

التعريف المميز للثقافة الإسلامية: (معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي، بصورة مقنعة موجهة).

ويقوم هذا التعريف على جعل الثقافة الإسلامية علماً جديداً له موضوعاته الخاصة، التي تميّزه عن غيره من العلوم الإسلامية، والقائمة على دراسة المستجدات والشبهات والتحديات المعاصرة والتي جاء ظهور علم (الثقافة الإسلامية) على إثرها.

موقعنا من الاتجاه الأول:

اتجه أصحاب هذا الرأي سعياً للاحترام الشديد لجهودهم - إلى زاوية واحدة من زوايا مفهوم الثقافة الإسلامية، وهي الزاوية المعرفية وكان الإسلام معارف ومعلومات وأرقام فقط.

وبناءً على ذلك فإن الثقافة الإسلامية بهذا المعنى لا تخص الدارس المسلم وحده، بل يشترك معه جميع الدارسين من مسلمين وغير مسلمين، وهذه المعلومات والمعارف الإسلامية لا تنتج لنا متلقين مسلمين بل دارسين ملتقين للمعارف الإسلامية بغض النظر عن إيمانهم بها أو عدمه.

وهذا ما يحدث فعلاً على أرض الواقع في دراسة مقرر "الثقافة الإسلامية" في الكليات والجامعات، إذ يدرس هذه المادة الطالب المسلم وغير المسلم، فدراستها بالنسبة لغير المسلم هدفها الحصول على العلامات والنجاح فقط، وأما الطالب المسلم فحصل على هذه المعارف والعلوم الإسلامية دون تطبيق لها على أرض الواقع.

الاتجاه الثاني: الاتجاه السلوكي والتطبيقي عن الإسلام

ونختار من هذه التعريفات -على سبيل المثال لا الحصر- ما يلي:

1- تعريف الدكتور عزمي السيد. حيث عرف الثقافة الإسلامية بأنها: "معرفة عملية مكتسبة تتضمن على جانب معياري مستمد من شريعة الإسلام، ومؤسس على عقیدته، وتتجلى في سلوك الإنسان الوعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود".⁽¹⁾ والوجود كل ما هو موجود ويشمل الخالق والمخلوقات. سواءً في ذلك المدركة بالحواس أو غير المدركة بالحواس.

2- تعريف الدكتور صالح نيلاب هندي، إذ عرف الثقافة الإسلامية بقوله: "طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقاً لوجهة نظر الإسلام وتصوراته سواءً في المجال المادي الذي يسمى بالمدنية، أو المجال الروحي والفكري الذي يعرف بالحضارة".⁽²⁾

⁽¹⁾ عزمي السيد وأخرون، المرجع السابق، ص 70.

⁽²⁾ صالح نيلاب هندي، المرجع السابق، ص 15.

التعريف المختار للثقافة الإسلامية:

ويرى (المؤلف)⁽¹⁾ بأنها:

إدراك المعلومات والمفاهيم الإسلامية للتعرف على حقيقة الإسلام عبادة وشريعة وخلقًا، وترجمة هذه الحقائق إلى الواقع العملي التطبيقي لحياة المسلمين الحافلة بالمستجدات والتحديات، والتي تعمل على تهذيبهم وتقويم اعوجاج سلوكهم. إذ جسد هذا التعريف مفهوم (الثقافة الإسلامية) كونها علمًا وفكراً وعملًا وسلوكاً للإسلام. فالجانب المعرفي للثقافة الإسلامية لا يكفي، بل لا بد من وجود الجانب التطبيقي.

م الموضوعات الثقافية الإسلامية:

بما أن الثقافة الإسلامية هي الثقافة الخاصة بالإسلام، فإن موضوعات الثقافة الإسلامية هي ذاتها موضوعات الإسلام، والتي تشمل:

- 1- مفاهيم العقيدة الإسلامية عن: الإله، والإنسان، والكون، والحياة الدنيا والآخرة، ودراسة أركان الإيمان، مع التركيز على فلسفة هذه المفاهيم وأثارها.
- 2- نظام العبادة في الإسلام: سواء كانت هذه العبادة قولية أو فعلية، ظاهرة أو باطنية، والتي يأتي على رأسها أركان الإسلام. ودراسة فلسفة هذه العبادات وأثارها.
- 3- النظم الإسلامية: وتشمل جميع جوانب الحياة المختلفة، كالنظام الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والأخلاقي، والقضائي، والعقوبات، وغيرها.
- 4- مصادر الثقافة الإسلامية وخصائصها.
- 5- القضايا العلمية والطبية المعاصرة.

⁽¹⁾ خالد إبراهيم الفتياوي.

- 6- القضايا الثقافية والمشكلات المعاصرة.
 - 7- التحديات والمذاهب الهدامة التي تواجه الثقافة الإسلامية.
 - 8- الشبهات التي أثيرت حول الإسلام (مصادره وأهله ونظمه) والرد عليها.
- أهداف الثقافة الإسلامية كمادة دراسية في مؤسسات التعليم العالي:**
- إن الحاجة لتدريس مقرر "الثقافة الإسلامية" كمطلوب إجباري أو اختياري لطلاب الكليات والجامعات تبدو أكثر أهمية وتأكيداً وتصميماً.
- فإذا كان الطلاب الأوروبيون في بلدانهم يدرسون الثقافة الأوروبية الخاصة بهم، والاشتراكيون يدرسون الثقافة الاشتراكية، والقوميون يدرسون الثقافة القومية، واليهود يدرسون الثقافة اليهودية، فمن الأولى والأجرد بنا أن يدرس طلابنا "الثقافة الإسلامية" في كلياتهم وجامعاتهم.

- والطرح الجامعي لمقرر الثقافة الإسلامية يجب أن يمتاز بعدة أمور منها: (١)
- 1- مباحثه الجديدة، و مجالاته وموضوعاته الخاصة.
 - 2- توافقه لجميع التخصصات الجامعية سواء الشرعية أو المهنية أو الاجتماعية.
 - 3- كونه أكثر تشويقاً للطلبة، وأقرب إلى ميولهم واهتماماتهم.
 - 4- توافقه مع مستوى الطلبة الذي يعيشونه من الغزو الفكري والثقافي، والتحديات والمستجدات والشبهات.

فجاءت مادة "الثقافة الإسلامية" لطلاب مؤسسات التعليم العالي ليفقها واقعهم المعاصر، بلغة فقهية جديدة معاصرة تمكنهم من مواجهة تحديات الثقافة، ومستجداتها، وقضاياها، والرد على شبهاتها. ويمكن تبسيط القول في أهداف الثقافة الإسلامية كمادة دراسية لدى الطالب الجامعي من خلال النقاط التالية:

(١) محمد لو يحيى وأخرون، الثقافة الإسلامية، ص 20.

- 1- تحقيق الهدف الأول من أهداف الكليات والجامعات العربية والإسلامية، وهو غرس الإسلام في نفوس الطلبة، كونه الدين الرسمي لدول تلك الكليات والجامعات.
- 2- تزويد الطالب بمعاهدات الإسلام (عقيدة وشريعة) بلغة فقهية عصرية جديدة. بحيث تتواءز مع مستوى الجامعي، ليتمكن من مواجهة التحديات والقضايا المعاصرة، والرد على الشبهات التي تثار حول الإسلام.
- 3- دعوة الطالب لفهم الإسلام، الفهم الوعي الصحيح بعيد عن اللبس والغموض، والتعصب والتطرف.
- 4- ترميم القناعة لدى الطالب بصلاحية الثقافة الإسلامية لكل زمان ومكان.
- 5- تعزيز انتقاء الطالب للثقافة الإسلامية، والتي تكون شخصيته وحياته العربية والإسلامية.
- 6- غرس الإسلام السلوكى لدى الطالب في جميع مجالات الحياة المختلفة.
- 7- (الإشارة والإيماء إلى البديل الإسلامي عن ثقافة العصر الأوروبي)،⁽¹⁾ وهذا من أهم ما تهدف إليه الثقافة الإسلامية على مستوى الجامعات العربية.

⁽¹⁾ عدنان زرزور، في الفكر والثقافة الإسلامية، ص 22، والثقافة الإسلامية في الجامعات، ص 49

المبحث الثالث

علاقة الثقافة الإسلامية بغيرها من المسميات والشمرة المرتبة على ذلك

تُوجَد علاقَةٌ بَيْنَ مصطلحِ الثقافةِ الإِسلامِيةِ وَبَيْنَ بَعْضِ المصطلحاتِ أوِ المسمياتِ المقاربةِ لَهَا مثَلَّ: الدِّينُ، الْحُضَارَةُ، الْمَدْنِيَّةُ، الْعِلْمُ، التَّرْبِيَّةُ، الْفَكْرُ الْإِسْلَامِيُّ.

المطلب الأول

علاقة الثقافة بالدين

الدين لغة: يطلق على عدة معانٍ مختلفة منها: (١)

- 1- الاستعلاء والملك والحكم والجزاء، إذا تعدى الفعل (دان) بنفسه: فنقول: (دانه ديناً). بمعنى ملكه وحكمه وحاسبه.
- 2- الطاعة والخضوع والاستسلام، إذا تعدى الفعل (دان) باللام: فنقول (دان له) بمعنى أطاعه وخضع له.
- 3- المذهب أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو علمياً. إذا تعدى الفعل (دان) بالباء. فنقول (دان بالشيء) بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاد عليه.

الدين اصطلاحاً: عرفه أكثر من باحث، وإن اختلفت المباني والألفاظ، فإن المعنى واحد. ومن هذه التعريفات:

(١) ابن منظور، المرجع السابق، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (دان)، محمد عبد الله دراز، الدين، ص 30-31.

- وضع إلهي سائق لنوى العقول السليمة باختيارهم لياه إلى الصلاح في الحال، والفالح في العال.⁽¹⁾
- وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في المسلوك والمعاملات.⁽²⁾
- مجموعة القواعد والضوابط والتشريعات الربانية التي تنظم علاقة الفرد بخالقه ونفسه ومحيطة.⁽³⁾

إطلاقات القرآن الكريم على الدين:

أطلق القرآن الكريم على الدين عدة إطلاقات، إذ سمي عقيدة الكفار الوثنية ديناً. قال تعالى ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ (الكافرون). ولطرق على ما كان يعبده اليهود والنصارى وغيرهم ديناً. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَقْتُلُوا فِي دِيْنِكُمْ عَيْرَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: 77). و قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرُونَوْا بِدِيْنِهِمْ وَكَانُوا يُشَيْكُمْ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 159). وكذلك أطلق القرآن الكريم على الإسلام ديناً لست مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَلٌ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيْنًا﴾ (المائدة: 3) و قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عَنْ دِيْنِ الْإِسْلَامِ﴾ (آل عمران: 19).

نستنتج من ذلك أن (الدين) لفظ عام، والإسلام لفظ خاص. فالدين أعم من الإسلام، وكل إسلام دين، وليس كل دين إسلاماً.

كما أن الدين أعم من الملة والشريعة والمذهب؛ إذ أن الملة والشريعة اسم للعبادات والمعاملات دون العقائد. والمذهب جملة من الآراء الاجتهادية التي يستتبعها بعض علماء المسلمين ويعملون بها كالمذهب المعروفة.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ محمد عبد الله دراز، المصدر السابق، ص33.

⁽²⁾ الجرجاني، التعريفات، ص95، قحطان الدوري وزميله، أصول الدين الإسلامي، ص19.

⁽³⁾ محمد خطاب، مكانة المرأة في الإسلام واليهودية، ص8 رسالة دكتوراه مخطوط.

⁽⁴⁾ قحطان الدوري وزميله، المرجع السابق، ص20.

العلاقة بين الثقافة والدين:

يمكن أن نبين العلاقة بين الثقافة والدين على النحو التالي: ⁽¹⁾

1- الثقافة والدين يشتركان في وجود الجانب النظري والعملي في كل منهما، فالجانب النظري للثقافة يتمثل بالمعرفة، والجانب النظري للدين يتمثل بالعقيدة.

بينما الجانب العملي للثقافة يتمثل بالممارسة والتطبيق التي تمثل طريقة الحياة، والجانب العملي للدين يتمثل بالشريعة والأحكام. وبذلك يهدف كل من الثقافة والدين إلى العمل والتطبيق والسلوك.

2- الثقافة حلقة وصل بين الدين من جهة، والحضارات من جهة أخرى. وهذا يتضح من خلال مثال الشجرة، فعلاقة الثقافة بالدين كعلاقة الشجرة بجذورها وأغصانها وثمارها؛ إذ تمثل الجذور القيم الدينية والروحية، وتتمثل الأغصان الثقافة، وتتمثل الثمار الحضارة.

3- الدين مقوم رئيس من مقومات الثقافة، فهو مصدرها وصناعتها.

المطلب الثاني

علاقة الثقافة بالحضارة

الحضارة لغة: مصدر مشتق من الفعل (حضر) بمعنى شهد. والحضارة تعني الإقامة في الحضر والقرى، والتي يوصف أهلها بأنهم أهل القرار والاستقرار، والحضارة ضد "البداوة" التي تعني التنقل في البوادي والذين يطلق عليهم أهل الوبير. ⁽²⁾

⁽¹⁾ صالح هندي وأخرون، المرجع السابق، ص 35-36.

⁽²⁾ ابن منظور، المصدر السابق، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق مادة (حضر).

الحضارة اصطلاحاً: أسلوب المفكرون والباحثون في وضع تعريف لمصطلح الحضارة، فمنهم من رأى أن الحضارة تقتصر على الجانب المادي، ومنهم من ذهب إلى أنها تقتصر على الجانب المعنوي بينما اتجه فريق ثالث: إلى أنها تضم الجانبين معاً (المادي والمعنوي).

ونسوق هنا بعض هذه التعريفات:

1- شاع استعمال كلمة (حضارة) للدلالة على الوسائل والمختبرات والابتكارات التي وصل المجتمع الإنساني بها إلى آفاق بعيدة من الرقي المادي.⁽¹⁾

2- الحضارة مجموعة قيم وأفكار وأخلاقيات ومعتقدات تتباين عنها جملة من النظم والتقاليد والأعراف المختلفة التي تتجسد في مجتمع، أو مجموعة من المجتمعات في مرحلة زمنية معينة.⁽²⁾

3- الحضارة مصطلح يشير إلى المنجزات الإنسانية المادية وغير المادية لأمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات خلال حقبة زمنية معينة.⁽³⁾ فالتعريف الأول أشار إلى الجانب المادي، والتعريف الثاني أشار إلى الجانب المعنوي، بينما التعريف الثالث جسد الجانبين معاً.

الحضارة الإسلامية: هي المنجزات المادية والمعنوية التي أبدعها العلماء المسلمين.

ونعني بالمنجزات المادية: الأدوات والوسائل المبتكرة في العلوم الطبية والصيدلانية، والهندسية والزراعية، والعسكرية الحربية، والفنون الإسلامية التقليدية، وتصميم الأزياء وتصنيع الملابس، وغيرها.

⁽¹⁾ عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص42، محمد عبد السلام محمد وآخرون، المرجع السابق، ص10.

⁽²⁾ علي القرشي، بين الحضارة والمدينة وأزمة العالم اليوم، ص6.

⁽³⁾ عزمي السيد وآخرون، المرجع السابق، ص57.

أما المنجزات المعنوية فتشمل العلوم الشرعية واللغوية، والإنسانية والاجتماعية، وغيرها.

ويمكن تلخيص العلاقة بين الثقافة والحضارة على النحو التالي: ^(١)

- 1- الحضارة أعم من الثقافة، إذ أن الثقافة تمثل الوجه المعنوي للحضارة.
- 2- الثقافة هي الركيزة والقاعدة التي تقوم عليها الحضارة، بمعنى أن الثقافة مرحلة تسبق ظهور الحضارة.

المطلب الثالث

علاقة الثقافة بالمدنية

المدنية لغة: مصدر مشتق من الفعل (مدن): فتقول مدن المدائن: إذا سكنها وأقام فيها، وعمل على بنائها، وتخلق بأخلاق أهلها. ^(٢)

المدنية اصطلاحاً: هي الأشكال المادية المحسوسة التي يصنعها الإنسان ويستعملها في شؤون الحياة المختلفة. ^(٣) فالمدنية تمثل المنجزات المادية للحضارة.

أقسام المدنية وحكم الإسلام فيها: ^(٤)

أ- **المدنية العامة:** وتنتصف بالعلوم العالمية، وتقبل الانتشار بين الأمم، مثل الآلات، والأدوات، والصناعات بأنواعها المعروفة لدى الناس.

^(١) صالح هندي وآخرون، المرجع السابق، ص40، عزمي السيد وآخرون، المرجع السابق، ص60.

^(٢) ابن منظور، المصدر السابق، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (مدن).

^(٣) صالح ذيب هندي، المرجع السابق، ص14، عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص251.

^(٤) صالح هندي وآخرون، المرجع السابق، ص14، عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، المرجع السابق، ص251.

حكم الإسلام فيها: يجوز أخذها بدون قيد ولا شرط، لأنها غير مرتبطة بغير خالف فكر الإسلام.

ب- المدنية الخاصة: وتحتخص بأمة دون غيرها، مثل الصناعات التي تحمل العلامات الخاصة؛ كالإشارات التي تخص أمة معينة، مثل الألبسة التي تحمل النجمة السداسية التي ترمز إلى اليهود، أو قطعة من المجوهرات تحمل الصليب الذي يرمز إلى النصارى، أو تحفة مرسوم عليها صورة امرأة تبدي مفاتنها لمن يعتبرون المرأة شكلاً فنياً يتلذذ به الإنسان.

حكم الإسلام فيها: لا يجوز أخذها لأنها تجسّد فكر مخالف للإسلام.

وللتوسيع العلاقة بين الثقافة والمدنية نقول:

1- الثقافة أعم من المدنية؛ إذ أن المدنية تمثل الوجه المادي للثقافة، ويرى بعض الباحثين أن المدنية أعم من الثقافة.

2- المدنية العامة تشبه العلم، من حيث أنها يؤخذان دون قيد أو شرط، بينما المدنية الخاصة تشبه الثقافة والجانب المعنوي من الحضارة، كونهما يختصان بأمة معينة من الأمم.

وعلقة الثقافة بالمدنية تدخل دخولاً أولياً وضمنياً في علاقة الثقافة بالحضارة، باعتبار أن المدنية تمثل جزءاً من الحضارة وهو الجانب المادي.

المطلب الرابع

علاقة الثقافة بالعلم

العلم لغة: مصدر مشتق من الفعل (علم) أو (أعلم)، الذي يعني المعرفة والأخبار، فنقول: علم الشيء: عرفه، وأعلمه بالخبر: أخبره به.
ويعني العلم أيضاً اليقين، وإدراك الشيء بحقيقةه، ويطلق حديثاً على العلوم التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار، سواءً أكانت أساسية؛ كالكميات والطبيعة

والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا، أو تطبيقية؛ كالطب والهندسة والزراعة وما إليها.^(١)

وبالتالي فإن العلم نقىض الجهل، ويرى الباحث أن علوم الكيمياء والنبات والحيوان والجيولوجيا، أقرب إلى العلوم التطبيقية منها إلى الأساسية؛ وذلك لاحتياجها للمعامل والمخبرات، ودليل آخر أنه عَدَ الزراعة من العلوم التطبيقية؛ علمًا أن علم النبات والحيوان يدخلان فيه دخولاً أولياً.

العلم اصطلاحاً: هو (الاعتقاد الجازم المطابق للواقع).^(٢)

وعرفه أحد الباحثين بأنه (الدراسة الموضوعية للظواهر الواقعية وما يترتب على ذلك من بناء للمعرفة).^(٣)

علاقة الثقافة بالعلم:^(٤)

نستطيع أن نبين العلاقة بين الثقافة والعلم من خلال بيان الفروق بينهما. فإذا كان العلم والثقافة يشتركان في المعنى اللغوي لكل منهما وهو "المعرفة" فإنهما يختلفان في المعنى الاصطلاحي والمضمون الجوهرى، إذ يطلق على العلم "المعرفة العلمية" وعلى الثقافة "المعرفة الثقافية".

وسنبين الفروق بين هذين المعنيين على النحو التالي:

١- طريقة الحصول:

نحصل على "العلم" عن طريق التجربة واللاحظة والاستنتاج، ونحصل على "الثقافة" عن طريق التلقى والإخبار والاستبطاط.

^(١) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (علم).

^(٢) الجرجاني، المصدر السابق، ص 155.

^(٣) محمد علطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 400.

^(٤) عز الدين الخطيب القمي وأخرون، المرجع السابق، ص 11-12، صالح هندي وأخرون، المرجع السابق، ص 45-47.

2- العلوم والخصوص:

"العلم" عام لا يختص بأمة معينة، ولذلك يقبل الانتقال بين الأمم دون قيد أو شرط. أما "الثقافة" فتحتاج بأمة معينة دون أخرى، ولذلك لا تقبل الانتقال بين الأمم،⁽¹⁾ فكل أمة تختلفها الخاصة بها.

3- الحقيقة:

"العلم" ينتج أشياء مادية كالآلات والأجهزة للبريئة. أما "الثقافة" فتحتاج سلوكاً وعلاقات خاصة بأمة من الأمم.

4- الوظيفة:

"العلم" وظيفة العلماء والباحثين الذين يقومون بإجراء التجارب داخل المختبرات ومعامل. أما "الثقافة" فهي وظيفة المفكرين ورجال الدول الذين يشرفون على العلاقات بين أفراد المجتمع.

5- الجانب المعرفي والجانب العملي (السلوكي):

"العلم" معرفي أكثر منه عملي (سلوكي)، أما "الثقافة" فهي علم وعمل وفكر وسلوك معاً. لذلك تعد الثقافة أعم وأشمل من العلم.

المطلب الخامس

علاقة الثقافة بال التربية

التربية لغة: مصدر له عدة اشتراكات لغوية، هي ربا يربو؛ بمعنى زاد ونما، وربى يربى؛ بمعنى نشا وترعرع، ورب رب، بمعنى أصلح ورعى.⁽²⁾

⁽¹⁾ إذا كان لا بد من انتقال للثقافة بين الأمم، فإن ذلك يكون وفق قيود وشروط معينة وخلصة بكل لمة.

⁽²⁾ بن منظور، المصدر السابق، مادة (ربا).

التربيـة اصطـلاحاً: هي توفير الفرص الملائمة لنـمو الفـرد نـمواً مـتكـاماًًاً وـمـتوازـاناً في جميع نـواحي شخصـيـته الجسمـيـة والعـقـلـيـة والعـاطـفـيـة والـاجـتمـاعـيـة، حتى يـسـطـيع مـمارـسة أنـماـطاً سـلوـكـيـة مـخـتـلـفة، تـمـكـنه من التـكـيف مع الـحـيـاة والـجـمـعـ. (١)

ويرى (الباحث) (٢) أن التـرـبـية في المصـلـاح الإـسـلـامي هي: علم بـنـاء شخصـيـة الإنسـان في جميع جـوـانـبـها الجـسـمـيـة، والعـقـلـيـة المـعـرـفـيـة، والعـاطـفـيـة الانـفعـالـيـة، والـاجـتمـاعـيـة السـلوـكـيـة، وفق الإـسـلام عـقـيدة وشـرـيـعة وأـخـلاـ.

العـلـاقـة بـيـنـ الثـقـافـة وـالـتـرـبـية:

- 1- الثـقـافـة تـرـتـبـط بالـتـرـبـية بـعـلـاقـة عـضـوـيـة، فـكـلـ مـنـهـا عـمـلـيـة اـجـتمـاعـيـة أـسـاسـيـة في حـيـاة الفـرد وـالـجـمـعـ.
- 2- الثـقـافـة تعدـ أـسـاسـاً هـامـاً منـ أـسـسـ التـرـبـية، فالـثـقـافـة بـكـلـ وـسـائـطـها تعدـ الـوعـاء التـرـبـويـ العـامـ، منـ خـلـالـ التـنـشـئـة الـاجـتمـاعـيـة لـلـفـردـ، وإـكـسـابـهـ أـنـماـطاً سـلوـكـيـةـ مـعـيـنةـ.
- 3- الثـقـافـة أـعـمـ وـأـشـمـلـ منـ التـرـبـية وـالـتـعـلـيمـ، إذـ أـنـ التـرـبـية تمـثـلـ الجـانـبـ السـلوـكـيـ كـمـاـ نـتـلـقـاهـ منـ الثـقـافـةـ، أـمـاـ التـعـلـيمـ فـهـوـ مـقـصـرـ عـلـىـ الإـعـادـ المـدـرـسـيـ وـالـدـرـاسـيـ، لـتـكـرـيـنـ العـقـلـيـةـ المـوـهـلـةـ لـلـثـقـافـةـ.
- 4- يـرىـ رـجـالـ التـرـبـيةـ الـحـدـيثـةـ أـعـمـ منـ الثـقـافـةـ، وـمـنـهـمـ يـرىـ أـنـ الثـقـافـةـ بـمـفـهـومـهـاـ الـعـامـ مـرـادـفـةـ لـلـتـرـبـيةـ. (٣)
- 5- إـنـ كـلـاًـ مـنـ الثـقـافـةـ وـالـتـرـبـيةـ تـتـصـفـ بـالـخـصـوـصـ، فـكـمـاـ أـنـ لـكـلـ أـمـةـ ثـقـافـةـ خـاصـةـ الـتـيـ تـعـبـرـ عـنـ فـكـرـهـاـ وـوـجـهـةـ نـظـرـهـاـ، وـكـذـلـكـ التـرـبـيةـ.

(١) صالح هـنـديـ وـآخـرونـ، أـسـسـ التـرـبـيةـ، صـ8ـ.

(٢) خـالـدـ إـبرـاهـيمـ الـفـتـيـانـيـ.

(٣) نـورـ الـجـنـديـ، مـعـلـمـةـ الإـسـلامـ "الـثـقـافـةـ"، صـ5ـ.

المطلب السادس

علاقة الشفافة بالفکر (الإسلامي)

الفکر لغة: (فتح الفاء وكسرها) مصدر مشتق من الفعل (فَكَرَ)، ويعني التأمل وإعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول، و(التفكير) هو إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها.^(١)

الفکر اصطلاحاً: هو إعمال العقل وإمعان النظر في الأمور المعنوية والمادية، بهدف الوصول إلى حقيقتها.

مفهوم الفکر الإسلامي:

هو كل ما أنتجه المسلمون في ظل الإسلام من المعارف والتصورات.^(٢) والمقصود بالمعارف جملة العلوم التي أبدعها الفكر الإسلامي في مختلف الميادين؛ مثل العلوم الشرعية والتي تسمى بـ"علوم المقاصد والغايات"، والعلوم اللغوية والتي تسمى بـ"علوم الوسائل والأدوات"، والعلوم الإنسانية، والاجتماعية، والعلوم الطبيعية، وغيرها.

والمقصود من التصورات: هو التصور الإسلامي عن الإله، والكون، والإنسان والحياة؛ بمعنى آخر تفسير هذه المفردات إسلامياً.

والذى نود أن نشير إليه هنا أن الفكر الإسلامي ولد منذ ولادة الإسلام، ورسالة الإسلام، ونبي الإسلام، فمن البعد عن الحقيقة القول بأن الفكر الإسلامي هو المحاولات والجهود التي بذلها المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ، لو منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم - فالفكر الإسلامي ويداعاته متداة من عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا.

(١) ابن منظور، المصدر السابق، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (فکر).

(٢) محمد أبو بحبي وأخرون، المرجع السابق، ص 59.

علاقة الثقافة بالفكر الإسلامي:

العلاقة بين الثقافة الإسلامية وبين الفكر الإسلامي جد وثيقة. وإذا كانت بعض الدول العربية والإسلامية قد طرحت هذا القدر من المعارف الإسلامية في معاهدها وجامعاتها تحت مسمى "الثقافة الإسلامية" فإن البعض الآخر قد طرحة تحت مسمى "الفكر الإسلامي"، لذلك فهما مصطلحان متداخلان.

ولكن مصطلح "الثقافة الإسلامية" هو الأكثر شيوعاً كمقرر جامعي، كونه أوضح في الدلالة من مصطلح "الفكر الإسلامي" وذلك للأسباب التالية: (١)

1- يتمتع مصطلح "الثقافة الإسلامية" بمدلول واسع وعميق، يحمل في دلالته

السلوكية والتطبيقية خصائص الأمم والشعوب بوصف الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة.

2- كلمة "الفكر" تؤمن إلى المفكرين، في حين أن "الثقافة" تشير إلى جملة من الحقائق الخارجة عن إطار الفكر الإسلامي.

3- الثقافة الإسلامية تمثل نظرة تركيبية شاملة عن الإسلام بوصفه عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وتركز هذه النظرة على ارتباط نظم الحياة الإسلامية بعضها ببعض، بحيث تظهر وحدة الحياة السلوكية (الثقافية) في المجتمع الإسلامي.

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بغيرها من المسميات (الدين، الحضارة، المدنية، العلم، التربية، الفكر، النظم).

ارتأينا أن نقوم بتقسيم هذه الثمار إلى قسمين: ثمار مشتركة، وثمار غير مشتركة.

(١) عدنان زرزور، في الفكر والثقافة الإسلامية، ص 14، 18، 19، والثقافة الإسلامية في الجامعات، ص 10.

النمار المشتركة بين هذه المسميات:

- 1- تحديد المصطلحات، وضبط المفاهيم، تجنبًا للخلط بين المسميات.
- 2- إدراك التلازم والعلاقة العضوية بين الثقافة وكل من: الدين، الحضارة، العدلية، العلم، التربية، الفكر.
- 3- بيان مسوغات الاحتفاظ بمعنى مقرر "الثقافة الإسلامية" بدلاً من "الحضارة الإسلامية" و"التربية الإسلامية" و"العلوم الإسلامية".
- 4- تحديد موقفنا من الثقافات الغربية، وحضارتها، ومدنيتها، وعلومها، وفقاً لما يحدده الإسلام. وكذلك الحذر من استيراد مناهج التربية والتعليم والنظم الغربية إلى ديار المسلمين.
- 5- إدراك تميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى في تمتلئها الإسلام، ورسمها لمفاهيم الحضارة الإسلامية، وتكامل المعرفة الثقافية والمعرفة العلمية فيها، وتصورها عن الفكر الإسلامي، وكذلك مالها من تربية إسلامية أصيلة موافقة للنطرة.

النمار غير المشتركة بين هذه المسميات ومنها:

أولاً- الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالدين:

- A- إبراز قيمة العمل والتطبيق والسلوك في الدين والثقافة.
- B- الثقافة الإسلامية باعتبارها علم، تشكل رافداً من روافد الدين الإسلامي.

ثانياً- الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالعلم:

- A- إدراك دور العلوم والمعارف الإسلامية في بناء الثقافة الإسلامية، ورسم الشخصية الإسلامية وتميزها بين الأمم.
- B- العلم في مفهوم الإسلام يوظف في إطار الأخلاق بكل مفرداته، لا في إطار الخراب والإبادة.

جـ- العلم في الإسلام مفتاح للسنن الكونية، وليس تحدياً للغيب، أو خروجاً عن قضاء الله وقدره وإرادته.

ثالثاً- الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالتربية:

أـ الاهتمام بالتربية الإسلامية في المدارس والجامعات، باعتبارها أداة نشر الثقافة الإسلامية.

بـ- التربية عملية سلوكية بالدرجة الأولى، بينما الثقافة بناء عام للشخصية الإسلامية.

جـ- إبراك التلازم والعلاقة بين مصطلح (الثقافة) و(التربية) فكلاهما يهدان إلى العمل والسلوك والتطبيق.

رابعاً- الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالفلك (الإسلامي):

أـ الفلك الإسلامي يضع الدارس أمام مسؤولياته الجامعية، في إعمال الفكر والنظر والتأمل في حقائق الفكر الإسلامي.

بـ- التأكيد على أن الفكر الذي تحمله الثقافة الإسلامية هو الفكر الإسلامي.

الفصل الثاني

مصادر الثقافة الإسلامية وروادها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر الثقافة الإسلامية، وفيه مطلبان

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: السنة النبوية

المبحث الثاني: رواد الثقافة الإسلامية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفكر والتراث الإسلامي

المطلب الثاني: الفقه الإسلامي ومذاهبـ

المطلب الثالث: اللغة العربية

المطلب الرابع: التاريخ الإسلامي

الفصل الثاني

مصادر الثقافة الإسلامية وروادها

المبحث الأول

مصادر الثقافة الإسلامية

إن المصدر الرئيس لثقافتنا الإسلامية هو الدين الإسلامي القائم على القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، إضافة إلى مصادر أخرى هي بمثابة روافد لثقافتنا، وبهذا تفرق الثقافة الإسلامية عن ثقافات الأمم الأخرى في مصدرها، وهو الإنسان، أما ثقافتنا الإسلامية فمصدرها الوحي. وهذا يترتب عليه الأثر الكبير، الذي يحتم علينا التمسك بثقافتنا الإسلامية وعدم اتباع سبل الثقافات الأخرى، لأننا سنجد تعارضًا كبيراً بين ثقافتنا الإسلامية وبين غيرها من الثقافات وسيتجلى هذا التعارض والافتراق عند تناولنا لمصادر الثقافة الإسلامية.

المطلب الأول

القرآن الكريم

تعريفه:
لولا: في اللغة: اختلف العلماء على أكثر من رأي في أصل كلمة "قرآن"، ومن أهم هذه الآراء:
الرأي الأول: إن أصل كلمة "قرآن" هو علم يدل على الكلام المنزّل على محمد ﷺ، كالإنجيل والتوراة فهما علمان.

الرأي الثاني: إن أصل كلمة "قرآن" مشتقة، وأصحاب هذا الرأي اختلفوا أيضاً في أصل الاشتقاء، فمنهم من رأى أن كلمة "قرآن" مشتقة من "قرن" بمعنى الضم، ومنهم من رأى أنها مشتقة من "قرأ" بمعنى تلا وجمع.^(١)

ثانياً: في الاصطلاح: القرآن الكريم هو: كلام الله، المنزّل على محمد ﷺ المعجز، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر.

شرح مفردات التعريف:

قولنا "كلام الله" يعني إضافة الكلمة إلى الله، وبالتالي فكلام غير الله لا يعتبر قرآنًا ويخرج بهذا القيد الأحاديث النبوية.

وقولنا "المنزل" يعني كلام الله الذي نزل، والكلام الذي أنزله الله قليل جداً بالنسبة لكلامه الذي لم ينزل، يقول الله: ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلْمَنْتِ رَفِيقَ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلْمَنْتُ رَفِيقَ وَلَوْ جِئْنَا بِشَيْلَهُ، مَدَادًا﴾ (الكهف: ١٠٩)، ولذلك لا يعتبر قرآنًا كلام الله الذي لم ينزل.

وقولنا "على محمد ﷺ" يعني ما نزل على سيدنا محمد ﷺ فقط، وبالتالي ما نزل على غيره من الأنبياء والرسل كالتوراة والإنجيل لا يعتبر قرآنًا.

وقولنا "المعجز" يعني الإعجاز عن الإتيان بمثل القرآن، أو بمثل سورة من مثله كما أخبر بذلك الله تبارك وتعالى.

وقولنا: "المتعبد بتلاوته" أي أن تلاوته عبادة، داخل الصلاة وخارجها، وبهذا لا يعتبر قرآنًا الحديث القدسي وإن كان باللفظ والمعنى من عند الله عز وجل، ولا يعتبر قرآنًا كذلك القرآن المنسوخ تلاوة. وخرج كذلك القراءات التفسيرية.

وقولنا "المكتوب في المصاحف" لأنه جمع لما كان قد كتب زمان النبي ﷺ الذي أمر بكتابته كما علمه جبريل عليه السلام إياه.

^(١) صحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 20-17، محمد العجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص 12-11.

وقولنا "المنقول بالتواتر" أي نقله جمع غير لا يتوهم تواظؤهم على الكتب عن جمع مثتهم حتى انتهى إلى الرسول ﷺ، وهكذا فالقرآن كله نقل إلينا بطريق قطعي الثبوت، وخرج بهذا القراءات الشاذة غير المتواترة.⁽¹⁾

أسماء القرآن الكريم:
للقرآن الكريم أسماء كثيرة، منها:

- 1 القرآن: وهو الاسم المشهور، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰٓئِقِينَ﴾ (الإسراء: 9).
- 2 الكتاب: وسمي بذلك إشارة إلى جمعه في السطور، إذ من شأن الكتاب أن يكتب ويبدون، يقول تعالى: ﴿تِّبَّعَكُمْ بَلْ لَا تَرِبَّ شَيْءٌ فِي هَذِهِ التَّشْيِّفَةِ﴾ (البقرة: 2). وهذا الاسمان -القرآن والكتاب- من أكثر الأسماء ذكرًا، وفي هذا إشارة إلى حفظ هذا الوحي بوسائلتين في الصدور قراءة، وفي السطور كتابة.
- 3 الفرقان: يقول تعالى: ﴿بَارَكَ اللَّٰٓيْ نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّٰٓيِّنِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1). وسمي القرآن فرقانًا لأنه يفرق بين الحق والباطل.
- 4 الذكر: يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَخْذُنُ زَلَّانَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9) وسمي القرآن ذكرًا لما فيه من التذكرة ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِلتَّشْيِّفَةِ﴾ (الحاقة: 48)، ومن معاني الذكر أيضًا الشرف ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُشَاهِدُونَ﴾ (الزخرف: 44) وهناك من العلماء من ذكر أسماء أخرى للقرآن الكريم منها "التنزيل" و"العزيز" و"المجيد" وربما كان في هذا خلط بين التسمية والوصف.⁽²⁾

⁽¹⁾ إبراهيم زيد الكيلاني، علوم القرآن الكريم، ص 12-14، محمد المجالى، المرجع السابق، ص 17-19.

⁽²⁾ صبحي الصلاح، المصدر السابق، ص 17-21، محمد المجالى، المرجع السابق، ص 12-15.

نَزْوَلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

لِبَدَأَ نَزْوَلَ الْقُرْآنِ عَلَى مَسِيْدِنَا مُحَمَّدَ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: 185).

وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ① (القدر: 1)، وَالراجحُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ لِلْقُرْآنِ تَنْزِيلَيْنِ، هُمَا:

التَّنْزِيلُ الْأَوَّلُ: نَزْوَلُهُ جَمْلَةً وَاحِدَةً لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعَزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

التَّنْزِيلُ الثَّانِي: نَزْوَلُهُ مُفْرَقاً مِنْ بَيْتِ الْعَزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِ مَسِيْدِنَا مُحَمَّدَ ﷺ لِمَدَّةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. ②

الْحِكْمَةُ مِنْ نَزْوَلِ الْقُرْآنِ مَنْجَماً (مُفْرَقاً):

نَكْرَنَا أَنْ نَزْوَلَ الْقُرْآنِ اسْتَمَرَ لِمَدَّةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَلِنَزْوَلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَنْجَماً حَكْمًا كَثِيرًا. أَهْمَاهَا:

1- تَشْبِيهُ فَوَادَ النَّبِيِّ ﷺ: أَمَّا مَا يَلَاقِيهِ مِنْ أَذَى الْمُشَرِّكِينَ وَاتِّهَامِهِ لِهِ بِالْكُبْرَى وَالْجُنُونِ وَالْكَهْنَةِ وَتَهْدِيدِهِ، وَبِالْتَّالِي فَنَزْوَلُ الْقُرْآنِ مَنْجَماً يَشْعُرُهُ أَنَّهُ لَيْسَ وَحْدَهُ، الْأَمْرُ الَّذِي يَشُدُّ مِنْ عَصْدِهِ، وَنَجْدُ بَعْضِ الْآيَاتِ تَحْتَهُ مِبَاشِرَةً ﷺ عَلَى الصَّبْرِ وَالْتَّحْمِلِ كَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلْنَا صَبَرًا جَبِيلًا﴾ ③ (الْمَعَارِجُ: 5). وَقُولُهُ تَعَالَى:

﴿فَأَنْزَلْنَا كَمَا صَبَرَ أُولَئِكُمْ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الْأَحْقَافُ: 35). وَالْتَّشْبِيهُ هُنَا لِنَبِيِّ ﷺ فَقْطًا، بَلْ وَلِصَاحِبَتِهِ الْكَرَامَ، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الْأَوَّلِيَّةُ مِنْ نَزْوَلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَنْجَماً فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَجِيدَةً كَذَلِكَ لَتُبَيَّنَ لَهُ فَوْادُكُ وَرَنَّانُكُ تَرْبِيلًا﴾ ④ (الْفَرْقَانُ: 32).

① مناع الفطن، مباحث في علوم القرآن، ص 100-103.

2- التحدي والإعجاز: فمجيء القرآن الكريم منجماً أبلغ في التحدي والإعجاز من نزوله دفعة واحدة. فعندئذ سيقول الفريق المستهدف في التحدي لا طاقة لنا أن نأتي بمثل هذا القرآن جميعه.

3- تيسير حفظه وفهمه على الرسول ﷺ وعلى المسلمين: يقول تعالى: ﴿وَقُرْءَةً أَنَا فَرَقْتُهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى الْأَنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَزَرَّانَهُ نَزِيلًا﴾ (الإسراء: 106) والمقصود بالمكث هنا: التمهل ليتمكن من حفظه وفهمه.⁽¹⁾

4- التلطف بالنبي ﷺ عند نزول الوحي: وذلك بسبب روعة القرآن الكريم وهيبته، فهو الكتاب الذي لو نزل على جبل لتصدع من جلاله وهيبته. قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشَيَّةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: 21) ككيف بقلب النبي الرقيق!

5- مسايرة الحوادث والواقع في حينها: فكلما استجد أمر، أو حصل خطأ، أو انحراف نزل القرآن الكريم على سبيل التعريف والتبيه. ومن أمثلة ذلك: ما حدث في غزوة حنين: فعندما رأى المسلمون أن عددهم يزيد على عدد المشركين دخل الغرور إلى نفوسهم وقالوا: (لن نغلب اليوم من قلة) فكانت النتيجة انهزامهم وتوليتهم الأدبار، فنزل القرآن وسجل ذلك فقال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٌ إِذَا أَغْجَبَتْكُمْ كَرْتُكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ شَمَّ وَلَتَشْمَ مُدَرِّينَ﴾ (التوبه: 25).⁽²⁾

6- التدرج في التشريع: فلو نزل القرآن بما فيه من أحكام وتشريعات جملة واحدة لوقع الناس في ضيق وحرج، وربما لم يتلزم أكثرهم بهذه التشريعات والأحكام. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "إِنَّمَا نَزَّلَ أَوَّلَ مَا نَزَّلَ مِنْهُ مِنْ سُورَةٍ مِنْ مَكْثٍ وَزَرٍّ".

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 3/65.

(2) خالد إبراهيم الفتياوي، مباحث في علوم القرآن، ص 67-69، مناع القطان، المرجع السابق، ص 110 وما بعدها، محمد المجالى، المرجع السابق، ص 57 وما بعدها.

المفصل فيها ذِكْر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا نزنا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً^(١).

ومن أبرز الأمثلة على التدرج في التشريع مسألة تحريم الخمر التي مرت في أربع مراحل، ولم يذكر التحريم الصريح لها إلا في المرحلة الرابعة، وهذه المراحل هي:

أ- المرحلة الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ نَعَذَتِ الْأَيْمَنُ وَالْأَغْنَىٰ نَنْهَا دُونَ سَكَرٍ وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِغَورٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: 67)، فقد أشارت الآية الكريمة إلى أن المسكر ليس رزقاً حسناً، دون الإشارة إلى التحريم.

ب- المرحلة الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَسْتَأْتُوكُمْ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمُنَسِّرِ قُلْ فِيمَا مِنْكُمْ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنْهُمْ مَا أَكْثَرٌ مِنْ أَغْنِيَّهَا ﴾ (البقرة: 219)، وقد بينت الآية الكريمة أن أضرار الخمر الصحية تفوق منافعها التجارية، ولم تشر أيضاً إلى التحريم.

ج- المرحلة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ يَكَانُوا أَلَّا يَنْتَهُوا أَصَلَّوَةً وَأَنْتُمْ شُكَرٌ حَقَّ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء: 43)، وهذه الآية لم تحرم الخمر مطلقاً، وإنما حرمتها وقت الصلاة حتى لا يقرب المسلم الصلاة وهو سكران، وفي المراحل الثلاثة السابقة نهاية ل涯 لتفصل تحريم الخمر مطلقاً.

د- المرحلة الرابعة: وهي مرحلة تحريم الخمر مطلقاً: حيث نزل النص القرآني الفاصل في أمر الخمر، فقال تعالى: ﴿ يَكَانُوا أَلَّا يَنْتَهُوا إِنَّمَا الْمُنَتَّرُ وَالْمُبَيِّرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزَاثُ يَمْسِي وَنَمْ عَنِ الْشَّيْطَنِ فَاجْتَبَيْهُ لِمَلَكُمْ تَقْلِيمُونَ ﴿ ٦١﴾ إِنَّمَا يُرِبُّ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوْقَعَ بِيَنْكُمُ الْمَذَادُ وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمُبَيِّرِ وَيَصْلَمُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْأَصَلَّةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ ٦٢﴾

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (4993).

(المائدة: 90-91) وهاتان الآياتان صريحتان في تحريم الخمر، وكان جواب الصحابة على الآية: انتهينا، انتهينا.⁽¹⁾

7- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل: فنزو له منجماً على قلب رسول الله ﷺ في ثلات وعشرين سنة مع هذا الإحکام والدقة والترابط في المعاني والتناسق بين الآيات وال سور دلالة على أنه ليس من عند بشر بل هو من عند الله.⁽²⁾

القرآن المكي والمدني:

الرأي الراجح عند العلماء في التفريق بين القرآن المكي والمدني، أن القرآن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو كان نزوله خارج مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو نزل خارج المدينة.

أهمية معرفة القرآن المكي والمدني:

إن تحديد القرآن المكي من المدني يفيد في معرفة أمرین هامین هما:

أ- معرفة المتقدم والمتاخر من النصوص بما يفيد الترجيح بين هذه النصوص، وكذلك معرفة الناسخ والمنسوخ، العام والخاص من الآيات.

ب- معرفة الأسلوب الأمثل في الدعوة، إذ لكل مرحلة أسلوبها الدعوي، وبالتالي نخاطب الناس بحكمة، كما أمرنا الله عز وجل بذلك، حيث قال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَرْءَةِ الْمُحَسَّنَةِ﴾ (النحل: 125).⁽³⁾

⁽¹⁾ محمد المجلبي، المرجع السابق، ص 59-61، خالد إبراهيم الفتياوي، المرجع السابق، ص 68-69.

⁽²⁾ مناع القطان، المرجع السابق، ص 116.

⁽³⁾ محمد المجلبي، المرجع السابق، ص 88-89.

ضوابط وخصائص القرآن المكي والقرآن المدني: (١)

أ- ضوابط القرآن المكي:

- 1- كل سورة فيها مسجدة.
- 2- كل سورة فيها لفظ (كلا).
- 3- كل سورة فيها ﴿يَتَأْلِمُ أَنَّا شَ﴾ وذلك بالنظر إلى أغلب السورة، وإلا فهناك سور مكية ورد فيها ﴿يَتَأْلِمُ الَّذِينَ مَاءَمُوا﴾.
- 4- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة سوى سورة البقرة، فهي مدنية.
- 5- كل سورة فيها قصة آدم التنبأة، وإيليس سوى سورة البقرة، فهي مدنية.
- 6- كل سورة تفتح بحروف الته吉 مثل (الم) و(ق) ونحو ذلك، سوى سورتي للبقرة وآل عمران، فهما مدينستان.

ب- خصائص القرآن المكي:

- 1- قصر الآيات والسور ويجازها مع قوة الألفاظ.
- 2- الدعوة إلى أصول الإيمان وأركانه وكل ما يتعلق بحقائق اليوم الآخر.
- 3- الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، والاستقامة على الخير، وفضح المشركين في جرائمهم كسفك الدماء، ووأد البنات، والزنى ونحو ذلك.
- 4- مجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.
- 5- كثرة القسم.

ج- ضوابط القرآن المدني:

- 1- كل سورة فيها فريضة أو حد.
- 2- كل سورة فيها ذكر للجهاد.
- 3- كل سورة فيها ذكر المنافقين سوى سورة العنكبوت، فهي مكية.

(١) خالد إبراهيم الفتياوي، المرجع السابق، ص 102-104.

4- كل سورة فيها ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَنُوا﴾ وذلك بالنظر إلى أغلب آيات السورة وإنما فهناك سور مدنية ورد فيها ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ كsurah البقرة.

د- خصائص القرآن المدنى:

- 1- طول الآيات والسور في أسلوب تشريعى إلزامي هادئ.
- 2- تفصيل أحكام الحدود والجرائم والمعاملات، والحقوق الاجتماعية والقوانين المدنية والدولية.
- 3- مخاطبة أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
- 4- الكشف عن سلوك المنافقين.

أول ما نزل من القرآن الكريم وأخر ما نزل منه:

أول ما نزل على الإطلاق على الرأى الراجح عند العلماء هو قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْسَرَ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَنْقِ ② أَفَرَأَيْسَرَ رَبَّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَوْمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَنَ مَا لَزِيغَ ⑤﴾ (العلق: 1-5).

وآخر ما نزل على الإطلاق على الرأى الراجح عند العلماء هو قوله تعالى:

﴿وَأَتَتُهُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْتَنَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ ⑥﴾

(البقرة: 281). وسبحان الله العظيم فإن العلاقة بين واضحة بين أول ما نزل والذي يتحدث عن ولادة الإنسان وخلق الله له، وبين آخر ما نزل والذي يتحدث عن وفاته ورجوعه إلى الله ليحاسب يوم القيمة على ما عمل.

جمع القرآن الكريم:

أولاً- في عهد الرسول ﷺ:

لم يجمع القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ في مصحف أو صحف، وإنما كانت تنزل عليه الآيات الكريمة فيحفظها حفظاً واعياً وتماماً، وقد تكلم الله عز وجل

بتحفيظ الرسول ﷺ ما ينزل عليه من قرآن، يقول تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسِقَ﴾ (١)، الأعلى: ٦)، وقد بلغ من حرصه ﷺ على حفظ القرآن أنه كان يحرك لسانه به وهو يعني ما يعلمه من الوحي، فطمأنه ربه تبارك وتعالى أنه سيحفظ له هذا القرآن، ويجمعه له في صدره، يقول تعالى: ﴿لَا تُخْزِنْكَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمَعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٢) ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَالْيَوْمَ فُزَانَهُ﴾ (٣) ﴿تُمَّا نَعْلَمْنَا بِيَسَانَهُ﴾ (٤) (القيامة: ١٦-١٩).

وكان جبريل عليه السلام يعارض أي يدارس - النبي ﷺ القرآن في كل عام مرة واحدة، وعارضه إيه في العام الأخير من حياته عليه السلام مرتين، قالت السيدة عائشة والسيدة فاطمة رضي الله عنهما: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: "إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضي العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجي". (٥)

وكلما نزل على رسول الله قرآناً حفظه واتبع طريقتين في حفظه:

الطريقة الأولى: الحفظ في الصدور: فكان القرآن الكريم كله محفوظ في صدر الرسول ﷺ وفي صدور الصحابة، وكان هناك عدد كبير من الصحابة يحفظون القرآن كله.

الطريقة الثانية: الحفظ في السطور: ويقصد بذلك كتابة القرآن الكريم، فقد كان القرآن كله مكتوباً، فقد اتّخذ رسول الله كتاباً لكتابه ما ينزل من القرآن سموا (كتاب الوحي). منهم: الخلفاء الراشدين الأربع، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة. (٦)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٢٤).

(٢) إبراهيم علي عمر، القرآن الكريم، تاريخه وأدابه، ص ٣٦-٤١.

ثانياً- جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ويتضمن ذلك من خلال النقاط التالية: (١)

1- السباعث على جمع القرآن الكريم: هو الخشية من ضياع القرآن نتيجة اشتداد القتل بقراءته وحفظته في مواطن القتال.

2- صاحب فكرة جمع القرآن الكريم هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

3- الأسباب التي رشحت (زيد بن ثابت) لهذه المهمة الجليلة:
أ- كان من الحفظة والكتبة.

ب- كان شاباً، جلداً، قوياً قادرًا على العمل الشاق.

ج- كان معروفاً بذكائه، وضبطه، ودقة تحريه.

د- شهد (العرضة الأخيرة) وهو السبب الذي امتاز به زيد عن بقية الصحابة.

4- خطة (زيد) في جمع القرآن الكريم: وقد اعتمد على مصدرين هما:

الأول: ما كتب بين يدي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه (الكتابة).

الثاني: ما حفظ في صدور الرجال (الحفظ).

5- صارت الصحف التي جمع فيها القرآن الكريم إلى حصة بنت عمر، لا إلى الخليفة الجديد (عثمان).

وهنا أثارت "دائرة المعارف الإسلامية" شبهة حول هذا الموضوع، وهي ألم يكن عثمان أجدر أن تودع هذه الصحف عنده؟ وللرد على هذه الشبهة تقول: بل حصة أولى وأجدر للأسباب التالية:

أ- لأن عمر أوصى بأن تكون الصحف مودعة لديها.

ب- لأنها زوج رسول الله (أم المؤمنين).

ج- لأنها من حفظة القرآن الكريم كلها، وتمكنها من القراءة والكتابة.

(١) خالد إبراهيم الفتياي، الجنان في علوم القرآن الكريم، ص 49-53.

- د- لأن عمر جعل أمر الخلافة شورى من بعده.
- 6- يُعدُّ أبا بكر أول من جمع القرآن الكريم في صحف مجتمعة، مرتب الآيات وال سور، والذي تم خلال سنة واحدة تقريباً، وكان بعد موقعة اليمامة في السنة الثانية عشرة للهجرة.

ثالثاً- جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

يسمى العمل الذي قام به عثمان بالنسبة للقرآن الكريم نسخاً؛ لأنه استند في استنساخه المصاحف على النسخة التي جمعت في عهد أبي بكر رضي الله عنه من الوسائل الكتابية التي كتب عليها القرآن الكريم زمن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، ومن صدور الرجال.

ويتضح عمل عثمان رضي الله عنه من خلال النقاط التالية: (١)

- 1- الباعث على نسخ القرآن الكريم هو: اختلاف المسلمين في قراءة القرآن الكريم، بعد دخول أعداد كبيرة في الإسلام من غير العرب، نتيجة الفتوحات الإسلامية. فقد كان أهل المدينة المنورة يقرؤون القرآن الكريم بقراءة (مصعب بن عمير)، وأهل مكة المكرمة بقراءة (معاذ بن جبل)، وأهل الشام بقراءة (أبي بن كعب)، وأهل العراق بقراءة (عبد الله ابن مسعود)، وغيرهم من البلدان بقراءة (أبي موسى الأشعري).
- 2- كلف عثمان لهذا العمل لجنة تتكون من أربعة أفراد، واحد مدني أنصاري هو: زيد بن ثابت، والثلاثة الباقون: مكيون قرشيون؛ وهم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.
- 3- وضع عثمان منهاجاً لأعضاء اللجنة الرباعية سُميَّ بـ(الرسم العثماني) ويتمثل في اعتماد اللسان القرشي عند حدوث الخلاف؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، فهي اللغة المتواترة والمفضلة أكثر من غيرها لكتابة النص القرآني، وهذا ما أكد عليه عثمان في قوله للرهط القرشيين الثلاثة

(١) خالد إبراهيم الفتياياني، الجنان في علوم القرآن الكريم، ص 53-56.

(إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش
فإنما نزل بلسانهم).^(١)

4- عدد المصاحف التي نسخها عثمان سبعة - وهو القول الراجح الذي عليه
أكثر الباحثين - وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية التالية: مكة المكرمة،
الكوفة، البصرة، الشام، اليمن، البحرين، وترك واحداً في المدينة
المنورة.

5- أمر عثمان بإحرق كل المصاحف الفردية الخاصة؛ لأن بقاءها يزيد من
أسباب الشفاق والاختلاف في قراءة القرآن الكريم.

6- بدأ العمل بنسخ القرآن الكريم، سنة خمس وعشرين للهجرة.^(٢)

يذكر أن الصحابي الذي تتبه إلى الاختلاف في قراءة القرآن الكريم وأبلغ
ال الخليفة عثمان بن عفان بذلك هو: حذيفة بن اليمان رض.

ترتيب الآيات والسور:

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات والسور الذي نجده في المصاحف اليوم
توفيق من الرسول صل عن الله تعالى.^(٣)

عجز القرآن الكريم:

معناه لغة: الضعف وعدم القدرة.

وأصطلاحاً: إثبات القرآن الكريم ضعف الخلق (عرباً وعجم) وعدم مقدرتهم
عن الإتيان بمثله. فإعجز القرآن الكريم هو الدليل القاطع على صدق نبوة محمد
صل.

^(١) جزء من حديث لقى بن مالك. لغره البخاري في صحيحه (4987).

^(٢) أي بعد انتلام عثمان الخلافة سنة واحدة تقريباً.

^(٣) خلد ليهاب بن الغنوي، محاضرات في علوم القرآن، ص 56-61، ومحاجث في علوم القرآن،
ص 47-48.

مراحل التحدي في القرآن الكريم:

تحدى القرآن الكريم جميع الناس أن يأتوا بمثله، في أكثر من مرحلة، وقد شمل هذا التحدي الفترتين المكية والمدنية. ويمكن إجمال آيات التحدي في ثلاث مراحل؛ هي:

1- قوله تعالى: ﴿وَإِن كُثُرْتُمْ فِي رَبِّ مَنَا زَلَّنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَقٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾.

﴿وَادْعُوا شَهِدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَإِن كُثُرْتُمْ صَدِيقِنَ﴾ (البقرة: 23).

2- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ، مُفَرَّضَتِ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطْعُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُثُرْتُمْ صَدِيقِنَ﴾ (هود: 13).

3- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسَانُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِيَمِيلِ هَذَا الْقَزْمَانِ لَا يَأْتُونَ بِيَمِيلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَمْضِي ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88).

والمقصود (بالمثلية) هنا: مثالية في الفصاحة والبلاغة والبيان وترتيب الألفاظ والكلمات، ولا تعني مثالية في المعاني والأخبار والتشريع والعلوم والوجوه الأخرى من الإعجاز القرآني.

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

ذهب أكثر العلماء إلى أن القرآن الكريم معجز من أكثر من وجه، وهو القول الذي نذهب إليه ونرجحه، لذا كانت وجوه الإعجاز القرآني كثيرة ومتعددة، ومن أبرزها:

1- الإعجاز البياتي واللغوي:

ويعد هذا الوجه من أعظم وجوه الإعجاز القرآني وأهمها، فهو الذي وقع فيه التحدي أولاً وآخرأ، وينتظم جميع آيات القرآن الكريم وسوره.

ونعني بالإعجاز البصري: هو ذلك الإعجاز الذي يقوم على النظم القرآني؛ أي ترتيب الحروف في الكلمة، ثم ترتيب الكلمات في الجملة (الآلية)، ثم ترتيب الجمل القرآنية في السورة ترتيباً مقبولاً معمولاً.

2- الإعجاز التشريعي:

وي يعني أن القرآن الكريم جاء بتشريعات في جميع مجالات الحياة المختلفة، مثل الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقوبات والنظام الإسلامية، كالنظام العقدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسرى والحربي، وغيره.

فجده مثلاً آيات تتحدث عن الاقتصاد والمعاملات المدنية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا النِّسَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا وَأَذْهَبُوكُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَمْ يَرْفَعُوكُمْ فَلَا تَنْهُوُنَا﴾ (النساء: 5) ونجد آيات في الأحوال الشخصية مثل قوله تعالى: ﴿ * وَالَّذِينَ يُرْضِعُنَّ أُولَئِكُمْ حَوَلَيْنَ كَامِلَيْنِ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمِمَ الرُّضَاعَةَ *﴾ (البقرة: 233).

ونجد آيات في الجنائيات مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَبَّنَا عَيْنَهُمْ فِيهَا أَنَّ النَّفَسَ يَلْتَفِي وَالْعَيْنَ يَالْمَيْنَ وَالْأَلْفَ إِلَيْنَ وَالْأَذْنَ يَالْأَذْنَ وَالْيَسَنَ يَالْيَسَنَ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ *﴾ (المائد: 45).

وآيات في المعاهدات: ﴿ * وَإِنْ جَنَحُوا إِلَيْنَا فَاجْتَنَبُهُمْ لَمَّا *﴾ (الأనفال: 61).

وفي السياسة: ﴿ وَأَنْزَلْنَاهُ شُورَى يَنْهَمْ *﴾ (الشورى: 38).

وهكذا في كل مجال من مجالات الحياة نجد تشريعاً قرآنياً، وهذا التشريع قد يكون مفصلاً تفصيلاً دقيقاً وقد يكون تشريعاً عاماً دون تفصيل وإنما ترك فيها وجه التفصيل للإجتهاد لتحقيق المصلحة.

3- الإعجاز العلمي:

ويتمثل ذلك في أمرين:

الأمر الأول: حث القرآن الكريم على التفكير والنظر في الكون، الأمر الذي يجعل عقل الإنسان يقبل على الاستزادة من العلم.

الأمر الثاني: اشتمال القرآن الكريم على حقائق علمية لم يعرفها محمد ﷺ ولا قومه، وثبتت في هذا العصر وشهد عليها العلم. فلو كان القرآن من عند محمد ﷺ فمن أين جاء بهذه الحقائق العلمية؟

هذا والأمثلة كثيرة على هذه الحقائق العلمية الموجودة في القرآن الكريم، ومن ذلك:

أ- يقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالَّذِي هُوَ إِخْسَانٌ حَمَلَتْهُ أُمَّةٌ كُفُّارًا وَوَضَعَنَتْهُ كُفُّارًا وَحَمَلَهُ وَفَصَّلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} (الأحقاف: 15)، وقوله تعالى: {وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ} (لقمان: 14) فيثبت هاتان الآياتان أن أقل مدة للحمل ستة أشهر. وهذا ما أثبته العلم الحديث.

ب- يقول تعالى: {مُّتُّمُ أَسْتَوْقِدُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَمَّا وَلَّلَأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا فَالَّذِي أَتَيْنَا طَاهِيْنَ} (فصلت: 11)، وقد دلت هذه الآية الكريمة على أن لصل مادة السماء هي دخان، وهذا أيضاً ما أثبته العلم الحديث.

وقد كان لهذا المظهر من الإعجاز الأثر الكبير في دخول كثير من العلماء في الإسلام، ومن الأمثلة على ذلك إعلان أحد القساوسة المنصريين واسمه "إبراهيم خليل أحمد" إسلامه، الذي قال عن القرآن العظيم:

"اعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجدياً، أي لا يوجد خالق لهذا الكون، ولا بر رسالة سماوية، وجاعني نفر من الناس وحذثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه لأمنت برب العزة والجبروت، خالق السموات والأرض)."

وهذا عالم ألماني يعلن أن سبب إسلامه هو قوله تعالى: ﴿بَلْ قَدِيرُنَا عَلَى أَن نُسْتَوِيَ
بَنَانَة﴾ (القيامة: 4) ذلك أن الكشف عن أمر بسمات الأنامل لم تعرفه أوروبا
فضلاً عن العرب إلا في زماننا هذا، وبالتالي فالقرآن كلام الله لا كلام البشر.⁽¹⁾
فإلاعجاز العلمي من أفضل وسائل الدعوة الإسلامية، كما يعد من أبرز وجوه
الإعجاز القرآني في هذا العصر.

4- الإعجاز الغيبي:

وموضوعه: أنبياء الغيب والأخبار التي أوردها القرآن الكريم، وأنواعه ثلاثة:
أ- غيب الماضي (الإعجاز التاريخي): حيث تحدث القرآن الكريم عن أمور
من غيب الماضي لم يعاصرها الرسول ﷺ ومن أمثلة ذلك: قصص الأنبياء
السابقين مع أقوامهم.

ومن ذلك ما أخبر الله به عن لقب (الملك) في قصة يوسف عليه السلام، بينما أخبر
عن لقب (فرعون) في زمن موسى عليه السلام، وكلاهما كان في مصر.

ب- غيب الحاضر: ومثاله كشف القرآن الكريم عن قصد المنافقين من بناء
مسجد الضرار، وكشف مؤامرتهم لاغتيال الرسول ﷺ وهو عائد من تبوك.

ج- غيب المستقبل (الأخبار المستقبلية): فقد أخبر القرآن الكريم عن أمور
مستقبلية كثيرة، ووّقعت فعلاً. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ إِلَيْهِمْ وَبِنِي إِحْرَانَ لِيُظْهِرَهُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْكَرَهُمْ
(٢٦)﴾ (التوبه: 33). وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَّظِرُونَ﴾ (الحجر: 9)
وقوله تعالى: ﴿لَعَذَ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ أَرْذَلَ يَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا مِنْ بَيْنِ
مَأْمَنَتِمُحْلِفِينَ رُهْ وَسَكُنَ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَحْاَلُونَ٣ فَمِمَّا
فَيَرَبَّا﴾ (الفتح: 27).

⁽¹⁾ محمود لحمد الدوسرى، عظمة القرآن العظيم، ص 341، 348.

حكم ترجمة القرآن الكريم:

يختلف حكم ترجمة القرآن الكريم باختلاف نوع الترجمة:

أولاً: الترجمة الحرفية للقرآن الكريم (اللفظية): وتعني ترجمة ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته وتراكيبيه ترجمة طبق الأصل.

هذا النوع من الترجمة غير جائز لأنه غير ممكن، والسبب في ذلك أن اللغات الأخرى -غير العربية- ليس فيها من الألفاظ والضمائر والمفردات ما يقوم مقام الألفاظ العربية، وبالتالي فإن الاقتصر على بعض الألفاظ قد يفسد المعنى. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ لِيَسْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَسْ لَهُنَّ﴾ (البقرة: 187) فلو ترجمنا هذه الآية ترجمة حرفية لفسد المعنى تماماً.

ثانياً: الترجمة التفسيرية: وهي ترجمة معاني القرآن الكريم، من غير تقيد بالألفاظ والمفردات.

هذا النوع من الترجمة جائز، لأنها لا تعتبر قرآناً وهي مطلوبة لما فيها من الدعوة إلى الله عز وجل.⁽¹⁾

واحجنا تجاه القرآن الكريم:

1- تلواته: فنحن مأمورون بتلاوة القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِيمِ الصَّلَاةَ﴾ (العنكبوت: 45)، وقد وعدنا الله تعالى بالأجر العظيم على التلاوة، يقول ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "الم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف".⁽²⁾ وقال ﷺ: "اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً للأصحاب...".⁽³⁾

(1) محمد الماجلي، المرجع السابق، ص 191.

(2) أخرجه الترمذى فى سننه (2910): وقال عنه: حسن صحيح.

(3) أخرجه مسلم فى صحيحه (804).

إن تلاوة القرآن لها أثر كبير في نفس المؤمن، بل لقد كانت التلاوة سبباً في دخول كثير من الناس في الإسلام، يقول د. أحمد نسيم سوسة الذي كان يهودياً قبل أن يسلم: "يرجع ميلى إلى الإسلام بينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فولعت به ولعاً شديداً... و كنت أطرب لتلاؤه آياته".

ونقول الفيلسوفة البريطانية "هوني": "إن أستطيع مما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكُد أنهى من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، كانت هذه أول صلاة لي في الإسلام".⁽¹⁾

2- تدبر القرآن الكريم: فالقصد من نزول القرآن العمل به، والعمل بالقرآن لا بد له من التدبر. ولذلك قال تعالى: ﴿كَتَبْ أَزْنَانَهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِتَدْبِرُهُ مَا يَتَبَرَّكُ أَفْلَأُ الْأَنْبِيَاءُ﴾ (ص: 29)، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْيَلَنَا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82).

3- العمل بالقرآن الكريم: فهذا هو المقصد من نزول القرآن كما قلنا، لقد مر معنا أن من مظاهر إعجاز القرآن الإعجاز التشريعي، وهذه التشريعات التي اشتمل عليها القرآن إنما أنزلت علينا لنعمل بها.

4- حفظ القرآن الكريم: فالواجب علينا أن نحفظ ما نستطيع من كتاب الله، ويكتفى لمن حفظ القرآن أنه يقال له يوم القيمة كما قال النبي ﷺ في الحديث؛ يقال لصاحب القرآن: "اقرأ ورقاً ورقل كما كنت ترثل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها".⁽²⁾

⁽¹⁾ محمود أحمد الدوسري، المرجع السابق، ص 344، 346.

⁽²⁾ أخرجه الترمذى فى سننه (2914) وقال عنه: حسن صحيح، وابو داود فى سننه (1464).
والفظ للترمذى.

المطلب الثاني

السنة النبوية الشريفة

تعد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وكذلك المصدر الثاني من مصادر الثقافة الإسلامية.

وقد عبر القرآن الكريم عن السنة النبوية بـ(الحكمة). قال تعالى:

﴿ وَأَذْكُرْنَا مَا يُشَكِّنُ فِي بُوْيَكُنَّ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ وَالْحَسْنَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴾ (الأحزاب: 34). وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمَاتِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَسْلُوا عَنْهُمْ إِيمَانَهُمْ وَرَزَّكَهُمْ وَرَعَلَهُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنَّ كَافَّا مِنْ قَبْلِ لَقِيَ صَلَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: 2)

تعريفها:

لغة: مصدر (سن) وتدور معاني هذه المادة اللغوية حول: الصقل، والعلاج، والتمهيد والبيان، والطريق القوي، والجريان والاطراد.⁽¹⁾

ونحن لا نذكر هذه المعاني اللغوية للترف العلمي، وإنما نذكرها للعلاقة الوطيدة بينها وبين المعنى الاصطلاحي، فالسنة النبوية صقلت الأمة الإسلامية، وأحسنت تربيتها، وهي الطريق القوي الذي وضعه رسول الله ﷺ لهذه الأمة، وجرت أحكامها واطردت في جميع ميادين الحياة.

اصطلاحاً: هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم من قول، أو فعل، أو تقرير، وهذا عند الأصوليين.⁽²⁾

وعند الفقهاء: فالسنة هي: الصفة الشرعية للفعل، فيقال هذا الفعل سنة، معنى أنه ليس فرضاً ولا واجباً، وبالتالي ينتاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

(1) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (سن).

(2) عبد لكري姆 زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ص 161، وإبراهيم سلقيني، الميسر في أصول الفقه الإسلامي، ص 72.

أما عند أهل الحديث؛ فالسنة هي: ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقيّة، من مبدأ بعثته إلى وفاته.^(١)

الفرق بين السنة والحديث:

الحديث أعم من السنة من حيث المفهوم، فهو يتناول: ^(٢)

- 1- كل ما صدر عن النبي ﷺ ولو كان منسوباً.
- 2- صفات النبي ﷺ الخلقية من حيث لونه وجسمه وشعره وطوله.
- 3- صفات النبي ﷺ الجبلية من حيث صحته ومرضه وطعامه وشرابه.
- 4- أخبار ما قبلبعثة.

وعليه نستطيع القول بأن كل سنة حديث، وليس كل حديث سنة.

أمثلة على أقسام السنة النبوية:

1- **السنة القولية**: هي ما نطق به الرسول ﷺ مما يتعلق بالتشريع، وهي كثيرة جداً. ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ "من دل على خير فله مثل أجر فاعله".^(٣)

2- **السنة الفعلية**: هي أفعاله ﷺ الخاصة بالتشريع، مثل وضوئه وصلاته وحجه. ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله ﷺ "صلوا كما رأيتموني أصلني"^(٤). وقوله "لتأخذوا مناسككم فإني لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتي هذه".^(٥)

3- **السنة التقريرية**: هي سكوت الرسول ﷺ على قول أو فعل صدر في حضرته، أو في غيرته وعلم به. ومن الأمثلة على ذلك: إباحة أكل الضب: فقد سئل

(١) همام سعيد، التمهيد في علوم الحديث، ص 11.

(٢) المرجع نفسه، ص 11-12.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (1893).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (631، 6008، 7246).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (1297).

النبي ﷺ عن الضب؟ فقال: «لست بأكله ولا محرمه». (١) وحديث معاذ بن جبل حينما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن.

أقسام السنة من حيث السند (الرواية):⁽²⁾

تقسيم السنة عند حمود العلامة من حيث السند إلى قسمين، متواترة، وأحاد.

- السنة الممتدة

وهي ما رواها عن الرسول ﷺ في العصور الثلاثة (عصر الصحابة، وتابعـي التـابـعين) جـمـعـكـبـرـ يـسـتـحـيلـ عـادـةـ تـوـاطـؤـهـمـ عـلـىـ الـكـذـبـ مـنـ بـدـاـيـةـ السـنـدـ إـلـىـ مـنـتـهـاهـ.

وتقسم السنة المتواترة إلى قسمين:

أ- المَوْاْتِرُ الْفَظِيُّ: وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي انْفَقَ رَوَاتِهِ عَلَى لَفْظِهِ، فَيُرُوِّيُهُ كُلُّ

وَاحِدٌ بِنَفْسِ الْلَّفْظِ الَّذِي رُوَاَهُ بِهِ غَيْرُهُ.

⁽³⁾ مثلاً، ذلك: قوله ﷺ: "من كذب علىٰهٗ متعمداً فليسوا مقيده من النار".

فقة ديننا، هـذا الحديث أكثر من سبعين صحابياً، وهذه الأحاديث المتوافرة

لأنه لا يقل عن العدد المأمور به في العادة، فـعشرات الأحاديث فقط.

- المتن المعنوي: وهو الحديث الذي اتفق رواه على المعنى دون

七三

.....، ذلك: أحاديث عذاب القراءة ونعمته، فقد رواها حمزة، وأربعين صحابيًّا،

ومن هذه الأحاديث:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٤٣). والترمذى في سننه (١٧٩٠) وقال عنه: حسن صحيح.

⁽²⁾ عبد الكيم زيدان، المراجع السابق، ص 168-171، وأبراهيم سلقيني، المراجع السابق، ص 75

⁷⁷- شرف القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، ص 104-106.

⁽³⁾ اخرجه البخاري في صحيحه (6197)، ومسلم في صحيحه (3004).

عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: "إنهما ليغذيان وما يغذيان في
كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي في النمية".⁽¹⁾
والأحاديث المتواترة بالمعنى أكثر من المتواترة باللفظ فهي تبلغ مئات
الأحاديث، ومع ذلك فالمتواتر بقسميه لا يكاد يتعدى 1% من مجموع الأحاديث
النبوية الشريفة.

هذا وتتجدر الإشارة إلى أن أحاديث الوضوء والصلوة والصوم والحج والزكاة
هي أحاديث متواترة.

حكم السنة المتواترة:

ذهب جمهور العلماء إلى أن السنة المتواترة بنوعيها -اللفظي والمعنوي-
تفيد اليقين، وهي قطعية الثبوت، ويجب الاعتقاد والعمل بها في العقائد والأحكام،
ويكفر منكرها، لأن المنكر لها يُعد كمن سمعها من النبي ﷺ فأنكرها، فهو مكذب
له ﷺ.

2- سنة الآحاد:

ونقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- السنة المشهورة: وهي ما رواها جماعة في كل حلقات السند ولم تبلغ حد
التواتر؛ وأقل الجماعة ثلاثة، ولا يوجد حد معين للتواتر.
والحديث المشهور قد يكون صحيحاً، أو حسناً، أو ضعيفاً، وذلك حسب توفر
شروط الصحة.

مثال المشهور الصحيح: قوله ﷺ: "إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل".⁽²⁾

ومثال المشهور الحسن: قوله ﷺ: "لا ضرر ولا إضرار".⁽³⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (218).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (894)، ومسلم في صحيحه (844)، والنسائي في سننه
الصغرى (1377)، (1408).

(3) أخرجه ابن ماجة في سننه (2341).

ومثال المشهور الضعيف: "صوموا تصحوا".⁽¹⁾

بـ- العزيز: وهو الذي في أقل حلقاته راوٍ يران على الأقل.

مثال ذلك: "لا يؤمن أحدكم حتى تكون أحب إليه من والده وولده والناس

أجمعين".⁽²⁾

والعزيز قد يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً.

جـ- الغريب: وهو الذي في إحدى حلقاته راوٍ واحد، وهذا بغض النظر عن عدد الرواية في بقية الحلقات.

مثال ذلك: الحديث الذي لم يروه عن النبي ﷺ إلا عمر بن الخطاب

"إنما الأعمال بالنيات".⁽³⁾

والحديث الغريب قد يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً، وذلك بحسب توفر

شروط الصحة أو عدم توفرها.

حكم حديث الآحاد الصحيح:

ذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب العمل بالحديث الآحاد إذا كان صحيحاً أو

حسناً في العقيدة وغيرها، وإن كان يفيد العلم الظني، ومنكر حديث الآحاد الصحيح

أو الحسن آثم وليس بكافر.⁽⁴⁾

(1) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطبلة النبوية من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(زين الدين العراقي، المغني، 3/85).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (44)، والنسائي في سننه الصغرى (5016)، وأبي ماجة في سننه

.(67)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (1)، والنسائي في سننه الصغرى (3825، 75)، وأبي ماجة في

سننه (1647)، وبنلظ (بالنية) عند مسلم في صحيحه (1907)، والترمذى في سننه (4427)،

وأبو داود في سننه (2201).

(4) شرف القضاة، المرجع السابق، ص 107-113.

حكم الحديث الضعيف:

الراجح والله أعلم أن الحديث الضعيف مردود ولا يثبت به شيء من الدين لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ، ولكن يستحب العمل به في فضائل الأعمال، أي في المستحبات والمكرورات، ولا يقبل في العقائد ولا الواجبات ولا المحرمات.

ويشترط للعمل به:

أ- أن يكون ضعفه يسيراً.

ب- أن يكون مندرجأ تحت أصل عام، أي ليس شيئاً جديداً تماماً.⁽¹⁾

الحديث القدسي:

الحديث القدسي هو: الحديث الذي أضيف إلى الله تعالى، وسمى بذلك بالإضافة إلى الذات القدسية، فهو من كلام الله، أي أن لفظه ومعناه منزل من عند الله، ذلك أننا نجد في كل حديث قدسي عبارة قال الله تعالى أو يرويه عن ربه ولكن ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي؟

الجدول التالي يبين الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوى:⁽²⁾

الحديث النبوى	الحديث القدسي	القرآن الكريم
معناه من الله تعالى، ولفظه من الرسول	لفظه ومعناه من الله تعالى	لفظه ومعناه من الله تعالى
غير معجز بلفظه	غير معجز بلفظه	معجز بلفظه
غير متعدد بتلاوته	غير متعدد بتلاوته	متعدد بتلاوته
غير متواتر كلها	غير متواتر كلها	متواتر كلها

⁽¹⁾ شرف القضاة، المرجع السابق، ص 114.

⁽²⁾ شرف القضاة، المرجع السابق، ص 118-119.

كتاب السنّة وتدوينها وتصنيفها:

كتاب السنّة النبوية الشريفة:

في البداية نهى النبي ﷺ عامة الصحابة عن كتابة السنّة. فقال "ومن كتب عن غير القرآن فليمحه".⁽¹⁾

وأذن لبعض الصحابة مثل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهى قريش وقالوا: أنكتب كل شيء تسمعه ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأوّلما باصبعه إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق".⁽²⁾

والسبب في ذلك والله أعلم:

1- خوفاً من أن يضيع شيء من القرآن وذلك لقلة عدد الكتبة فخصص عبد الله بن عمر بن العاص لكتابه الحديث.

2- خوفاً من أن يشغل الصحابة بكتاب السنّة عن كتابة القرآن وهو أولى.

3- خوفاً من أن يختلط القرآن بغيره وذلك لقلة وسائل الكتابة آنذاك. فلما أمن ذلك من عبد الله أذن له الرسول بالكتابة.

ثم أذن النبي ﷺ لمن شاء أن يكتب بل أمر أحياناً بالكتابة، مثل كتابة معاهداته الظليلة. وهكذا لم يتوف الرسول إلا وكانت السنّة قد كُتبَ كثير منها، وزادت الكتابة في عهد الصحابة، فقد ثبت أنه كان لعشرات الصحابة عدد من الصحف مثل (**الصحيفة الصادقة**) التي جمعها عبد الله بن عمرو بن العاص و(**الصحيفة الصحيحة**) التي جمعها الصحابي الجليل أبو هريرة، وكذلك صحيفة جمعها سعد بن عبادة الأنصاري.

⁽¹⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (3004).

⁽²⁾ أخرجه أبو داود في سننه (3646)، والإمام أحمد في مسنده (6510)، والدارمي في سننه (25/1)، والحاكم في مستدركه (104/1).

تدوين السنة النبوية الشريفة:

التدوين معناه: جمع الأحاديث في دواوين وهي كتب كثيرة نسبياً ولكنها غير مرتبة.

بدأ تدوين السنة النبوية في القرن الهجري الأول بجهود فردية ثم تم الانتقال إلى الأمر الرسمي بالكتابة الذي أصدره عمر بن عبد العزيز للإمام الزهري والذي بدأ في نهاية القرن الهجري الأول.

تصنيف السنة النبوية الشريفة:

وهو ترتيب الأحاديث على الموضوعات أو الصحابة، ومن هذه المصنفات: موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، والكتب السنة وهي (صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذى وسنن النسائي وسنن أبو داود وسنن ابن ماجة).

مكانة السنة النبوية من القرآن الكريم:

لا تقل السنة النبوية مكانة عن القرآن الكريم، فهما من حيث التشريع في مرتبة واحدة، وأما من حيث الذكر والشرف والثبوت؛ فالسنة النبوية تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم.

والحديث عن السنة النبوية باعتبارها مصدراً من مصادر الثقافة الإسلامية يمكن في بيان مكانة السنة النبوية ووظيفتها من القرآن الكريم، وهي على النحو التالي: ^(١)

١- السنة مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم: كالأمر بالصلوة والصوم والزكاة والحج...الخ. وهذه المأمورات ثابتة بالقرآن الكريم، وجاءت السنة النبوية فأكملت ذلك.

^(١) إبراهيم سلقيني، المرجع السابق، ص 83-86.

ومثاله: قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يَفْلَهُ﴾ (١٠). يوافق قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرْبَى وَهُنَّ طَالِبُهُمْ إِنَّ أَخْذَهُمْ أَلَيْمٌ سَدِيدٌ﴾ (١٠) (هود: ١٠).

2- السنة ناسخة لحكم ثبت بالقرآن الكريم: ومثاله: قوله ﴿لَا وصيَّةٌ لِوَارثٍ﴾⁽²⁾. نسخ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ حِি�زاً الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: 180).

3- السنة مثبتة لحكم سكت عنه القرآن الكريم، فيكون الحكم ثابتاً بالسنة:
ومثاله: تحريم لبس الحرير والذهب على الرجال، وتحريم أكل الحيوانات
والطيور الجارحة، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وختالتها، ووجوب
صدقه الفطر، ورجم الزاني المحسن.

4- السنة مبينة لما جاء في القرآن الكريم: فهي مفسرة لنصوص مجملة؛ كالآحاديث الواردة في بيان أوقات الصلاة وعدد ركعاتها، وأموال الزكاة وأنصبتها.

5- السنة مخصصة لعلوم القرآن الكريم، ومقيدة لمطلبها:

ومثال تخصيص العام: استثناء ميّة البحر من عموم قوله تعالى ﴿ حَرَمَ عَنْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ (المائدة: ٣)، فقد سُئلَ النبِيُّ ﷺ عن البحر فقال: "هُوَ الطَّهُورُ مَا وَهُوَ لِلْجَنَاحِ" (الحل مبتهٰ).^(٣)

ومثال تقيد المطلق؛ تقيد السنة قطع يد السارق من الرسخ للخروج من العلوم الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُلُهُمَا أَيْدِيهِمَا﴾ (المائدة: ٣٨).

^(٤) لخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٨٦).

⁽²⁾ لخرجه للترمذى فى سنة (2120، 2121) وقال عنه: حسن صحيح، والثانى فى سنة الصغرى (3671)، ولبن ماجة فى سنة (2713)، ولبلو داود فى سنة (2870).

⁽³⁾ أخرجه الترمذى فى سننه (69) وقال عنه: حسن صحيح، والنمسائى فى سننه الصغرى (333)، وبين ماجة فى سننه (387)، ولبو دلود فى سننه (83).

المبحث الثاني

روافد الثقافة الإسلامية

المطلب الأول

الفكر والتراث الإسلامي

الفكر الإسلامي:

تقديم في المبحث الثالث من الفصل الأول تعريف الفكر لغة واصطلاحاً، ومفهوم الفكر الإسلامي، والعلاقة بينه وبين الثقافة الإسلامية، بما يغني الحديث عنه هنا.

التراث الإسلامي:

تعريفه: هو كل ما تركه السلف للخلف، أو الأجيال السابقة للأجيال الحاضرة؛ في العلوم الشرعية، واللغوية، والأخلاقية، والتاريخية، والمنزلية، والعمريانية، والأثرية، والإنسانية من عادات وتقالييد وفنون وأساليب الحياة المختلفة.

الفرق بين الوحي والتراث:

- 1- الوحي كلام الله تعالى، والتراث كلام الإنسان وعمله.
- 2- الوحي معصوم عن الخطأ؛ لأنَّه كلام رب العالمين، أما التراث فليس معصوماً فهو خاضع للصواب والخطأ، والنفع والضر.
- 3- الوحي يأخذ صفة القداسة والخلود والإعجاز، أما التراث فليس كذلك.

مواد الوحي والتراث:

- 1- القرآن الكريم والسنة النبوية وحي، أما نقلهما إلى شريط التسجيل أو الحاسوب، وكذلك (جميع مظاهر تطور وتحسين القرآن الكريم من حيث

الإعجام والشكل والتجزئة وإسهام الخطاطين وظهور المطبع الحديثة^(١). يعد كل ذلك من التراث، لأنه من عمل الإنسان.

2- اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم (لغة التنزيل) تعد من الوحي، أما اللغة العربية التالية للنص اللغوي الذي نزل به القرآن الكريم ف تعد من التراث، لأنه دخل عليها عمل الإنسان الذي تمثل بالشكل والإعجام. وأصبح القرآن الكريم يقرأ منقوطاً ومشكولاً بعد أن كان يقرأ بدون نقط ولا شكل بضعاً وأربعين سنة حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة خمس وستين للهجرة.^(٢)

المطلب الثاني

الفقه الإسلامي ومذاهبه

تعريف الفقه والمذهب لغة واصطلاحاً:

أولاً- الفقه:

الفقه لغة: الفهم والعلم. يقال: فقه الشيء أي فهمه وعلمه.^(٣)

الفقه اصطلاحاً: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلةها التفصيلية.^(٤)

ثانياً- المذهب:

المذهب لغة: هو الطريق.

(١) خالد إبراهيم الفتياي، الجنان في علوم القرآن الكريم، ص58.

(٢) المرجع نفسه، ص58.

(٣) ابن منظور، المصدر السابق، الجوهرى، الصحاح في اللغة، مادة (فقه).

(٤) الأدمي، الإحکام في أصول الأحكام، (6/1).

المذهب اصطلاحاً: هو المنهج الفقهي الذي سار عليه فقيه مجتهد اختص به بين الفقهاء، وبه جملة من الأحكام اختارها في مجال علم الفروع بناء على أصول خاصة به في كيفية استبطاط الأحكام.

وحتى لا تختلط المصطلحات؛ لا بد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين الفقه والشريعة. يتجلّى في أمرين:

الأمر الأول: الشريعة مبنية على الوحي الخالص التي لا مجال لرأي الإنسان فيها. في حين أن الفقه ليس كله كذلك، فبعض مسائل الفقه خاضعة لاجتهاد الفقهاء.

الأمر الثاني: الشريعة أشمل من الفقه، فهي تشمل كل الأحكام التي يحتاجها الناس في حياتهم. أما الفقه فإنه خاص بالأحكام العملية؛ كالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.⁽¹⁾

خصائص الفقه الإسلامي:

لما كان الفقه الإسلامي يمثل الشكل القانوني للأحكام الشرعية في مجالات معينة، فإن البعض يقارنه بالأنظمة الوضعية. وهذه المقارنة تحتاج إلى انتباه، لأن هناك ميزات وخصائص للفقه الإسلامي لا توجد في الأنظمة الوضعية. وهذه الخصائص هي:

الأولى: إن مصدر الفقه الإسلامي هو الشريعة الإسلامية وليس العقل البشري.

الثانية: الشمول، فالفقه الإسلامي شامل لكل ما يحتاجه الناس في حياتهم.

الثالثة: الثبات، ويكون في أسسه العامة والخطوط العريضة.

الرابعة: المرونة، حيث أنه يحمل في أداته إمكانية إعطاء الأحكام الشرعية في المسائل التي تستمد في حياة الناس بسبب تغير الأزمان وتطور

⁽¹⁾ عبد الكرييم زيدان، *المصدر السابق*، ص 56.

الحياة البشرية. وهذه المرونة تعتمد على إيداعات المجتهدين في استنباط الأحكام لهذه المسائل.⁽¹⁾

الخامسة: القدرة على تحقيق مصالح العباد؛ لأن الفقه يعتمد على الوحي الإلهي الذي أنزله الله العليم بما ينفع عباده.

السادسة: إن الجزاء فيه له بعده دنيوي وأخروي لتسقيم حياة الناس وتصلح أحوالهم، وينجوا في الآخرة من عقاب الله.

تطور علم الفقه:

الفقه الإسلامي بصورته الحالية ونظمه الذي نراه عليه الآن، كعلم له مؤلفاته الكثيرة وأسسه وأصوله المنضبطة. ليس وليد لحظة. بل هو ثمرة جهود كبيرة ومراحل عدة وأدوار مر بها ومراحل تنقل بينها. وهو يرتفقي ويتألق حتى أصبح كما نراه. وهذه المراحل هي:⁽²⁾

المرحلة الأولى: عصر النبوة
وتبدأ من عهد النبي ﷺ حتى وفاته ﷺ، وكانت حلقة تطبيق الفقه ومرجعيته في هذه المرحلة بيد النبي ﷺ.
وقد طبق الفقه ومورست أحكامه في حياة الناس في أبهى صوره.

المرحلة الثانية: عصر الخلفاء الراشدين
وتبدأ من بداية عهد الصديق وحتى منتصف القرن الأول، وقد امتاز الفقه في هذه المرحلة بسرعة الاتساع بسبب انتشار الفتوحات وظهور الكثير من الأمور

(1) عمر الأشقر، المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، ص 42.

(2) مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي العام، ص 150-153، عبد الكريم زيدان، المصدر السابق، ص 115.

المستجدة في البلاد المفتوحة، والتي لا بد من بيان حكم الشرع فيها، الأمر الذي دفع فقهاء الصحابة إلى الاجتهد فيها على ضوء قواعد الشريعة وأسسها العامة.

المرحلة الثالثة: من منتصف القرن الأول إلى أوائل القرن الثاني

في هذه المرحلة ونتيجة لتأثير كبار الصحابة ودورهم التعليمي في تعليم أهل البلاد التي دخلوها، تأسس عهد جديد للفقه الإسلامي، فقد ظهر بعض العلماء من التابعين، ونشأ فيها بدايات تكون المدارس الفقهية، وأشهرها مدرسة أهل الحديث في الحجاز، وتميزت بكثرة اعتمادها على رواية الحديث بسبب قربها من منبع الحديث النبوي الشريف، وقلة اعتمادها على الاجتهد لقلة الحاجة لذلك.

والمدرسة الثانية مدرسة أهل الرأي في العراق، وتميزت بكثرة اعتمادها على الاجتهد ولضعف انتشار الحديث النبوي هناك.

المرحلة الرابعة: من بداية القرن الثاني وحتى منتصف القرن الرابع

هنا توسيع دائرة الفقه الإسلامي وارتبطت بتفاصيل حياة الناس، وظهرت المذاهب الفقهية الأربع المشهورة. وبدأ فيها تدوين الفقه الإسلامي.

المرحلة الخامسة: من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع

ويمكن وصف هذه المرحلة بأنها بدايات ركود حركة الاجتهد وظهور المذهبية والتعصب للمذهب والاكتفاء بالتقليد.

ولكن مع ذلك هناك إنجازات مهمة منها: الاهتمام الكبير بعلم أصول الفقه حيث انشغل علماء كل مذهب بتأصيل مذهبهم، والعناية بكتب الفتاوى لحاجة الناس إليها، وظهر علم المناظرة بين العلماء مما أثرى بعض الجوانب العلمية والثقافية في حياة المسلمين.

المرحلة السادسة: من نهايات القرن السابع إلى بدايات القرن الثامن عشر في هذه المرحلة تكرست الجهد أكثر وكاد الاجتهد يختفي تماماً. إلا من بعض العلماء الفحول وإن كانوا قلة، وتوسعت دائرة التقليد، وعلى صعيد التأليف والتدوين اشتهرت هذه الفترة بطريقة المتنون المختصرة في التأليف الفقهية، وكتب الفتوى وبدايات حركة تقنيات الفقه.

المرحلة السابعة: من بدايات القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحالي وهذه المرحلة كسابقتها في ركود الاجتهد واتساع دائرة التقليد. إلا أن ما يميز هذه المرحلة الاهتمام بتقنيات الفقه كما حصل في مجلة الأحكام العدلية، والتأليف في النظريات الفقهية الناظمة للأحكام، وظهور المعاجم المفهرسة لكل العلوم ليسهل على المسلم الحصول على المعلومة، كما هو الحال في تسخير علم الحاسوب والبرمجيات بحيث أصبح الوصول إلى النص أو الحكم الشرعي ومعرفة آقوال العلماء فيه لا يستغرق سوى ثوانٍ معدودة.

بعد هذا السرد التاريخي لتطور أدوار الفقه سنطلع على أهم المذاهب الفقهية.

المذاهب الفقهية:

لولا - المذهب الحنفي:

وسمى بذلك نسبة إلى إمام المذهب الأول أبو حنيفة رحمة الله.

تعريف بإمام المذهب: ⁽¹⁾

هو للنعمان بن ثابت 80-150هـ.

⁽¹⁾ الذهبي، سير أعلام النبلاء (6/390)، وذكرة الحفاظ (1/166)، ابن الجارود، المنتقى في سرد الكلى (1/76)، ابن حلكان، وفيات الأعيان (1/25)، ابن عمار الحنبلي، شذرات الذهب (1/111).

ولد في الكوفة بالعراق. وهو من أتباع التابعين. أدرك بعض صغار الصحابة، ولكنه لم يلتقي بهم. كان موسوعياً مبرزأً في العلوم كلها، توفي في بغداد ودفن فيها.

تلقى العلم على يد كبار العلماء كإبراهيم النخعي وحمد بن سليمان وجعفر الصادق.

١- تلاميذه: (١)

كان لأبي حنيفة العديد من التلاميذ في حلقاته العلمية المتعددة. ومن أشهرهم القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر والحسن بن زياد وابنه حماد. اشتهر بعمله تاجراً وضرب أروع الأمثلة لصورة التاجر العالم المؤمن الصادق. وكان ينفق أكثر أمواله على طلبة العلم.

٢- أصول المذهب الحنفي: (٢)

الأصول التي اعتمد عليها الحنفية في استنباط الأحكام الشرعية هي: الكتاب، السنة، أقوال الصحابة، الإجماع، القياس، والاستحسان.

٣- كلمة لا بد منها:

ما اشتهر عند الناس أن مذهب الحنفية يكثر من الاعتماد على الرأي وليس الرواية، وهذا جعل البعض يتهم أبا حنيفة إما بقلة درايته بعلم الحديث والرواية، أو أنه يقدم الرأي والعقل على الحديث. وكلا الاتهامين باطل، فإن لأبي حنيفة باعاً طويلاً في علم الحديث. وهو محدث، وروى عنه تلاميذه مستندأً خاصاً به.

وكان من أكثر العلماء تشديداً في شروط قبول صحة الحديث حتى من البخاري لحرمه على التسبيب في نسبة الأحاديث إلى الرسول ﷺ.

(١) محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، ص191، عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص32.

(٢) محمد أبو زهرة، المصدر السابق، ص235.

وهو أيضاً على درجة عالية من الورع والتقوى بشهادة كل من عاصره،
ورعاً يمنعه من تقديم رأيه على حديث رسول الله ﷺ.

ولكن الأمر في حقيقته أن نسبة إلى العراق التي عاش فيها أبو حنيفة، والفتراء
التي عاصرها اشتهرت بكثرة وضع الأحاديث كنباً من قبل بعض الفرق التي تزامن
ظهورها مع عصر أبي حنيفة. الأمر الذي جعل أبو حنيفة يتشدد كثيراً في شروط
قبول الحديث والاعتماد عليه في استنباط الأحكام منه حتى لا ينسب إلى النبي ﷺ
ما لم يقله. وهذا قمة الورع منه -رحمه الله-. فلئن ينسب الاجتهاد إلى نفسه -ولو
أخطأ فيه- أهون عليه من أن يتสาهله في قبول أي حديث وينسبه إلى النبي ﷺ.

ومن شروط أبي حنيفة في قبول الحديث:

- 1- أن لا يخالف عمل الراوي روایته. وإلا فيعتمد على عمله لا روایته.
- 2- أن لا يكون مما تعم به البلوى.
- 3- أن يكون الراوي فقيهاً.
- 4- أن لا يخالف القياس.

هذه الشروط إذا توفرت في خبر الواحد قبل واعتمد عليه في استنباط الأحكام
الشرعية.^(١)

وقد انتشر المذهب الحنفي انتشاراً واسعاً لأسباب كثيرة أهمها: كثرة تلاميذه
وانتشارهم في الآفاق، وكونه كان في بغداد عاصمة الخلافة التي كانت محطة رحال
طلاب العلم من كل بقاع الدولة الإسلامية. إضافة إلى كون تلميذه أبو يوسف تولى
منصب قاضي القضاة، مما جعل هذا المذهب له صلة مباشرة بحياة الناس
وأقضيتهم. ولذلك اعتمدت مجلة الأحكام العدلية في معظمها على الفقه الحنفي.

^(١) عمر الأشقر، المرجع السابق، ص 221-222.

ثانياً- المذهب المالكي:

سمى بذلك نسبة إلى إمام هذا المذهب الإمام مالك.

تعريف بإمام المذهب: ⁽¹⁾

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبهني، ولد سنة 93هـ ومات سنة 179 في المدينة المنورة.

تلقى العلم فيها على أيدي أشهر علمائها، صنف كتاباً جمع فيه بين الحديث والفقه سمّاه الموطأ.

تلاميذه: ⁽²⁾

لإمام مالك تلاميذ كثُر من أشهرهم: عبد الرحمن بن القاسم، عبد الله بن وهب.

أصول مذهب المالكية:

اعتمد المالكية في استبطاطهم للأحكام الفقهية على الأصول التالية:
الكتاب، السنة، إجماع أهل المدينة أو ما يعبر عنه عند المالكية بعمل أهل المدينة، القياس، قول الصحابي، المصالح المرسلة، العرف، العادات، سد الذريع، الاستحسان، الاستصحاب. ⁽³⁾

وأكثر انتشار هذا المذهب في عصرنا في بلاد المغرب العربي.
ومن أهم كتب الفقه المالكي إضافة إلى الموطأ، المدونة الكبرى فهي من أهم مراجعهم الفقهية. وقام بشرحها هي والموطأ الكثير من فقهاء المالكية.

⁽¹⁾ محمد أبو زهرة، مالك - حياته وعصره، ص 21.

⁽²⁾ ابن فرحون، الدبياج المذهب (132/1)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (534/8).

⁽³⁾ الشاطبي، المواقف، وهبة الزحيلي، الوسيط في أصول الفقه.

ثالثاً- المذهب الشافعي:

سمى بذلك نسبة إلى إمام المذهب وشيمته الشافعي.

تعريف بإمام المذهب: (١)

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع. وهو هاشمي النسب يلتقي نسبة بالنبي ﷺ.

ولد بغزة في فلسطين يوم وفاة أبي حنيفة، ولذلك قيل فيما بعد مات إمام ولد إمام.

تلقى العلم صغيراً في غزة ثم رحل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة. وهناك تتعلم على الإمام مالك، ورحل إلى مصر والعراق. وهذا الترحال الكبير في طلب العلم زاد علمه ثراءً.

للإمام الشافعي مؤلفات عدة أشهرها:

كتاب (الأم) في الفقه الذي يعد من أهم مراجع الشافعية الفقهية، وله أيضاً كتاب (الرسالة) في علم أصول الفقه. ولعل هذا الكتاب أول ما صنف في هذا العلم.

أصول مذهبة:

الكتاب، السنة، الإجماع، القياس.

ويعد كثير من العلماء مذهب الشافعية المذهب الأكثر اعتماداً على السنة، وربما يعود ذلك إلى أن كثيراً من علماء المذهب كانوا محدثين. ومن هنا جاءت المقوله المشهورة في وصف هذا المذهب بأنه مذهب أصل الحديث.

(١) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص 439، عمر الأشقر، المرجع السابق، ص 32-35.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشافعية لا يعدون الاستحسان أصلًا في استنباط الأحكام الشرعية ويرفضون الاحتجاج به. فقد روي عن الشافعي أنه قال: "من استحسن فقد شرع".⁽¹⁾

رابعاً- المذهب الحنفي:

سمى بذلك نسبة إلى إمام المذهب أحمد بن حنبل.

تعريف بإمام المذهب:

هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ولد في بغداد وبها تلقى علومه صغيراً، وكثير اهتمامه بحديث رسول الله وسنته، وكان يمتاز بذاكرة عجيبة. ومن أشهر شيوخه: القاضي أبو يوسف الحنفي والإمام الشافعي وغيرهما. يعد الإمام أحمد بن حنبل في عصره بامام أهل العلم في الحديث فهو محدث قبل أن يكون فقيهاً.

ومن أشهر مؤلفاته في السنة: المسند جمع فيه آلاف الأحاديث حسب الصحابي الذي روى الحديث، فوضع الأحاديث التي رواها كل صحابي في باب واحد، وسماه مسند كذا باسم ذلك الصحابي، وفيه آلاف الأحاديث.

أما في الفقه: فقد صنف تلاميذه العديد من كتب الفقه التي جمعوا فيها آراء الإمام أحمد.

أصول مذهب:

الكتاب، السنة، ولو كانت آهاداً، فتوى الصحابي الذي لا يعرف له مخالف، فإن اختفت أقوال الصحابة تخير منها أقر بها إلى الكتاب والسنة. ثم بعد ذلك يأخذ بالقياس.⁽²⁾

(1) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 83.

(2) عبد الوهاب خلاف، المصدر السابق، ص 94-96.

لم ينقل عن الإمام أحمد انشغاله بتدوين الكتب، بل كان يلقي علومه على تلاميذه مشافهة، ثم تولى بعد ذلك تلاميذه التأليف والتدوين والتصنيف. ويعود الفضل في تدوين علوم الإمام أحمد وأراؤه واجتهاداته إلى تلاميذه أبي بكر الخلاق.

المطلب الثالث

اللغة العربية

تعد اللغة وسيلة التخاطب بين الناس، وقد بعث الله عز وجل كل رسول بلسان قومه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوْمِهِ لِسْبِيرِكَ لَمْ ﴾ (ابراهيم: 4) وسيدنا محمد ﷺ وإن كان بعث للناس كافة، فإنه أول ما بعث في قريش، وقد كانت لغة قريش اللغة العربية، فكانت وبالتالي لغة التشريع، ولغة التخاطب، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: 2). وبالتالي كانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إنها لغة الدين الإسلامي.

خصائص اللغة العربية:

إن اختيار اللغة العربية لتكون لغة الدين الإسلامي دليل على مكانتها النابعة من الخصائص والميزات الموجودة فيها دون غيرها من اللغات، ومن أهم هذه الخصائص:

1- القدم: إن الباحثين وإن اختلفوا في تحديد زمن نشأة اللغة العربية إلا أنهم متتفقون على أن اللغة العربية من أقدم اللغات الموجودة حالياً، وأما اللغات الأخرى التي كانت موجودة قبل اللغة العربية فمنها ما اندثر كالأشورية والقبطية، ومنها ما انقسم إلى لغات متعددة.⁽¹⁾

(1) أنسور الجندي، الفصحي لغة القرآن، ص28-29، شرف القضاة وآخرون، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص119.

- 2- القدسية: اللغة العربية كما ذكرنا هي لغة القرآن الكريم والسنّة النبوية،**
ومن هنا قداستها مستمدّة من قداسة الوحي.
- 3- الخلود: خلودها مستمد من خلود الوحي -القرآن الكريم والسنّة النبوية-**
 فهي لغته، وهي خالدة بخلوده الذي تكفل الله به، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ
وَإِنَّا لَهُ مُتَفَضِّلُونَ﴾ (الحجر: 9).
- 4- الجمال:** فلغتنا فيها من الجمال ما لا يوجد في غيرها من اللغات، ويظهر
جمالها في أمور جمّة، مثل الفصاحة والبلاغة والخط العربي وغير ذلك من
جماليات لغتنا.
- 5- السعة والمرونة:** وتنظر هذه الخصيصة في الأمور الآتية:
- أ- احتواء لغتنا العربية على 80 ألف مادة (لا كلمة)، ومواد اللغة العربية
تتفرع إلى كلمات، والمستعمل من هذه المواد فقط عشرة آلاف مادة، ولو
نظرنا إلى اللغة الفرنسية فعدد كلماتها حوالي 25 ألف كلمة، وأما اللغة
الإنجليزية فعدد كلماتها حوالي 100 ألف كلمة. وبالتالي فليس في الدنيا
لغة استثنافية غنية بكلماتها إلى هذا الحد مثل لغتنا العربية.
 - ب- في لغتنا العربية 28 حرفاً ليس فيها أصوات مكررة، أما اللغة
الإنجليزية ففيها 26 حرفاً، فيها حروف كثيرة تدل على أصوات مكررة.
 - ج- ومن مظاهر السعة كثرة ما يمكن اشتقاقه من المصدر الواحد.
 - د- كثرة أسماء الأشياء فنجد في اللغة العربية أسماء كثيرة للشيء الواحد،
فللأسد مثلاً 150 اسم، وللعنيل 80 اسم، وهذا لا يوجد في غير لغتنا.
 - هـ- كثرة علومها فهي تحتوي على علوم النحو والصرف والبيان والمعانى
والعروض والبديع والنقد وغيرها من العلوم.

و- القدرة على تعریف الأسماء والمخترعات الجديدة، والقدرة على
التعرب.^(١)

محاربة اللغة العربية:

بما أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة ولغة
الاجتہاد، فقد تعرضت على مر الزمان إلى حملات طعن وتشكيك، كان الهدف في
كثير منها الوصول إلى الطعن في القرآن الكريم نفسه، وبالتالي الطعن في الدين
الإسلامي، ولذلك فإن محاربة اللغة العربية هي محاربة للدين الإسلامي.
ومن أبرز مظاهر محاربة اللغة العربية:

١- محاولة إيقاف نموها واتساعها:

فقد حاول أعداء الإسلام منع انتشار اللغة العربية في كثير من الدول
الإسلامية، بل حاولوا تجميدها في الدول التي تتحدث بها.
ومن الأمثلة على ذلك:

أ- محاولة تجميدها في مصر من خلال الدعوة إلى دراسة اللغات القديمة
كالقبطية، والادعاء بأن اللهجة العامية المصرية لغة مستقلة سابقة على
اللغة العربية التي هي أصلًا لغة أجنبية.

ب- في الهند كانت لغة المسلمين هي اللغة الأردوية التي كانت تكتب باللغة
العربية إلا أن غاندي طالب بلغاء هذه اللغة واعتماد اللغة المنسكرينية.

ج- في تركيا أعلن العلماني مصطفى أتاتورك إقصاء الحروف العربية من
اللغة التركية واعتماد الحروف اللاتينية، ومنع الأذان باللغة العربية

(١) أنور الجندي، المرجع السابق، ص 17-7، عبد الرحمن السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج 1، ص 407.

وفرضه باللغة التركية، وخطط لجعل الترجمة التركية للقرآن لغة العبادة.⁽¹⁾

2- الدعوة إلى التأليف بالعامية ومحاربة اللغة الفصحي:

فقد تقدم جماعة من المستشرقين مثل "وليم ويلكوكس" وغيره إلى التأليف باللغة العامية (المحكية)، وشجعت حكومات الاحتلال على إنشاء صحف تكتب بالعامية، ودعا وليم إلى ترجمة فصول من الإنجيل إلى اللغة العامية، ومن الذين ساروا في ركب هؤلاء المستشرقين: لويس عوض، وأحمد لطفي السيد وغيرهم.⁽²⁾

3- الدعوة إلى إصلاح اللغة العربية وتطويرها:

ومن أمثلة ذلك:

أ- الدعوة إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، ومن دعا إلى هذا عبد العزيز فهمي باشا.

ب- التخلّي عن قواعد النحو والصرف، بدعوى أنها صعبة، وبالتالي المناداة بأن تكون أواخر الكلمات في اللغة العربية ساكنة.

ج- حذف الألفاظ المترادفة والمتضادة لأن في هذا إسراف وتعقيد.

د- التخلّي عن الاستعارة والمجاز.

فهم باختصار يريدون ابتكار لغة جديدة بعيدة كل البعد عن لغة القرآن الكريم، ليصبح وبالتالي القرآن عبارة عن طلاسم لا نفهم من معانيه شيئاً. ومن أبرز الذين دعوا إلى هذا: طه حسين، وسلامة موسى، وقاسم أمين، وأنيس فريحة، وأحمد لطفي السيد وغيرهم.⁽³⁾

⁽¹⁾ أنور الجندي، المرجع السابق، ص103-109، ضابط تركي سابق، الرجل الصنم، ص333، 345

⁽²⁾ أنور الجندي، المرجع السابق، ص126 وما بعدها.

⁽³⁾ أنور الجندي، المرجع السابق، ص146-156.

إن هؤلاء وأمثالهم لم ولن يستطيعوا سلخنا عن لغتنا العربية، فهي كما مر معنا لغة مقدسة وخالدة لأنها لغة الوحي، وأما هم فلا قداسة ولا خلود لهم، لقد فروا ولغتنا باقية، ونقول لهم ولكل من اتبع سبيلهم، إذا كنتم قد وقعتم تحت تأثير أعداء الإسلام من مستشرقين ومبشرين وغيرهم، فاقرءوا ماذا يقول هؤلاء الأعداء عن لغتنا.

يقول جاك الفرنسي:

"أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا".

ويقول المستشرق أربري:

"إن اللغة العربية لغة حية، وحضارة العرب حضارة مستمرة، فهي حضار الأمس واليوم والغد، وعن طريق العرب عرفت أوروبا الحضارة".^(١)

المطلب الرابع التاريخ الإسلامي

تعريفه: هو الذاكرة التي تحفظ وجود الأمة الإسلامية من حيث أعمالها وأحداثها وأثارها ووثائقها في ماضيها وحاضرها.
أهميته: تبرز أهمية التاريخ الإسلامي باعتباره رافداً من روافد الثقافة الإسلامية في كونه:

1- يدرس سيرة الرسول ﷺ والصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، والتابعين وتابعיהם، وكذلك مراحل الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة

^(١) لنور الجندي، المرجع السابق، ص302-304.

والمدينة المنورة (فهو تاريخ الشريعة الإسلامية التطبيقى الواقعى الذى تحقق فيه الإسلام فى واقع المسلمين).⁽¹⁾

- 2 يعطى صورة صادقة للفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب، مع بيان المنهجية الإسلامية والمنهجية الغربية في هذه الفتوحات.
- 3 يسهم إسهاماً مباشراً في صياغة الأمة الإسلامية من حيث الشخصية والهوية والذات وحب الانتقاء.

وسائل الأعداء في محاربة التاريخ الإسلامي:

تعرض التاريخ الإسلامي لموجات من الهجوم الشديد في الماضي والحاضر، والتي ما زلنا نعيش آثارها حتى هذا اليوم.

وقد اتبع الأعداء في محاربة التاريخ الإسلامي المنهجية التالية:

- 1 التركيز على الجانب السياسي المادي في التاريخ الإسلامي، وإهمال الجانب المعنوي الفكري، فقد وصفوا الإسلام بأنه دين السيف والقتل والدم والإرهاب، وأغفلوا أنه دين السلام والحياة والتسامح والمحبة.
- 2 طمس منجزات الإسلام المادية وغير المادية، والمتمثلة في التراث والفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية في مختلف العلوم والفنون.
- 3 إحياء تواريخ الحضارات السابقة على الإسلام، والتركيز عليها، وعمل متاحف خاصة لها، مثل: التاريخ الفرعوني والبابلي والإغريقي والفارسي والروماني.
- 4 تدريس التاريخ الغربي الأوروبي لأبناء المسلمين، وجعله مقرراً ضمن مناهج وزارات التربية والتعليم في الدول العربية والإسلامية، كبييل عن تاريخ العرب والمسلمين، حتى أصبح الواحد منا يعرف عن أبناء الغرب أكثر مما يعرف عن أبناء الإسلام.

⁽¹⁾ صالح هندي وآخرون، المرجع السابق، ص86.

5- تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً بحثاً، وأنه تاريخ المصالح المادية والمكاسب الشخصية، وقراءته قراءة تشكيكية بعيدة عن المنهج الإسلامي.

المنهج الإسلامي للتفسير التاريخي:
ويمكن تلخيصه في النقاط التالية: (١)

1- أن القرآن الكريم والسنّة النبوية، هما أول من وجها فكر المسلمين إلى التعامل مع التاريخ، وربط حركة التاريخ بالقواعد الإيمانية والأخلاقية.

2- إظهار الرؤية الإسلامية في فهم حركة التاريخ وقراءة أحداثه.

3- أن القرآن الكريم وضع معياراً ثابتاً ومحدداً لأنهيار الأمم، وأن سنّة الله في عقابها ماضية إلى يوم القيمة، قال تعالى: ﴿وَكُمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا مُّخْرِبِينَ﴾ (الأنباء: ١١).

4- أن هلاك الأمم وزوالها يكون بأجل محدود، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرْىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا طَامُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف: ٥٩).

5- أن الأيام سجال بين الناس، تسقط حضارة، وتترفع أخرى، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ أَنَّاسٍ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ أَلَّذِينَ مَأْمُونُوا وَيَسْتَحْدِدُونَكُمْ شَهِدَاتٌ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

والمقياس الذي تقاس به حضارة الأمم وفق التفسير الإسلامي للتاريخ هو مقدار التزام هذه الحضارة بشرع الله تعالى أو بعدها عنه.

(١) انور الجندي، أخطاء المنهج الغربي الراشد، ص 177-180. محمد أبو يحيى وأخرون، المرجع السابق، ص 88.

الفصل الثالث

خصائص الثقافة الإسلامية

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الريانية.

المبحث الثاني: الموافقة للفطرة والعقل.

المبحث الثالث: الشمول والكمال.

المبحث الرابع: التوازن والاعتدال والوسطية وعدم التطرف.

المبحث الخامس: التطور والثبات.

المبحث السادس: الواقعية.

المبحث السابع: الإيجابية.

المبحث الثامن: الإنسانية والعالية.

الفصل الثالث

خصائص الثقافة الإسلامية

تقوم ثقافتنا الإسلامية على الدين الإسلامي، فهو مصدرها الرئيس، وهذا الدين له من الخصائص التي تجعله متميزاً عن غيره من الأديان الأخرى كلها وعن كافة التشريعات والأنظمة الوضعية، وبالتالي ستميز الثقافة القائمة على هذا الدين الإسلامي عن كافة الثقافات الأخرى، وستتفوق عليها، وهذه الخصائص التي يمتاز بها الإسلام يمكن اعتبارها أيضاً خصائص للثقافة المستمدة منه، وفيما يلي أبرز هذه الخصائص.

المبحث الأول

الربانية

تعد خصيصة (الربانية) أهم خصائص الثقافة الإسلامية، لأن كل ما عدتها من الخصائص الأخرى يبني عليها.

ما المقصود بالربانية:
المقصود بالربانية هنا أمران، هما:
1- ربانية الغاية والوجهة.
2- ربانية المصدر والمنهج.

الأمر الأول: ربانية الغاية والوجهة:
ويقصد بهذا أن غايتك أيها المسلم أن تكون ربانياً، أي وثيق الصلة بالله تعالى، حريص الحصول على مرضاته، فالإنسان لم يخلق لمجرد الأكل والشرب واللعب واللهو، وإنما خلق ليكون عبداً لله تعالى الذي من عليه بأن أوجده من العدم،

يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ لِئَنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونِ ﴾ (٦) ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زَرْفٍ وَمَا أُرِيدُ لَهُ يُطْعَمُونِ ﴾ (٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيْنُ ﴾ (٨) ﴾ (الذاريات: 56-58)، وبالتالي فلت أيها المسلم بعذنك وطاعتك الله في كل ما أمر به ونهى عنه تكون عبد ربانياً.⁽¹⁾

آثار ربانية الغاية والوجهة:

1- معرفة الإنسان الغاية من وجوده:

فإذا كانت غايتك من هذا الوجود عبادة الله عز وجل، فمطلوب منك معرفة هذه الغاية، وبالتالي أن تشعر بقيمة حياتك، ولا تقول: جئت لا أعلم من أين ولكتني أتيت.

2- الاهداء إلى الفطرة:

فالإنسان مفطور على الإيمان بالله، وبداخله إحساس يدفع إلى العبادة يقول تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّيْلِنَ حَبْنِيَّاً فِطَرَ اللَّهُ أَنَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: 30)، والربانية تطلب منك أن تكون عبد الله، وهي وبالتالي في هذا المجال تأخذ بك إلى طريق الإيمان، وإلى الاهداء إلى فطرتك التي فطرك الله عليها.

3- سلام النفس من التمزق والصراع والتشتت:

فالإسلام حصر لك غايتك في غاية واحدة، وهي إرضاء الله تعالى بعبادته وطاعته، وبذلك ستسلم نفسك من الصراع، وستعرف من أين تبدأ وإلى أين تسير، ومع من تسير.

وأما تناقض الغايات واختلافها فيبعث النفس على التشتبه والضياع ومن ثم الشقاء، يقول تعالى: ﴿ أَفَنْ يَتَبَشَّي مِنْكُمْ عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَتَبَشَّي سَوْيًا عَلَى صِرَاطِ شَتَّىْمِ ﴾ (الملك: 22) ويقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شَرَكَةٌ مُّشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَّمًا لَّمْ يَمْلِ مَلَّ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ (الزمر: 29) بين الله عز وجل هنا أن العبد الذي يملكه لكثـ

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص.9.

من رجل فإنهم سينتشاسون فيه -أي يتنازعون-، وأما العبد الذي يكون سلماً، أي سالماً، خالصاً لرجل واحد فلن يحدث فيه التنازع، وبالتالي لا يستويان، وكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله تعالى.⁽¹⁾

4- التحرر من العبودية للأثانية والشهوات:

فغاياتك أيها الإنسان أن تكون عبداً لله عز وجل فقط، وبهذه الغاية تبتعد وتترفع عن كل غاية وشهوة فيها معصية لله عز وجل.

إن الإنسان الرباني قد يُتاح له المال عن طريق الرشوة أو الربا أو المنصب فيرفضه، وقد يُتاح له الزنا فيرفضه، وهكذا يرفض الإنسان الرباني كل ما فيه معصية لله تعالى ويترفع عنها، ويفعل كل ما فيه مرضاه للرب تبارك وتعالى.⁽²⁾

الأمر الثاني: ربانية المصدر والمنهج:

والمقصود بهذا أن مصدر الإسلام بكل ما يحتويه من قواعد وأحكام وتشريعات هو ربنا تبارك وتعالى، وبالتالي فالإسلام دين موحى به من عند الله تعالى. وهو المنهج الرباني الوحيد في العالم الذي مصدره الله عز وجل. وأما المناهج والأنظمة الأخرى، فلا يمكن اعتبارها من عند الله، ويمكن تقسيمها حسب الآتي:

أ- مناهج أو أنظمة بشرية محضة: أي مصدرها البشر؛ كالشيوعية والرأسمالية والوجودية وغيرها.

ب- مناهج أو أنظمة دينية بشرية: مثل الديانة البوذية في الصين واليابان والهند وغيرها من البلدان، فهذه الديانة لا يُعرف لها أصل إلهي أو كتاب سماوي.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (47/4).

(2) يوسف القرضاوي، المرجع السلفي، ص 11-18.

جـ- مناهج أو مذاهب دينية محرفة: مثل اليهودية والنصرانية، فهذه وإن كانت في أصلها أديان ربانية المصدر، إلا أنه لا يمكن اعتبارها الآن أديان ربانية، وذلك بسبب ما دخلها من التحرير والتبدل.

فأما العهد القديم الموجود حالياً والذي تشكل التوراة ثلاثة أرباعه فقد ثبتت الدراسات الحديثة والتي قام بها باحثون غربيون أنه لم يكتب في عهد موسى عليه السلام، وإنما ابتدأت كتابته بعد وفاته بخمسة قرون، واستمرت هذه الكتابة حوالي خمسة قرون!! ثم إن القارئ في أسفار التوراة يجد فيها من الأباطيل مالا يمكن أن تكون معه الآن كتاباً سماوياً، فأي كتاب سماوي هذا الذي يذكر: أن الرب حزن لأنه عمل الإنسان، وتأسف في قلبه،⁽¹⁾ وما جاء فيه ما قالوه عن الأنبياء مما يمس شرفهم ويتنافي مع عصمتهم، فقد قالوا عن إبراهيم عليه السلام أنه كذاب، وأن لوطاً زنا بابنته، وأن هارون دعا بنى إسرائيل إلى عبادة العجل، وأن داود زنا، وسليمان عبد الأصنام إرضاء لزوجته.

وأما النصرانية، فنكتفي بذكر بعض الاعترافات لبعض الباحثين ورجال الدين عندهم:

1- يقول الباحث الفرنسي المتخصص في تاريخ النصرانية "شارل جنير": إن أغلب فقرات الإنجيل إنما صدرت عن الذين كتبوا الإنجيل وليس عن عيسى، وأما الفقرات التي نرجح أن عيسى هو الذي قالها فلا تزيد على أربع أو خمس فقرات.

2- يقول "بولتمان": لا يمكن أن ثبتت صحة أي كلمة من كلام المسيح، وكل ما يمكن أن نقوله عن حياة يسوع وشخصيته هو أن لا نقول شيئاً.⁽²⁾

(1) انظر في التوراة، سفر التكوبن 3/22.

(2) يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص32-35، محمد نعيم ياسين، الإيمان، ص72، شرف القضاة، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص212.

وبناءً على هذا نخلص إلى أن الإسلام هو الدين السماوي الوحدid الآن، وبالتالي فمهما ابتعينا من الأديان والأنظمة فلن ينفعنا ذلك إلى شيء إن لم يكن الإسلام ديننا، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُفْلِحْ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: 85).

ثمرات ربانية المصدر:

1- العصمة من التناقض والاختلاف:

فالبشر بطبيعتهم يتناقضون، لأن لكل منهم تفكير خاص به، بل حتى الفرد الواحد تجد فيه تناقضاً واختلافاً، وأما الله عز وجل فله الكمال المطلق فلا تجد في كل ما يصدر عنه تناقضاً أو اختلافاً، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْيَالَنَا كَثِيرًا ﴾ (النساء: 82).

2- البراءة من الجوز والهوى:

فنجد في ديننا الإسلامي العدل المطلق لأنه صادر عن الله العادل الذي حرم الظلم على نفسه وعلى عباده، وأمرهم بالعدل فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُنُوا كُوْنُوا قَوْمِينَ بِالْقُسْطِ شَهِدَاهُ اللَّهُ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبَيْنَ إِنْ يَكُنْ عَنْ يَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَشْيِعُوا الْمَوْىَ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (النساء: 135).

ولما الانظمة الأخرى البشرية منها والدينية المحرفة فتجد فيها الجوز والتمييز ولتابع الهوى.⁽¹⁾

3- الاحترام وسهولة الانقياد:

في ديننا الإسلامي صادر عن ربنا تبارك وتعالى وهذا يضفي عليه قدسيّة واحتراماً. ومن هنا هذا الاحترام والتقدّس اعتقد المؤمن بكل الله وتزييه عن كل

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 44-45.

نقص في خلقه وأمره، يقول تعالى: ﴿مُنْعَنَّ كُلَّ مُنْعٍ إِنَّمَا خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: 88) ويقول تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ فَسَادٍ﴾ (الملك: 3)، أي ما تجد اختلافاً ولا تناقضاً ولا نقصاً ولا عيباً ولا خللاً،⁽¹⁾ وكذلك لا نجد في ديننا ظلماً ولا جوراً كما مر معنا، وهذا كله يدفعنا إلى الرضا بكل تعليم الإسلام وأحكامه والانتقاد لها بسهولة، ومن أمثلة ذلك انتقاد الصحابة لحرمة الخمر، فعندما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمَنَاجِرُ وَالْمَبَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْمٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَذَاجَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَبَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: 90-91) لتنهي كل من يشرب الخمر على الفور، حتى إن بعضهم حين بلغته هذه الآية وكان في يده الكأس قد شرب منها وبقي بعضها في يده، فرمى بها من فيه وقال انتهينا.⁽²⁾

وللنظر في المقابل ما الذي حصل عندما حرمت أمريكا الخمر؟ ففي عام 1919م صدر قرار أمريكي بتحريم الخمر داخل الأراضي الأمريكية، ومن أجل تطبيق هذا القرار اتبعت ما يلي:

- أ- جُند الأسطول البحري كله لمراقبة الشواطئ منعاً للتهريب.
- ب- جُند الطيران لمراقبة الجو.

ج- شغلت أجهزة الحكومة واستخدمت كل وسائل الدعاية والإعلام لمحاربة الخمر.

وقد أنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر 60 مليون دولار، وأصدرت من الكتب والنشرات 10 بلايين صفحة، وخلال مدة التحريم - التي استمرت 14 سنة - أنفقت ما لا يقل عن 250 مليون دولار، وقد أعدم في هذه الفترة 300 شخص،

⁽¹⁾ تفسير ابن كثير (357/4).

⁽²⁾ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 46-47.

وُسِّجن 532,335 شخص، وبلغت الغرامات 16 مليون دولار، وصادرت من الأموال ما بلغ 404 مليون دولار، وكل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غرامة بالخمر، حتى اضطرت الحكومة عام 1933م إلى إلغاء هذا القانون وإباحة الخمر بباحة مطلقة.⁽¹⁾

4- التحرر من عبودية الإنسان للإنسان:

إن العبودية أنواع وأخطرها أن يخضع الإنسان لإنسان مثله يحل له ويحرم عليه ما يشاء، ويأمره وينهيه بما يشاء، وإذا كان ديننا الإسلام رباني، فإن الله عز وجل هو الذي يحل ويحرم، ويأمر وينهى، وبالتالي فلا خضوع إلا لله، ولا امتثال إلا لأوامره عزل وجل، وهذا يحررنا من العبودية لغير الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿أَنْهَكُدُّوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَتُهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا هُوَ شَرِحُنَّهُ عَكَّا يُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾ (التوبه: 31)، وعبادة الرهبان والأحبار باتباع ما أحلوه لهم من حرام وحرموه عليهم من حلال.⁽²⁾

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 224-225.

⁽²⁾ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 49-50.

المبحث الثاني

الموافقة للفطرة والعقل

فإِلَّا سُلْطَنٌ يُلْبِيُ الْإِحْسَاسِ الَّذِي يَدْفَعُ إِلَيْهِ إِلَيْ الْعِبَادَةِ وَالنِّتَنْيَ، وَهَذَا إِحْسَاسٌ يَكْمُنُ فِي أَعْقَمِ نَفْسِهِ، وَيُشكِّلُ جَزءًا مِنْ ذَاتِهِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْفَطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَذِكَّ فَإِنَّ كُلَّ حَقِيقَةٍ مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ إِلَّا سُجُومٌ مَعَ هَذِهِ الْفَطْرَةِ، وَتَنَقْبِلُهَا وَلَا تَنَاقِضُ مَعْهَا، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: 30).

وَيَتَقَبَّلُ الْإِلَامُ أَيْضًا بِأَحْكَامِهِ وَتَشْرِيعَاهُ مَعَ عَقْلِ إِلَيْهِ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةُ الْخُطَابِ وَمَنَاطِ التَّكْلِيفِ، وَأَدَاءُ لِلْكَشْفِ وَالْتَّعْبِيرِ وَالنَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي الْكَوْنِ وَالنَّفْسِ وَمَا فِيهَا، لِيَصُلَّ مِنْ خَلَالِهِمَا إِلَى التَّعْرِفِ عَلَى خَالِقِهِمَا عَزَّ وَجَلَّ.

قال تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ مَا يَتَبَرَّأُ إِلَيْهِ مِنْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يَتَبَرَّأُونَ ﴾ (٢١)﴾ (الذاريات: 20-21) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَرِّيْهُمْ مَا يَأْتِيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقَّ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: 53) وَالَّتِي تَمْثِلُ بِحَقِّ إِعْجَازٍ غَيْرِيًّا مُسْتَقْبِلًا.

فَقَدْ دَعَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِلَى إِعْمَالِ النَّظَرِ وَالْتَّفَكُرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّأْمُلِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي الْأَنْفُسِ، وَالَّتِي تَعْتَمِدُ فِي الْدَّرْجَةِ الْأُولَى عَلَى الْعَقْلِ، وَالَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ يَكُنْ لَهُذِهِ الْمَفْرَدَاتِ وَجُودُهُ.

المبحث الثالث

الشمول والكمال

مجالات الشمول في الثقافة الإسلامية:

- 1- شمولها لحقائق العقيدة الإسلامية؛ كحقيقة الألوهية، والكون، والإنسان، والحياة. فالله تعالى هو الخالق لكل الوجود. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِتَدْرِي﴾ (القرآن: 49) والكون بجميع مظاهره المختلفة من كواكب شمسية، ومصادر بيئية مسخرة لخدمة الإنسان قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جِبِيلًا مِنْهُ﴾ (الجاثية: 13). ونظرة الثقافة الإسلامية إلى الإنسان أنها بینت أصله، وتكونيه من ثلاثة عناصر أساسية هي العقل والجسم والروح، قال تعالى: ﴿يَتَابِيْهَا اَنَّا نَسْرَفُ فِي رَبِّيْبِ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ تُضْغَطَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِتُنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقْرِئُ فِي الْأَرْضِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ شَيْءٍ ثُمَّ نَخْرِجُهُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَيَنْبَغِيْلُوْا أَشْدَدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِدُ إِلَى أَرْذِلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِهِ شَيْئًا﴾ (الحج: 5).
وأما الحياة الدنيا فهي دار عمل وامتحان وملأها إلى فناء، لتبدأ الحياة الآخرة دار الجزاء. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ فِيمَا آتَيْنَاهُمُ اللَّهُ أَذْنَارُ الْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: 77).
- 2- شمولها لجميع شؤون الحياة المختلفة؛ السياسية، والاقتصادية، والتربوية، والاجتماعية، وغيرها.
- 3- شمولها لجميع الرسائلات السابقة، فهي رسالة كل الأنبياء الذي أعلنوا جميعاً أنهم مسلمون فنوح الشفاعة قال: ﴿وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: 91).

وإبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- قالا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرْتَنَا
أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: 128) ويوفى السُّلْطَانُ قال: ﴿تَوَقَّنَ مُسْلِمًا وَالْحَقِيقَى
بِالصَّابِرِينَ ﴾ (يوسف: 101)

وموسى السُّلْطَانُ قال: ﴿يَقُولُ إِنَّكُمْ أَمْنَمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنَّكُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: 84).

وحوار يو عيسى السُّلْطَانُ قالوا: ﴿مَاءْنَا بِاللَّهِ وَأشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 52).

4- شمولها لكل بنى البشر بلا استثناء، قال تعالى: ﴿فَلْ يَنْأِيَهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْنَكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: 158).

وأما صفة (الكمال) فتعني أن الدين الإسلامي لا نقص في أي حقيقة من حقائقه ولا في أي تشريع من تشريعاته، فهو دين تام وافي وكامل، يقول تعالى: ﴿الَّيْلَمَّا أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَثُ عَلَيْكُمْ نُعْمَانِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ (المائدة: 3). كما نجد فيه تكاملاً، فكل جانب من جوانبه يعاون بعضه بعضاً لكي تتحقق هدفاً واحداً من خلال ممارسة جميع هذه الجوانب مجتمعة.

المبحث الرابع

التوازن والاعتدال والمتوسطية وعدم التطرف

وتعنى هذه الخصيصة التعادل أو التوازن بين طرفين متقابلين بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، وأن يُعطى كل طرف منها حقه بالقسط، بلا شطط ولا غلو ولا تقصير.⁽¹⁾

والثقافة الإسلامية تستمد وسطيتها من عقيدتها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَئْمَانَهُ وَسَطًا إِنَّكُمْ لَأَشَدُّ أَهْلَ أَرْضٍ وَلَا يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: 143). وأما عدم التطرف فهو نتيجة حتمية للتوازن والاعتدال. ويمكن توضيح ذلك بالمعادلة الآتية: توازن + اعتدال = عدم تطرف.

مظاهر التوازن والاعتدال في الثقافة الإسلامية:

تنجلى مظاهر التوازن في جميع مجالات الحياة الإنسانية، وسنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:-

- التوازن بين جنبي الإنسان (الجسد والروح): فكل منهما متطلباته، فأباح الإسلام الطيبات (غذاء الجسد) قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَأْشُرُوا وَلَا تُشْرِقُوا إِنَّمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: 31)، وأمر الإسلام الإنسان بالعبادات والطاعات (غذاء الروح).
- التوازن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة: قال تعالى: ﴿ وَبَيْتَنَعَ فِيمَا مَائَلَكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَكَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص: 77).
- التوازن بين العبادة والعمل: حرصت الثقافة الإسلامية أن يكون للعبادة وقتها وللعمل وقته، ولا يطغى جانب على آخر. قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَنُوا إِذَا

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، *الخصائص العامة للإسلام*، ص 127.

ثُوُدِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَأَسْعَوْا إِنْ ذَكَرَ اللَّهُ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ حَيْثُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتُشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ⑪) (الجمعة: 9-10) وَحَذَرَ اللَّهُ مِنِ الانتِقَاطِ لِلْعِبَادَةِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ، وَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهُ عَلَى النَّفَرِ الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَانُوهُمْ تَقَالُوا هَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا أَصْلِي الْلَّيلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَمَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَا اعْتَزَلَ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزُوجُ أَبَدًا، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَا خَشِقُ اللَّهَ وَأَنْقَلَمُ لَهُ، لَكُنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزُوجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغَبَ عَنِ سُنْتِي فَلِيْسَ مِنِّي." (١)

4- التوازن بين عالم الغيب والشهادة: تجعل الثقافة الإسلامية المسلم متوازناً في نظرته وإيمانه بكل العالمين، بحيث يستدل من خلال عالم الشهادة على عالم الغيب غير المشاهد، فيستدل من خلال آثار قدرة الله في الكون على عظمته، وفي ذلك ثلثية لنداء الفطرة في داخل الإنسان الذي لا يمكن أن يهدأ إلا إذا تعرف على خالقه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآتِيكَ لَهُمْ وَآتَنَا لَنَا﴾ ⑫ الآءُوا لِلْأَئْتِبِ ⑬ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِبْلَمَا وَقْعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ أَنْسَمَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِعِلْمٍ كَمَا سُبْحَنْكَ فَوَنَا عَذَابَ أَنَارٍ ⑭﴾ (آل عمران: 190-191).

5- التوازن بين الخوف والرجاء، والرعبه والرغبة: قال تعالى: ﴿قَالَ أَيَّامَنْ ظَلَّرَ فَسَوْفَ تَعْذِيْبُهُ تُهْرِيدُ إِنْ رَبِيعَ، فَيَعْذِبُهُ عَذَابًا ئَكْرًا ⑮﴾ (الكهف: 87) مقابل ذلك نقرأ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (5063)، ومسلم في صحيحه (1401)، والسائل في سننه الكبرى (5324)، وللهذه البخاري.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَعْبُدِ الَّذِينَ أَشْرَقُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْتَهُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ
الَّذِنُوبَ حَيْثُماً إِنَّهُ هُوَ الْفَقُورُ الرَّاجِعُ﴾ (الزمر: 53).

6- التوازن بين متطلبات الفرد والجماعة: فالثقافة الإسلامية نظرت إلى كل من الفرد والمجتمع نظرة متوازنة، فلم تهمل الفرد من أجل الجماعة أو الجماعة من أجل الفرد، مثل ذلك: الاشتراكية الاقتصادية التي صحت بالفرد من أجل الجماعة، والرأسمالية التي صحت بالجماعة من أجل الفرد، أما الإسلام فجعل المال مال الله والإنسان مستخلف فيه، وينبغي أن يسرخ هذا المال لخدمة المجتمع.

وأما (الوسطية)⁽¹⁾ فهي غير التوازن، ذلك أن التوازن يكون بين أمور متعددة لا يطغى أحدها على الآخر، بينما الوسطية تكون في الأمر الواحد الذي لا يكون حالة متطرفة إلى واحد من الطرفين البعيدين المتناقضين، فالتوسط يشير إلى الدرجة الوسطى التي تقع ضمن حدود الدرجات المختلفة زيادة ونقصاً في الأمر الواحد.

امثلة توضيحية لمعنى الوسطية:

أ- الإنفاق، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْعَلْ بَدْكَ مَعْلُولَةً إِنْ عُنِقَ وَلَا يَنْسُطْهَا كُلُّ أَبْسَطِ
فَنَفْعَدُ مَلْوِمًا تَحْسُرُوا﴾ (الإسراء: 29) ويمكن تمثيل ذلك بالرسم التالي:



ب- تناول الطعام، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَلَا تُنْهِرُوا وَلَا تُشْرِقُوا﴾ (الأعراف: 31). ويمكن توضيح الوسطية في تناول الطعام بالرسم التالي:



⁽¹⁾ عزمي السيد وأخرون، الثقافة الإسلامية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ص 72-73.

المبحث الخامس الثبات والتطور

تحدثنا في الخصيصة السابقة عن التوازن، ويمكن القول أن اجتماع الثبات والمرونة في ديننا الإسلامي وتقافه القائمة عليه هو مظاهر هذا التوازن الدقيق، فنجد في إسلامنا ثباتاً في الأحكام والتشريعات، ونجد أيضاً في مرونته في أحكام وتشريعات أخرى، بل ونجد المرونة حتى في كثير من هذه الأحكام الثابتة، وهذا لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

- أ- إن الأحكام الثابتة في الدين الإسلامي صالحة لكل زمان ومكان، ولا يمكن أن توصف بالجمود والتخلف، فالله عز وجل هو الذي خلق البشر وهو أيضاً سبحانه الذي يعلم ما يناسبهم في كل زمان ومكان، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْغَيْرُ﴾ (الملك: 14).
- ب- إن المرونة في الدين الإسلامي لضمان بقاء صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان، فهي تقي الدين من الجمود والتخلف.
- ج- مصدر الحكم الثابت هو النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، فإذا كان المصدر ثابتاً بشكل قطعي ولا يحتمل إلا معنى واحداً، كان الحكم المستفاد من هذا النص من الثوابت.
- د- إذا كان النص الديني ظني الثبوت - وهي السنة غير المتوترة - أو كان النص ظني الدلالة فالحكم المترتب على هذا النص تعتبره المرونة، وبالتالي فهو قابل للتغير والتطور. وكذلك ما سكت عنه الشارع فلم ينص عليه فإنه يعتبر من الأمور المتغيرة والقابلة للتغير بحسب المصلحة.^(١)

^(١) أحمد حسن الربابعة، مظاهر التجديد في الفقه الإسلامي، ص 376 وما بعدها.

مظاهر الثبات والتطور (المرونة):

- 1- الثبات في المصادر الأصلية للتشريع من كتاب وسنة، والمرونة في المصادر الاجتهادية مثل الاستحسان، والقياس والمصالح المرسلة وغير ذلك من المصادر الاجتهادية.
 - 2- الثبات في أركان العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام.
 - 3- الثبات في المحرمات اليقينية مثل: السحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا والسرقة وغيرها مما حرم بنص قطعي.
 - 4- الثبات في أمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد وغيرها من الفضائل.
 - 5- الثبات في أحكام الزواج والطلاق والميراث، والحدود والقصاص.
- ونجد في المقابل مرونة في أحكام كثيرة كمقادير العقوبات التعزيرية، وتوثيق العقود من زواج وبيع وفرض ونحوه، فمثلاً نجد ثباتاً في أركان عقد الزواج وهي (الإيجاب والقبول، والعاقدان، والشهود) ونجد تطوراً في وثيقة عقد الزواج.
- 6- الثبات في مبادئ وأصول نظام الحكم، كالشورى والعدل والمساواة وغير ذلك. قال تعالى: ﴿وَأَرْهُمْ شُوْرَى يَتَّهِمُون﴾ (الشورى: 38) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنْ تَخْكُمُوا إِلَّا مَدِيل﴾ (النساء: 58)، والتطور في طريقة تحقيق هذه المبادئ التي تختلف باختلاف أحوال الناس وزمانهم ومكانهم.⁽¹⁾

⁽¹⁾ يومسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 196 وما بعدها، أحمد الرابعة، المرجع السابق، ص 378.

تغیر الفتوى بتغیر الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف:

إن تغیر الفتوى بتغیر هذه الأمور نلیل ساطع على تطور دیننا الإسلامي وأنه دین صالح لكل زمان ومكان، ومن الأمثلة على ذلك: عندما كان عمر بن عبد العزيز رض والياً على المدينة كان يحكم للمدعي بدعواه إذا جاء بشاهد واحد وحلف اليمين، فيعد يمين المدعي قائم مقام الشاهد الثاني، ولما ولی الخليفة في الشام لم يحكم إلا بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فلما سُئل عن ذلك قال: لقد وجدها أهل الشام على غير ما عليه أهل المدينة.^(١)

^(١) يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص224.

المبحث السادس

الواقعية

امتنازت الثقافة الإسلامية بالواقعية؛ والتي تعني مراعاتها لواقع الإنسان من حيث ظروف حياته ورغباته ومشاعره وفطرته وتكوينه. فالإسلام لم يكلف الإنسان فوقي طاقته وقدرته. لا بل غاية التشريع الإسلامي ومقصده رفع الحرج والمشقة عن الناس. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَيْنَكُمْ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: 78).

والواقعية تعني أيضاً التعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي البصري، لا مع تصورات عقلية مجردة ولا مع مثاليات لا مقابل لها في الواقع.⁽¹⁾ ومنعنى ذلك أن الثقافة الإسلامية راعت الكون من حيث حقيقة وجوده، وواقع الحياة من حيث أنها حافلة بالخير والشر، وكذلك واقع الإنسان من حيث أنه مزدوج الطبيعة فهو مخلوق من مادة وروح.⁽²⁾

ولا تعني واقعية الثقافة الإسلامية الرضا بالواقع أياً كان، وليس تبريراً للواقع الفاسد، بل إن من الواقعية السعي للتغيير واقع المجتمع وتقريبه من الإسلام المثالي.

مجالات واقعية الثقافة الإسلامية: ⁽³⁾

شملت الواقعية جميع مجالات الإسلام، العقيدة والتشريع والأخلاق.

(1) سيد قطب، *خصائص التصور الإسلامي ومقوماته*، ص 192.

(2) عزمي السيد وأخرون، *الثقافة الإسلامية*، ص 134-135.

(3) المرجع نفسه، ص 135-138، يوسف القرضاوي، *المرجع السابق*، ص 150 وما بعدها.

واقعية الثقافة الإسلامية في مجال العقيدة:

أ- تعامل المسلم مع جميع أركان العقيدة على أنها حقيقة ثابتة وواقعية، لا مع أوهام أو تخيلات، فالله تعالى واجب الوجود يتصف بكل الصفات الإيجابية، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۚ وَهُوَ أَسْمَاعُ الْعَصِيرُ﴾ (الشورى: 11).

ب- توضيح حقيقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنهم يتميزون عن الناس بما فضلهم الله به من الوحي والرسالة، أما سائر النواحي البشرية فهم غيرهم، قال تعالى: ﴿فُلِّ إِنَّا أَنَا بَشَرٌ مُّنْكَرٌ بُوْحٌ إِنَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَّجْدٌ﴾ (الكهف: 110) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ مُّرْسِلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ أَطْعَمَكَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَشْوَارِ﴾ (الفرقان: 20).

واقعية الثقافة الإسلامية في مجال التشريع والعبادة:

أ- راعى الإسلام ظروف الإنسان، فلم يكلفه فوق طاقته وقدرته، قال تعالى: ﴿لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: 286) وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْمُسُرَ﴾ (البقرة: 185) و قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلُكُ حَتَّىٰ تَمْلُوا، وَإِنَّ أَحَبَ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قُلَّ﴾.⁽¹⁾

ب- تظهر الواقعية في العبادات من خلال، التنوع، وقلة التكليف، والرخص الشرعية، أما التنوع فهناك العبادات البدنية كالصلوة والصيام، والمالية كالزكاة والصدقات، والبدنية المالية كالحج والعمر، وأما قلة التكاليف فقد جعل الإسلام بعض هذه العبادات يومياً كالصلوة، وبعضها سنوياً أو موسمياً كالصيام والزكاة وبعضها مرة واحدة في العمر كالحج.

⁽¹⁾ لخرجه البخاري في صحيحه (5861)، ومسلم في صحيحه (782)، واللفظ للبخاري.

واما الرخص الشرعية لأصحاب الأعذار والظروف الطارئة، فقد أباح الإسلام الإفطار في رمضان للمريض والحامل والمريض والمسافر، والتيم للجريح، والصلة للمريض على الهيئة التي يستطيعها، والجمع والقصر للصلة في حالة السفر وغيرها. قال ﷺ: "إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يكره أن تؤتي معصيته".^(١)

وأهمية الثقافة الإسلامية في مجال الأخلاق:

أ- الأخلاق في الإسلام ليست نفعية وفتية، ولا تقوم على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) كالذهب الميكافيلي، بل هي أخلاق واحدة ثابتة في جميع الأحوال، مع الأقارب والأبعد، ومع الأصدقاء والأعداء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا فَوَّجِئُوكُمْ بِلِلْقُسْطِ وَلَا يَخْرِمَنَّكُمْ شَيْئاً فَوْمَ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلشَّفَوْنِ﴾ (المائدة: ٨) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَا كَانَ ذَا فُرْقَةً﴾ (الأعراف: ١٥٢).

ب- لم تطلب الثقافة الإسلامية من الأفراد أن يكونوا ملائكة لا يعصون ولا يخطئون، بل راعت بشرية الإنسان التي تتضمن الواقع بالخطأ والذنب، لذلك نجد الإسلام قد شرع التوبة والاستغفار للخطأ والمعصية.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا قَاتَلُوا فَعِشَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرِّهَا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

^(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٨٦٦).

وعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ول جاء بقوم يذنبون فيستغرون الله فيغفر لهم".^(١)

ـ راعت الأخلاق الإسلامية الظروف الاستثنائية للإنسان، فأباحت له الكتب في عدة حالات منها: الكتب في الحرب لخداع العدو، وبين المتخاصمين لصلاح ذات الين، وبين الزوجين لإدامة الحب بينهما.

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: سمعت رسول الله ص يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فَيُنْمِي خيراً ويقول خيراً).⁽²⁾ وقالت: (لم أسمعه يُرِّخِّصُ في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاثة: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها).⁽³⁾

الواقعية في التحليل والتحريم:

ومن مظاهر ذلك:

ـ لم يحرم الإسلام على الإنسان شيئاً يحتاج إليه في واقع حياته، ولم يبح له شيئاً يضره في واقع حياته أيضاً.

ـ راعى الإسلام فطرة البشر في الميل إلى اللهو والترويح عن النفس فرخص أنواعاً من اللهو كالسباق والسباحة والفروسية، ولكن بشرط أن لا تقترب بحرام، وأن لا تتصد عن ذكر الله ووقت الصلاة.

ـ قدر الإسلام الحالات الاضطرارية التي يتعرض لها الإنسان فرخص له تناول المحرمات بقدر الضرورة فالضرورات تبيح المحظورات. يقول

^(١) أخرجه مسلم في صحيحه (2749) وأحمد في مسنده (8068).

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (2692)، ومسلم في صحيحه (2605)، والترمذى في مسنده (1938). وللنظر للبخاري.

⁽³⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2605).

تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ عَدْ بَاغَ وَلَا عَادَ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: 173).

د- وراعت الشريعة الإسلامية ضعف الإنسان أمام كثير من المحرمات فسدت الباب إليها بالكلية، فحرمت مثلاً الخلوة بالمرأة الأجنبية لأنها قد توصل إلى الزنا.⁽¹⁾

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 153-155.

المبحث السابع

الإيجابية^(١)

الإيجابية ضد السلبية، وتحمل في طياتها التفاعل والفاعلية، وهذا ما نجده في ديننا الإسلامي وثقافته، ومرد هذه الإيجابية هو الإيجابية الفاعلة في علاقة الله بالكون والإنسان والحياة، والمترب عليها إيجابية الإنسان ذاته في حدود مجاله الإنساني، وإيجابية الإنسان مع كل شيء حوله، ولذلك فإن أهم مظاهر الإيجابية في الإسلام:

١- الإيجابية الفاعلة في علاقة الله بالكون والحياة والإنسان: ومن مظاهر

ذلك:

أ- إننا في معتقداتنا نتعامل مع إله واجب الوجود، خالق، مريد، مهيمن قادر، فعال لما يريد، إليه يرجع الأمر كلّه، وإلى إرادته يرجع خلق كل شيء، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِجزَهُ، مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا قَدِيرًا﴾ (فاطر: ٤٤) ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهُرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَيْرُ﴾ (الأنعام: ١٨).

إن استقرار هذه الحقيقة في وجدان المؤمن يتوقف عليه كل شيء في أمر العقيدة، وهذه الإيجابية في علاقة الله تعالى بخلقه كلهم هي مفرق الطريق بين العقيدة الجدية المؤثرة والعقيدة الصورية السلبية.

ب- في معتقداتنا الإسلامية نتعامل مع إله واحد، له إرادة واحدة، ومنهج واحد. وهذا يفرقنا عن الذي يتعامل مع إلهين متنازعين أو آلهة متعددة.

(١) سيد قطب، المرجع السابق، ص 170-189، يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 172

176، عزمي السيد وأخرون، المرجع السابق، ص 83-88.

يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُشَنِّكُوْنَ وَرَجُلًا سَلَمًا لَرْجُلٍ هَلْ يَسْوِيْنَ مَثَلًا ﴾ (الزمر: 29).

جـ - في معتقداتنا الإسلامية الراسدة نتعامل مع "الله" العادل الكريم الذي يكره الفواحش وينهى عنها، ويحب الطيبات ويأمر بها، فيقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّا حَمَّ رَبِّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلَّا مَنْ وَالْبَغْيَ يُغْنِيْرُ الْحَقَّ ﴾ (الأعراف: 33).

وهذا أيضاً يفرقنا عن الذي يتعامل مع إله شهوانى متجرف ظالم، متنقلب الأهواء؛ كإله الإغرىق -بز عهم- "زيوس" أو "جوبيتير" الذى كانوا يصورونه حقوداً، مشغولاً بشهوات الطعام والغرام وغير ذلك مما هو موجود في معتقداتهم وتصوراتهم.

دـ - وفي معتقداتنا الحقة وما عادها باطل نتعامل مع إله حى لا يموت صمد مقصود في الحاجات رقيق لا يغفل، سميع، بصير، حسيب لا ينسى، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ حَلَّتْنَا إِلَيْنَاهُ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُ مِنْهُ فَقْسَةً وَمَنْ أَفْرَطَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴽ١٦﴾ (ق: 16)، ويقول تعالى: ﴿ مَا يَلِيقُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيقٌ ﴽ١٧﴾ (ق: 18)^(١) وهذا أيضاً مفرق طريق بيننا وبين من يتعامل مع آلته صماء خرساء، لا تحس ولا تدرى بخير أو شر، ومن ثم لا تحاسب على خير أو شر.

2- الإيجابية في علاقة المسلم بالكون: إذ حثت الثقافة الإسلامية على استغلال الأرض وإعمارها وعدم تدميرها، فالكون مخلوق الله تعالى، وكل ما فيه مسخر لخدمة الإنسان، سيد الكون، وخليفة الله فيه.

^(١) سيد قطب، المرجع السابق، ص 115-126.

3- الإيجابية في علاقة المسلم بالحياة: فالثقافة الإيجابية تشعر الإنسان بأهميته في الحياة الدنيا وأنه لم يخلق عبئاً، فهو مخلوق في هذه الحياة للعبادة والعلم والعمل والتفكير، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتباع جميع القيم والأخلاق التي وجهتنا إليها الثقافة الإسلامية.

4- الإيجابية في علاقة المسلم بالإنسان: ويتمثّل ذلك في أن يكون المسلم إيجابياً مع نفسه بحملها على الخير والأخلاق الحسنة، وأن يكون إيجابياً مع أهله وأسرته بحيث تكون هذه العلاقة قائمة على المحبة والمودة، والتصاحح والترابح، ومعرفة الحقوق والواجبات الأسرية استجابة لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُنْهَا النِّسَاءُ مَا آتَاهُنَّ فَمَنْ شَرِكَ بِهِنَّ بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ وَمَنْ فَرَدَهُنَّ مَنَّا هُنَّ وَلَهُمْ عَلَيْهَا مَلِئَةٌ كُّفَّارٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهُ مَا مَأْمَرْتُمْ وَلَا يُعْصِمُونَ﴾ (التحريم: 6).

وأن يكون إيجابياً مع كل شيء يتعامل معه الإنسان من موارد البيئة المختلفة قال تعالى ﴿وَلَا نَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: 56). وأن يكون إيجابياً مع الثروة الحيوانية وعالم الطيور، فقد دخل رجل الجنة لأن سقي كلباً كان يلهث من شدة العطش.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خفه، فجعل يغرس له به حتى أرواه، فشكر الله له فأدخله الجنة".⁽¹⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (173)، 2363، 2466، 6009)، ومسلم في صحيحه (2244)، وأبو داود في سننه (2550)، والله نظير للبخاري.

البحث الثامن

الإنسانية والعلمية

الإنسانية وصف منسوب إلى الإنسان. وتطلق هنا على الثقافة الإسلامية بأكثر من معنى، ومنها:

- 1- ملامتها لفطرة الإنسان وخلقه وعقله وعاطفته وحاجات البدن والروح: وكل ذلك في توازن يتحقق لا يطغى جانب على آخر.
- 2- العالمية: وتعني أنها تخاطب كل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، وأختلاف عصورهم، ولا عجب في ذلك، فالإسلام دين عالمي جاء للناس كافة، والرسول محمد ﷺ أرسل للناس جميعاً. وقال تعالى: ﴿فَلَمْ يَأْتِهَا أَنَّاسٌ إِنَّ رَسُولَكُمْ أَنْتُمْ إِيتَكُمْ جَرِيئِيَا﴾ (الأعراف: 158).
- فالثقافة الإسلامية بهذا المعنى إنسانية في مقابل النزعات العنصرية والقومية التي تفرق بين الناس في أصل خلقهم وحسب عصরهم أو قوميتهم.
- 3- السمو بالوجود الإنساني إلى درجة الرقي والكمال: فجميع توجيهات الثقافة الإسلامية من أوامر سمو بالإنسان نحو الإنسانية؛ مثل الزكاة والصدقات وإفساء السلام وغير ذلك، وكذلك اجتناب التواهي التي تحط من إنسانية الإنسان وتبعده عن السمو والكمال؛ مثل السرقة والزنا وشرب الخمر وأكل مال اليتيم والرشوة؛ وغير ذلك.
- 4- الإنسانية والرحمة التي تحققت في شخص الرسول ﷺ: فقد كان إنساناً، رحيمًا، صبوراً على أذى الناس، حتى دخلوا بعد ذلك في دين لفراجاً بعزمته خلقه وسمو إنسانيته، فكان الرسول ﷺ (الرسول الإنساني).⁽¹⁾

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 68.

- 5- السمو بالإنسان إلى درجة الكرامة التي كرمه الله إياها: فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مكرم ومتميز، ومن مظاهر هذا التكريم والتميز:
- اعتبار الإسلام الإنسان خليفة الله في الأرض وهيأ لهذه الخلافة بالعقل والعلم، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30).
 - إعلان الإسلام أن الله كرم الإنسان بـأن خلقه في أحسن صورة. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: 4). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70).
 - إعلان الإسلام أيضاً أن الكون بسمائه وأرضه مسخر للإنسان، يقول تعالى: ﴿أَلَرْتُرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنْبَيْخَ عَلَيْكُمْ فِيهَا ظِهَرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: 20).
 - إلغاء الوساطة بين الله والإنسان، فتستطيع أن تعبد الله وتدعوه أنت شئت ومتى شئت دون وساطة أحد، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ عَنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186).
 - الاعتراف بالكيان الإنساني كله وتلبية متطلباته ورغباته: فقد اعترف الإسلام بالجسد ووفاه حقه من خلال إباحة الطيبات، والاستمتاع بما أحل الله تعالى، والتحث على النظافة والتجميل وغير ذلك.
- واعترف بحقوق الروح فشرع العبادات والطاعات من صلاة وصوم ودعاء وذكر، وغير ذلك من أنواع العبادات. واعترف بحق العقل فأمره بالنظر والتفكير في الكون، وأمره بالعلم وأنكر عليه الجمود والتقليد الأعمى.
- وراعى كذلك وجdan الإنسان وعاطفته؛ فلقته إلى جمال الكون، ولباح له اللهو والتمتع وترويج النفس دفعاً للسامة عنها.⁽¹⁾

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 74-75.

6- ومن معانٍ الإنسانية نظرة الإسلام إلى جميع الناس على أنهم متساوون في وحدة أصل الخلق: يقول تعالى: ﴿ يَكَانُوا إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُرًا وَبَأْلَى لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْثَرَهُمْ عِنْدَ أَنَّهُمْ أَقْنَنُكُمْ ﴾ (الحجرات: 13).

ففي الإسلام الحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع، والفرائض ملزمة للجميع، والعقوبات مفروضة على الجميع. ولو نظرنا في تاريخنا الإسلامي فإننا سنجده معنى المساواة جلياً وظاهراً. فمثلاً عندما سرقت المرأة المخزومية وحاول الصحابة أن يُشفعوا لأسامة بن زيد فيها عند رسول الله، غضب الله وقال كلمته المشهورة: "إنما هاك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأليم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

وفي المقابل لو نظرنا إلى تاريخ الأمم الأخرى لوجدنا التمييز والتفاوت بين الناس؛ ففي بلاد فارس مثلاً كانت الأكاسرة -ملوك فارس- يزعمون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، فكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ويرونهم فوق القانون والانتقاد وأنهم فوق البشر.

وأما الحضارة الغربية فيكتفي منها مشكلة التمييز العنصري بين البيض والسود حتى في مقام التعبد لله فللبنيان كنائسهم الخاصة بهم، وللسود كنائسهم الخاصة بهم أيضاً.

روي أنه حدث مرة وأن أخطأ رجل أسود فدخل كنيسة للبيض وكان القسيس يعظ ويتحدث فلمح وجه الرجل الأسود بين الحضور، فلم يملك القسيس إلا أن أخرج ورقة مطوية أرسلها إليه، فلما فتحها الرجل الأسود، وجد فيها: عنوان كنيسة السود في شارع كذا...!!!.⁽¹⁾

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 94-89.

-114-

الفصل الرابع

الإسلام والعلم

وفي مبحثان:

المبحث الأول: العلم والإيمان في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام.

المطلب الثاني: الأسس الإسلامية للعلم.

المطلب الثالث: أسباب الجفوة المفتعلة بين العلم والإيمان.

المبحث الثاني: قضايا طبية وثقافية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: العقم.

المطلب الثاني: أطفال الأنابيب.

المطلب الثالث: استئجار الأرحام.

المطلب الرابع: المحافظة على البيئة في الإسلام.

المطلب الخامس: آفة المخدرات وأثرها في المجتمع.

-116-

الفصل الرابع

الإسلام والعلم

المبحث الأول

العلم والإيمان في الإسلام

امتازت الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى باهتمامها بالعلم والعلماء فلولا العلم والمعرفة والأخبار، لما تكونت الثقافات. وقد تقدم في المبحث الثالث من الفصل الأول تعريف العلم لغة واصطلاحاً، وعلاقته بالثقافة الإسلامية، بما لا يدع مجالاً هنا لإعادة الكتابة، فليرجع إليه.

مصادر المعرفة في الإسلام:
المعرفة في الإسلام لها ثلاثة قنوات؛ هي: الوحي بشقيه المتنو (القرآن الكريم) وغير المتنو (السنة النبوية)، والعقل، والحواس، ولا يجوز تقديم مصدر على آخر إلا بعد استفاده الذي قبله.

المطلب الأول

العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام

وتتصح من خلال النقاط التالية:

1- العلم فرض على المسلمين: يكفي الإسلام وثقافته فخرأ أن أول آيات القرآن الكريم نزولاً على وجه الإطلاق، قوله تعالى: ﴿أَنْرِ﴾ (العلق: 1) إذ بها صار محمدنبياً ورسولاً. ولا يخفى علينا ما يحمله اللفظ القرآني ﴿أَنْرِ﴾ من دعوة إلى القراءة والتعلم ومحو الأمية، ولم يأت اللفظ بـ(اعبد) أو (اعمل) لأن العلم أولأ ثم يأتي بعده العمل.

قال ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم.^(١) ويستوي في ذلك الرجل والمرأة.

2- العلم شرط لقبول كلمة التوحيد: قال تعالى: ﴿فَاعْتَدْهُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْسَنٌ لَا يَرْجِعُ دُنْيَاهُ إِلَّا مَاتَ وَهُوَ يَعْمَلُ﴾ (محمد: 19) وقال ﷺ: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة.^(٢) فالعلم البقيني لتوحيد الألوهية والربوبية وما يقتضيهما شرط لصحة الإيمان وقبوله.

3- الأمر بالاستزاده من العلم: يقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّنِي عَلَيْنَا﴾ (طه: 114). إذ يطلب النبي هنا الاستزاده من العلم، فثبت أنه لا شيء أشرف من العلم.

يقول القرطبي في تفسيره: (فَلَوْ كَانَ شَيْءاً أَشَرَّ مِنَ الْعِلْمِ لَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمُزِيدَ مِنْهُ كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يَسْتَرِيدَهُ مِنَ الْعِلْمِ).^(٣) والخطاب وإن كان موجه للنبي ﷺ بالدرجة الأولى، إلا أنه يتناول عموم الأمة الإسلامية بالدرجة الثانية.

4- ورود لفظ (العلم) في القرآن الكريم والسنة النبوية على سبيل المدح والثناء: لقد وردت مادة (علم) بجميع اشتقاقاتها في القرآن الكريم (880) شملها وثمانين مرة.^(٤) وهذا يدل على شرف المذكور، ومنزلته الرفيعة، وعلو شأن العلماء. ومن مظاهر المدح والثناء للعلم والعلماء:

أ- افتراق اسم العلماء مع اسم الله تعالى وملائكته. يقول تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ رَأَوْا أَنَّمِّلَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: 18).

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (224).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (26).

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج 24، ص 41.

(٤) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المغيرس لأنفاظ القرآن الكريم، مادة (علم).

بـ- رفع شأن العلماء. يقول تعالى: ﴿يَرْفَعَ اللَّهُ أَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْأُولَئِكَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: 11).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 9).

جـ- العلم طريق إلى الجنة. قال ﷺ: "وَمِنْ سَلْكِ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهْلًا لِلَّهِ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ".⁽¹⁾

دـ- العلم أفضل من العبادة. قال ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضل على
أنذاكم" ثم قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَينَ حَتَّى
النَّمَلَةُ فِي جَرَحِهَا وَحَتَّى الْحَوْتُ لِيَصْلُوْنَ عَلَى مَلْكِ النَّاسِ الْخَيْرِ".⁽²⁾

هـ- العلم سبب الخشية من الله. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْمُلْمَسُوا﴾ (فاطر: 28). فكثير من العلماء كانت علومهم وبحوثهم سبباً
لإيمانهم بالله والخشية منه؛ ذلك أن العالم أقدر من غيره على معرفة آيات
الله في الأنفس والآفاق.

5ـ العلم النافع طريق دائم للأجر والثواب: إذ يستمر أجر العالم بعد موته
إلى يوم القيمة. قال ﷺ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلٌ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ: إِلَّا مِنْ
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يَنْتَعِنُ بِهِ، أَوْ لَدْ صَالِحٍ يَدْعُ لَهُ".⁽³⁾
والآحاديث في فضل العلم والعلماء كثيرة أفردها العلماء في مصنفات خاصة
من أجمعها كتاب (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر.

(1) لترجمة مسلم في صحيحه (2699)، والترمذى في سننه (2646)، وأبي ماجة في سننه (225)
وللنظر لمسلم.

(2) لترجمة الترمذى في سننه (2685)، وقال عنه: حسن غريب صحيح.
(3) لترجمة مسلم في صحيحه (1631)، والترمذى في سننه (1376)، والنمساني في سننه الصغرى
(3681)، وأبي داود في سننه (2880)، وللنظر لمسلم.

المطلب الثاني

الأسس الإسلامية للعلم

قام العلم في الإسلام على الأسس التالية:

- 1- **العلم عبادة**: فكما يشترط في العبادة الإخلاص، وكذلك يشترط في العلم، إذ يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، لا أن يكون لأجل العلم والمعرفة. قال **رسوله**: "من تعلم علمًا مما يُبتغى فيه وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الْجَنَّةِ" ^(١) يوم القيمة ^(٢).
- 2- اعتماد المناهج العلمية الصحيحة في دراسة العلوم: وذلك باتباع منهج البحث العلمي المناسب للموضوع المراد بحثه. ومن هذه المناهج: المنهج النقلي، والاستقرائي، والوصفي، والمناهج الخاصة بالمحدثين والفقهاء وعلماء اللغة، وأن تكون مصادر البحث صحيحة وموثوقة ومونتقة حسب الأصول؛ حتى يصل الباحث إلى نتائج صحيحة. وأما الظن والكذب والخرافات والأوهام فهي من الآفات العلمية التي تخرب جسم البحث العلمي. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَايَاتُهُمْ قُلْ هَأُولَأُمَّهُنَّ كُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّكْدِرِيْنَ﴾ (البقرة: ١١١).
- 3- الواقعية: فليس من الواقعية البحث في الأمور الغيبية المتصلة بالذات الإلهية وبحقائق اليوم الآخر وغيرها. ويجب على طالب العلم أن لا يبحث أو يسأل في أمور لا يتوقف عليها فائدته، ولا يتربّط عليها عمل.
- 4- الموضوعية: وتعني بيان الحقيقة كما هي، لا كما يراها الباحث، لأن الهدف من البحث العلمي الوصول إلى الحقيقة والمعلومة الصحيحة، وعلى الباحث

^(١) أي ريحها.

^(٢) أخرجه أبو داود في سننه (2664)، وأبن ماجة في سننه (252).

لن يتبع عن مفردات الهوى والمزاجية، والأنانية. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْعُقُولَ فَوَأَهَمُ لَفَسَدَتِ السَّنَوْرُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون: 71).

5- الإيجابية: فالإسلام يرفض السلبية والعبيضة في العلم وجميع العلوم للضارة، لأن طالب العلم في عبادة، وقد حذرنا الرسول ﷺ من مثل هذه العلوم. فقال: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"^(١). ولا يمكن أن يكون العلم في الإسلام وسيلة للشر أو إفساداً للأخلاق.

المطلب الثالث

أسباب الجفوة المفتعلة بين العلم والدين

لا يوجد تعارض ولا عداوة بين العلم والإسلام، فالإسلام دين العلم، وقد رأينا فيما سبق كيف تجلت العلاقة بين العلم والإيمان، وأنها كانت علاقة تكامل وتفاعل؛ وأن العلم في الإسلام قام على أسس إسلامية متينة، فلا يوجد دين واحد بين العلم والدين مثل الدين الإسلامي، وهذا ما شهد به الغرب، إذ يقول العالم (هوتكن): (في الإسلام وحده نجد اتحاد الدين والعلم، وهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما).^(٢) وعليه فلا يوجد جفوة بين العلم والإسلام، وإن كانت هناك جفوة فهي مفتعلة ولها أسبابها، ومن أهم هذه الأسباب:

1- تصف الكنيسة (الصراع بين الكنيسة والعلم):

بعد تعسف الكنيسة السبب الرئيس في الجفوة بين العلم والدين.

^(١) لغره مسلم في صحيحه (2722)، والترمذى في سننه (3482) واللهظ لمسلم.

^(٢) يوسف القرضاوى، الدين في عصر العلم، ص 28.

والمقصود بالتعسف هنا: مجاوزة الحد في الظلم واستخدام القوة في حق العلم والعلماء. وكان منهج الكنيسة في التعسف كالتالي: ^(١)

أ- قررت صدور جميع العلوم والمعارف باسم الكنيسة، وكل رأي يخالفها باطل وكافر، يجب مقاومته بجميع الوسائل.

ب- زعمت أن الكتب المقدسة تحتوي على جميع العلوم الدينية التي يحتاجها البشر.

ج- عمدت إلى محاكمة عدد كبير من العلماء أمام محاكم التفتيش، بالحرق والشنق والقتل وغيرها من العقوبات. ومن لم يعاقب أصدرت عليه حكم التكفير.

د- قامت بإحراء كتب العلماء، ومصادرتها، وإتلاف تجاربهم، وحرمت على أتباعها الإطلاع على ما تبقى منها.

ومن العلماء الذين كانوا من ضحايا الكنيسة (كوبرنيكوس) الذي اكتشف دوران الأرض والكواكب الأخرى حول الشمس، و(غاليليو) الذي قال أن عدد الكواكب السيارة في السماء تزيد عن سبعة، و(نيوتون) مكتشف الجاذبية. وغيرهم كثير.

النتيجة:

- 1- كره الناس - وعلى رأسهم العلماء - دين الكنيسة.
- 2- المناداة بفصل الدين عن العلم والدولة، ظهر الصراع والتصادم بين الكنيسة والعلماء، حتى شاعت المقوله التالية: من أراد العلم ينبغي أن لا يكون متنبئاً، ومن أراد التدين ينبغي أن لا يكون عالماً.

^(١) عبد الله المشوخي، موقف الإسلام من الكنيسة والعلم، ص 101-100 بتصرف.

2- النظريات العلمية:

وتقوم النظرية العلمية على مشاهدة ظاهرة ما، ثم محاولة تفسيرها، فإن أيتها حقائق جديدة، آمنا بها، وعند ذلك تسمى بالحقيقة العلمية، وإن لم تويدها الأدلة تخلينا عنها.⁽¹⁾

فالنظرية العلمية لا تصلح دليلاً للإثبات، لأنها خاضعة للنقاش والجدل، والصواب والخطأ ولذلك لا ينبغي تفسير النظريات العلمية بالقرآن الكريم خوفاً من تعرض القرآن لساءة الفهم عند الناس.

على الرغم من ذلك، فإننا نجد البعض يروج لنظريات علمية تتعارض مع الدين -تعصباً لها- في الوقت الذي تراجع فيه أصحاب تلك النظريات عنها، أو عذلت، أو ألغيت.⁽²⁾

وعلى سبيل المثال: نظرية داروين، ونظرية الاستسماخ.

والحمد لله أنه لا ترجم حتى هذا اليوم حقيقة علمية تعارضت مع الإسلام، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَزَّلْنَا الْكِتَابَ رِبِّ الْأَرْضَامَ لِتَنْتَهُوا مِنَ الْعَجَزِ﴾ (الحجر: 9)، وهذه الآية من الإعجاز الغيبي المستقبلي في القرآن الكريم.

3- الجهل الديني والعلمي:

كثير من الناس جعل بعض العادات والتقاليد من الحقائق الثابتة في الدين، وعلى النقيض من ذلك وجد فريق آخر ينكر بعض الحقائق العلمية الثابتة بالقرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِمْ يَشْرَحْ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدَ أَنْ يُغْسِلَهُ يَعْمَلْ صَدَرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: 125).

⁽¹⁾ وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 51.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 51، محمد عبد السلام محمد وآخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 65.

فقد عرضت هذه الآية إعجازاً علمياً تمثل في صعود الإنسان في السماء -والذي اعتبره البعض ضرباً من الخيال- وأن الارتفاع عالياً في الجو يسبب ضيقاً في التنفس بسبب انخفاض نسبة الأوكسجين، والضغط الجوي كلما زاد الارتفاع (يُصنف). ولقد أدى الجهل بهذه الحقيقة العلمية إلى حدوث ضحايا كثيرة خلال تجارب الصعود إلى الجو سواء بالبالونات أو الطائرات البدائية، أما الطائرات الحديثة فأصبحت تجهز بالأجهزة الحديثة التي تضبط الأوكسجين والضغط الجوي.⁽¹⁾

بـ- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَا نَنْهَا فُرُّوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا أَنَاسٌ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحرير: 6).

أفادت الآية إن الحجارة وقد النار، في الوقت الذي أنكر فيه العلم هذه الحقيقة، وقال إن الحجارة تطفئ النار، فلا يعقل أن تكون وقداً للنار، إلى أناكتشف العلم الحديث صهر الحجارة تحت أعلى السعرات الحرارية.⁽²⁾
والذي يجب الالتفات إليه أن إنكار ما لم يعلم به الإنسان، أو لم يسمع بتفسيره، خطأ ديني وعلمي لا يقدم عليه أهل العلم والمعرفة.

4- اختلاف المنهج العلمي في الاستدلال:

يقوم المنهج العلمي الغربي: على الإيمان بعالم الشهادة، وبما تدركه الحواس، وما يمكن رؤيته، فطريقة استدلال الغرب على الأمور تكون من خلال المنهج الحسني (التجريبي) الذي يخضع للحس والمشاهدة والتجربة، فهم بذلك لا يؤمنون بالأمور الغيبية، لا بل يجعلونها ضرباً من الخيال.

⁽¹⁾ عبد الحميد ذياب وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، ص 21-22.

⁽²⁾ عبد السلام العبادي، الإيمان بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، ص 77، محمد عبد السلام محمد وأخرون، المرجع السابق، ص 67.

والغربيون ينافقون أنفسهم كثيراً في طريقة منهجهم، فهم آمنوا بكثير من الحقائق العلمية دون إخضاعها للحس أو المشاهدة، فصدقوا بوجود الجاذبية ولم يحسوا بها، وبوجود الكهرباء ولم يشاهدو تقنية اتحاد الموجب مع السالب، وآمنوا بالعقلاء ولم يتم الكشف على عقولهم وفحصها في المختبرات الطبيعية؟!

أما المنهج العلمي الإسلامي فيقوم: على الإيمان بعالم الغيب وعالم الشهادة؛ لأن الإيمان بالأمور الغيبية لا يتم عن طريق المنهج التجريبي، وإنما عن طريق الوحي الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

5- السياسات الدولية والحزبية:

تلجاً بعض الدول والأحزاب الهدامة التي ترفع شعارات (فصل الدين عن الدولة)، و(فصل الدين عن الأخلاق)، و(العلم للعلم) إلى التضييق على العلماء، والتقييد من حريةهم، والإقلال من شأنهم، وخاصة في العلوم الدينية، وهذا بلا شك من أهداف العلمانية.

المبحث الثاني

قضايا طبية وثقافية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية

امتناع الشريعة الإسلامية بقدرتها على استيعاب المسائل المستجدة والقضايا المعاصرة؛ سواءً أكانت طبيةً أم ثقافيةً أم اقتصاديةً أم سياسيةً لا سيما وأن الإسلام آخر الشرائع السماوية، فيجب أن يكون شاملًا لجميع القضايا العصرية الطارئة في جميع نواحي الحياة، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ مَوْعِدٍ﴾ (آلأنعام: 38). وفي هذا المبحث سنتحدث عن عدد من القضايا الطبية والثقافية المعاصرة، وحكمها في الإسلام.

المطلب الأول

العنق

حث الإسلام على الزواج من المرأة التي يتوقع منها الإنجاب، فحفظ النسل أحد المقاصد الضرورية للتشريع الإسلامي.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ بَيْنَ وَهَنَاءَ﴾ (النحل: 72).

وقد نهى الرسول ﷺ عن زواج العقيم فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات جمال وحسب، وأنها لا تلد فأفتزوجها؟ قال: «لا»، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم». ⁽¹⁾

(1) أخرجه أبو داود في سننه (2050)، والنسائي في سننه الصغرى (3229)، وللهفظ لأبي داود.

(١) العقم لغة:

هو الداء الذي لا يبرأ منه، وأعجم الله رحمها: أي لم تقبل الولد، ورحم معقومة: أي مسدودة؛ لا تلد، ورجل (عقيم) لا يولد له، ويوم القيمة (يوم عقيم)^(٢) لأنّه لا يوم بعده، وعقل عقيم: لا خير فيه، ومصدره العقم (بفتح العين وضمها وسكون الفاف).

العقم اصطلاحاً:

هو عدم القدرة على إنتاج النسل، وهو مرض يصيب الرجال والنساء، وتسمى المرأة عقيماً أو عاقراً إذا مضى على زواجها ثلاثة سنوات ولم يحدث الحمل بالرغم من توفر الأسباب لحدوثه.^(٣)

العقم في القرآن الكريم:

ورد لفظ (العقم) بمعنى عدم النسل والإنجاب مررتان في القرآن الكريم.^(٤)
قال تعالى: ﴿لَوْ مِلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهَا وَهَبْتُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُكُورَ﴾^(٥) أو يُروِّجُهُمْ ذَكْرَنَا وَإِنَّهَا وَجَعَلَ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ^(٦) (الشورى: 49-50).
وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرْفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(٧) (الذاريات: 29).

(١) الرازي، مختار الصحاح، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (عقم).

(٢) قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ (الحج: 55).

(٣) د. نجيب محفوظ، أمراض النساء العملية والطبية والجراحية للطلبة والأطباء، ص52، زياد لحمد سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، ص28.

(٤) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (عقم).

كما ورد لفظ (عاقر) -والذي هو من مسميات العقم- ثلث مرات في القرآن الكريم. هي: ⁽¹⁾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّيْ أَنَّ يَكُوْنُ لِيْ غُلَمٌ وَقَدْ بَأْتَنِيْ الْكَبِيرُ وَأَمْرَأِيْ عَاقِرٌ فَأَلَّا كَذَلِكَ اللَّهُ يَعْصُمُ مَا يَشَاءُ ﴾ ⁽¹⁾ (آل عمران: 40) وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي جَنِحُّ إِلَيْهِ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاهِي وَكَانَتْ أَمْرَأِيْ عَاقِرًا فَهَبْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيْهَا ﴾ ⁽²⁾ (مريم: 5) وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّيْ أَنَّ يَكُوْنُ لِيْ غُلَمٌ وَكَانَتْ أَمْرَأِيْ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكَبِيرِ عِنْتِيْا ﴾ ⁽³⁾ (مريم: 8).

أنواع العقم: ⁽²⁾

- العقم الأولي: وهو الذي يكون عند المرأة التي لم تستطع الحمل أصلاً.
- العقم الثانوي: وهو الذي يكون بعد عدة مرات من الحمل، تتوقف بعدها المرأة عنه. أي تكون المرأة ولدت ثم انقطع حملها بعد ذلك.

حكم التداوي من العقم:

قرر الأطباء أن العقم مرض. وعلى هذا فحكم التداوي من العقم هو الندب، وقد رفع بعض العلماء المعاصرین حكم التداوي من العقم إلى درجة الوجوب إذا ترتب على عدم معالجته فساد الحياة الزوجية وتعاستها. ⁽³⁾

فالحكم العام للتمادي من العقم هو الندب، والحكم الخاص هو الوجوب، وخاصة إذا كان الزوجان يملكان القدرة المالية على العلاج.

وقد جعل الله العليم القدير الناس أربعة أقسام: منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومن من يعطيه من النوعين، ومنهم من يجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، مادة (عاقر).

⁽²⁾ زياد احمد سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، ص 31.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 42.

أسباب العقم:

حصر الدكتور زيد الكيلاني أسباب العقم في ثلاثة أسباب، على النحو الآتي: (١)

- 1- **أسباب تتعلق بالزوجة**، ومنها: انسداد قناة فالوب، - وهي من أكثر أسباب العقم - والذي يمنع وصول البويضة من المبيض إلى الرحم؛ أو أمراض في الحوض.
- 2- **أسباب تتعلق بالزوج**؛ ومنها: قلة عدد الحيوانات المنوية، أو نوعيتها.
- 3- **أسباب غير معروفة**، إذ يوجد حوالي 10% من حالات عدم الإنجاب لا زالت دون سبب معروف.

وهناك أسباب تفصيلية للعقم، منها: (٢)

- 1- انتشار الأمراض الجنسية، نتيجة الورق في الزنا، وهي من أهم أسباب العقم.
- 2- استخدام اللولب لمنع الحمل، والذي يسبب التهاب الأنابيب والوحض.
- 3- تأخير سن الزواج إلى ما بعد سن الخامسة والعشرين، وهو سن الصسوبة الأمثل.
- 4- الإجهاض؛ حيث يسبب التهاب القناة الرحمية وانسدادها.
- 5- الجماع أثناء الحيض.
- 6- عمل المرأة وممارسة الرياضة العنيفة والرقص العنيف.

(١) جمعية العلوم الطبية الإسلامية، قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية، ج ١، ص ٩٤-٩٥.

(٢) محمد علي البار، طفل الأنابيب والتلقيح الاصطناعي والرحم الظفر والأجنحة المجمدة، ص 34 وما بعدها، زياد أحمد سلامة، المرجع السابق، ص 33-34، جمعية العلوم الطبية الإسلامية، المصدر السابق، ج ١، ص 28.

- 7- التعقيم⁽¹⁾ بقطع الأنابيب وربطها.
- 8- سوء التغذية والمجاعات.

علاج العقم:

يجب أن يكون العلاج حسب المسبب المباشر للعقم، وفي أحيان كثيرة يكون مجرد التوعية والتنقيف الصحي كافياً للعلاج.

وقد توصل الطب الحديث إلى طرق مختلفة لعلاج العقم منها: ⁽²⁾

- العلاج الكيماوي: عن طريق أحد الهرمونات، والعاقير الطبية الأخرى.
- العلاج الجراحي: لإزالة الانسداد في قناتي فالوب.
- العلاج بالتنقيف الصناعي الداخلي أو الخارجي (طفل الأنابيب).

حكم التعقيم في الإسلام:

المقصود بالتعقيم تحديد النسل أو منعه، وهو نوعان، هما:

- **التعقيم المؤقت:** وحكمه جائز شرعاً، وهو رخصة فردية يقرها الزوجان حسب ظروفهما، وخاصة إذا كان هناك أحمال متباعدة غير متباينة، والأولى من تحديد النسل مؤقتاً أن يكون هناك تنظيم للنسل، من خلال وسائل منع الحمل.
- **التعقيم الدائم:** فإن كانت هناك ضرورة طبية تستدعي منع النسل بشكل دائم، فهو مباح شرعاً، مثل وجود مرض السرطان، أو ضغط الدم المرتفع، أو السكري أو أي مرض خطير - عند الزوج أو الزوجة - من شأنه أن ينتقل إلى الأطفال المواليد.

⁽¹⁾ من وسائل منع الحمل.

⁽²⁾ عبد الرحيم عمران، تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، ص 276-278.

أما إذا لم تكن هناك ضرورة طبية، وأراد الزوجان أن يمنعوا الحمل، فهذا محرم شرعاً، سواء كان ذلك بقرار خاص من الزوجين أو بتشريع عام من الدولة.

المطلب الثاني أطفال الأنابيب

طفل الأنابيب: هو الطفل الذي تستخدم فيه طريقة التلقيح الصناعي الخارجي، أي في (أنبوب اختبار) وسمى تلقيحاً صناعياً لأنه لا يتم بطريق الاتصال الجنسي الطبيعي المعهود، وخارجياً لأنه يتم خارج الرحم.

تعريف طفل الأنابيب من الناحية البيولوجية:
هو عبارة عن أخذ البويضة والحيوان المنوي باستخدام تقنية طبية خاصة، وحقنهما مع بعض في وعاء المختبر، ثم وضعهما لفترة من ثلاثة إلى خمسة أيام في ظروف مخبرية معينة، ومن ثم إرجاع البويضة الملقحة (اللقيحة) إلى رحم الزوجة صاحبة البويضة.

حكم التلقيح الصناعي الخارجي (طفل الأنابيب):
لأن الولد نعمة من الله تعالى، وهو حق لكل من الزوجين، أباح الإسلام التلقيح الصناعي الخارجي، وهو الوسيلة الأخيرة لعلاج العقم بعد استفاد العلاج الكيماوي والجراحي. وذلك وفق الشروط والقيود التالية:^(١)

- 1- أن تكون الزوجية قائمة.
- 2- أن تكون الرغبة بين الزوجين متحققة.

^(١) محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج 1، ص 152، وربطة العالم الإسلامي، قرارات المجمع الفقهي الإسلامي، التورات: السابعة والثامنة والثانية عشرة، جمعية العلوم الطبية الإسلامية، المصدر السابق، ج 1، ص 135.

- 3- أن يكون السائل المنوي من الزوج، والببيضة من الزوجة ولا يجوز إدخال طرف ثالث على ذلك.
- 4- نقل الببيضة الملقحة إلى رحم الزوجة صاحبة الببيضة، ولا يجوز نقلها إلى رحم مستأجر لو متبرع آخر، ولو كانت زوجة أخرى لنفس الزوج.
- 5- عدم استخدام وعاء المختبر في عملية سابقة أو لاحقة خوفاً من اختلاط الأنساب؟.
- 6- وجود ضرورة طبية تدعو إلى هذه العملية، إذ لا يجوز اللجوء إلى التلقيح الصناعي إلا بعد استفاد كافة الوسائل الطبية الأخرى لمعالجة العقم.
- 7- أن يقرر العملية طبيب، مسلم، ثقة، ويقوم بها لجنة طبية موثوقة علمياً ودينياً.

خطوات إجراء عملية طفل الأنابيب: ^(١)

- أخذ الببيضة من الزوجة بتقنية طبية عالية، ووضعها في سائل له نفس خواص ومفعول السائل الموجود في أنسجة جسم الزوجة، ويكتب اسمها على الوعاء المخبرى.
- أخذ السائل المنوي من الزوج، ويكتب اسمه على الوعاء المخبرى.
- يتم وضع الببيضة والسائل المنوي في أنبوب مخبرى، ويكتب عليه لسماء الزوجين، ثم تتم ملاحظة عملية الإخصاب والتلقيح، والذي يتم عادة بعد أربع ساعات من أخذ السائل المنوي من الزوج.
- ترك الببيضة المخصبة لفترة تصل إلى أربعة أيام، وهذه الفترة تسمى التلقيح أو الإخصاب، وهي أكثر المراحل أهمية، وعندها تبدأ الخلايا

^(١) زياد لأحمد سلامة، المرجع السابق، ص 60-64، جمعية العلوم الطبية الإسلامية، المصدر السابق، ج 1، ص 53-57.

بالانقسام التضاعفي إلى (2، 4، 8، 16، 32، 64) وعندما تصل الخلايا إلى العدد 32 أو 64 يمكن زرع اللقحة في الرحم.

5- نقل اللقحة إلى رحم الزوجة صاحبة الببضة، ثم تعط الزوجة إبرة هرمونات لمدة أسبوعين تقريباً، حتى يتم التأكد من إصاقها بجدار الرحم.

6- في حال حصول الحمل ترافق السيدة مراقبة طبية دقيقة.

ونظراً لما في التقى الصناعي من ملابسات، ومن احتمال اختلاط النطف، أو اللقاء في أوعية الاختبار، ولا سيما إذ كثرت ممارسته وشاعت، فإن مجلس المجمع الفقهى ينصح الحريصين على دينهم أن لا يلجأوا إلى ممارسته إلا في حالة الضرورة القصوى، وبمنتهى الاحتياط والحذر.⁽¹⁾ ويذكر أن أول طفلة أنابيب في العالم واسمها (لويز براون) ولدت في شهر تموز عام 1978م.

المطلب الثالث استئجار الأرحام

وهو أسلوب من أساليب التقى والإخصاب الصناعي لعلاج حالات العقم التي لا حل لها. وقد عبر القرآن الكريم عن الرحم بالقرار المكين الوارد في قوله تعالى:

﴿تُمْ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (المؤمنون: 13).

⁽¹⁾ رابطة العالم الإسلامي، المصدر السابق، الدورتان السابعة والثامنة، ص 151، 165.

المقصود من تأجير الأرحام (التقنية):

وهو أن تقوم باخذ النطفة من الزوج (الحيوان المنوي)، والنطفة من الزوجة (البيضة). ثم يتم وضعهما في أنبوب مخبري لنتم عملية التلقيح، ثم تزرع للقيقة (النطفة الأمشاج) في رحم امرأة أخرى لا علاقه لها بالقيقة، وذلك مقابل مل متفق عليه يدفع لها طيلة فترة الحمل أو تفعل المرأة الأخرى ذلك تطوعاً.

وهذا ما يعبر عنه علمياً بـ(شتل الجنين).^(١)

وتسمى المرأة صاحبة البيضة بـ(الأم الأصلية)، وتسمى المرأة صاحبة الرحم المستأجر بـ(الأم البديلة) أو (الأم المنجية) أو (الحاضنة). والمصطلح الذي تفرزه لنا الأرحام المستأجرة هو (الأمومة المشتونة).

وقد بدأت فكرة تأجير الأرحام تغزو العالم العربي بداية عام 2001م.

حكم الإسلام في استئجار الأرحام:

ذهب جمهور العلماء المختصين بالعلوم الشرعية والطبية إلى تحريم (تأجير الأرحام) تحريماً مطلقاً؛ سواء كان الرحم مقدماً بهدف التبرع أو التجارة، أو لضرورة طبية علاجية، أو غير ذلك. سواء كان الرحم رحم زوجة أخرى لنفس الزوج، أو رحم امرأة أجنبية.

وقد صدر بذلك القرارات عن المجمع الفقهي الإسلامي التابع لـ(رابطة العالم الإسلامي)^(٢) والتابع لـ(منظمة المؤتمر الإسلامي)^(٣) والقرار الصادر عن (مجلس البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف)^(٤). وغير ذلك من الهيئات والمنظمات والجمعيات الطبية الإسلامية.

(١) محمد خطاب، مكانة المرأة في الإسلام واليهودية، رسالة دكتوراه "مخطوط" ص 173.

(٢) الدورات: الخامسة والسابعة والثامنة والخمسة عشرة.

(٣) الدورتان: الثالثة والعشرة.

(٤) القرار رقم (١) تاريخ 29/3/2001م.

الأسباب الداعمة للتحريم:

1- يؤدي ذلك إلى اختلاط الأنساب، فالجنسين يكتسب صفات وراثية من الرحم الذي شأ فيها؛ لأن الرحم ليس مجرد وعاء أو حاضنة غذائية كما كان يدعى البعض في السابق.

فبعد توسيع حالات استئجار الأمهات البديلات، أجريت عليهن أبحاث أفادت انتقال بعض الصفات الوراثية (الجينات) من الحوامل إلى الأجنة، الأمر الذي يعارض موقف الإسلام في مسألة حماية الأنساب من الاختلاط.

فكيف يكون الحال والنتيجة لو قامت صاحبة الرحم المؤجر بتاجير رحمها لأكثر من أسرة، ثم حدث مستقبلاً تزاوج بين أبناء هذه الأسر؟!

2- لا يصح قياس تأجير الرحم على تأجير المرضعة، وذلك لاختلاف بين الأمرين في أمور كثيرة؛ منها: أن المنفعة في استئجار المرضعة منفعة مشروعة لجازتها نصوص الكتاب والسنة وأما استئجار الرحم فهو عقد على منفعة غير مشروعة؛ لأن الرحم جزء من أدمية حرة لا تصلح أن تكون محل العقد والاستئجار.

3- الأصل في الفروج التحريم إلا بعقد زواج صحيح، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا عَنْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّمَا عَذَّرُهُمْ عَذَّرٌ مَلُومٌ ﴾ ﴿ ٦﴾ (المؤمنون: 6-5).

4- من شروط صحة العقد في الإسلام إلا يرتب عليه نزاع أو خصومة بين أطراف العقد؛ وعقد تأجير الأرحام يؤدي بشكل مؤكد إلى النزاع والخصومة بين المتعاقدين، سواءً كان هذا النزاع على المال أو الأحقية في امتلاك المولود ونسبة إليه. (١)

(١) موقع الإسلام أون لاين، وموقع العربية نت.

5- الإسلام لا يقر مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) بمعنى أن علاج العقم لا يكون من خلال الإنجاب بوسيلة الرحم المستأجر، وإنما بوسائل مشروعة منها: تعدد الزوجات، وزرع رحم لمن يلزمها ذلك، وخاصة بعد نجاح عمليات زرع الكلر والقرنية والكبد وغيرها.⁽¹⁾

المطلب الرابع

المحافظة على البيئة في الإسلام

البيئة لفظ: المنزل، والحال، ويقال: بيئه طبيعية، وبيئة اجتماعية، وبيئة سياسية.⁽²⁾

البيئة اصطلاحاً: هو العلم الذي يبحث في علاقة العوامل الحية من (حيوانات ونباتات وكائنات دقيقة) مع بعضها ومع العوامل غير الحية المحيطة بها.⁽³⁾ فيشمل مفهوم البيئة الموارد البشرية، والموارد الطبيعية مثل الماء والهواء والتراب، وموارد الطاقة بمختلف أنواعها، والثروة النباتية، والثروة الحيوانية. وأصل الكلمة مشتقة من المقطع اليوناني (OIKAS) بمعنى بيت أو منزل، و (LOGOS) بمعنى علم، أي أن علم البيئة: هو الذي يهتم بدراسة الكائن الحي في منزله، وقد تفرع عن هذا العلم عدة فروع؛ مثل: علم البيئة النباتي (Plant Ecology)، وعلم البيئة الحيواني (Animal Ecology) وعلم البيئة البشري (Human Ecology).⁽⁴⁾

(١) للمزيد انظر: يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة للمرأة المسلمة، ص 147-164، محمد خطاب، المرجع السابق، ص 174.

(٢) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (باء).

(٣) ليمن سليمان مزاهرة وعلى الشوابكة، البيئة والمجتمع، ص 17.

(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فضل الإسلام في المحافظة على البيئة:

للإسلام فضل كبير وعظيم في المحافظة على البيئة، ويتبين ذلك من خلال النقاط التالية:

1- السبق الإسلامي لمفهوم البيئة:

فقد وضع الإسلام مفهوم البيئة، وبين منهجه في المحافظة عليها قبل أكثر من ألف وأربعين عاماً، فهو بذلك يحقق السبق التشريعي في مجال البيئة؛ بمعنى أن الإسلام سبق جميع الأنظمة العالمية المعاصرة في ذلك.

2- تسخير البيئة للإنسان:

فقد سخر الإسلام البيئة بجميع مكوناتها للإنسان، حتى يستطيع القيام بواجب العبادة والخلافة في الأرض. قال تعالى: ﴿أَلَزَرِوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمًاٌ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ﴾ (القمان: 20).

3- المبادئ العامة التي وضعها الإسلام للمحافظة على البيئة:

فقد حث الإسلام على المحافظة على موارد البيئة بمختلف أنواعها؛ البشرية والمائية والزراعية والحيوانية، وفي جميع الأحوال السلمية والحربية.

قواعد الإسلام في المحافظة على البيئة:

وضع الإسلام قواعد ومبادئ كفلت المحافظة على البيئة، ومنها:

1- المحافظة على النظافة العامة والطهارة:

وتشمل نظافة الجسم، والثياب، والمكان، وتشمل نظافة المكان: المنازل، والمساجد، والساحات العامة، والطرق، وغيرها. وقد بين النبي ﷺ أن إماتة الأذى عن الطريق يعد من مقتضيات الإيمان. قال ﷺ: "الإيمان بضع وسبعين أو بضع

وستون شعبة فلفضلها قول لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق، والحياة
شعبة من الإيمان.⁽¹⁾

2- المحافظة على الثروة البشرية:

إذا كان الإسلام يبحث على المحافظة على البشر في الحرب فمن باب أولى
أن يحافظ عليهم في حال السلم، حتى لا يصل النوع الإنساني إلى مرحلة الانقراض
وبالتالي اختلال التوازن البيئي.

فقد أوصى أبو بكر الصديق رض أسمامة بن زيد وجيشه قائلاً (إني أوصيكم
بعشر فاحفظوها عنـي: لا تخونوا، ولا تغلوـا، ولا تغدوـا، ولا تمثـلوا، ولا تقتلـوا
طفلـاً، ولا صغيرـاً، ولا شيخـاً كبيرـاً، ولا امرأـة، ولا تدقـعوا نخلـاً ولا تحرـقـوه، ولا
تقطعـوا شجرـة مثـرـة، ولا تنبـحـوا شـاء ولا بـقرـة ولا بـعـيرـاً إـلا لـماكـلة).⁽²⁾

3- المحافظة على الثروة المائية:

نهى الإسلام عن تلوث الماء، وأمر بالمحافظة على مصادرها، وترشيدتها.
ومن التوجيهات النبوية في ذلك؛ نجد النبي صل نهى عن التبول في الماء سواء كان
راكداً أو جارياً، إذ قال: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يقتلـ
فيه".⁽³⁾

4- المحافظة على الثروة الزراعية:

حث الإسلام على إحياء الأرض وعمارتها لأغراض الزراعة، من أجل
تحسين الإنتاج النباتي وزيادته، والمحافظة عليه من الانقراض، كما نهى الإسلام
عن قطع الأشجار سواء كانت مثمرة أو غير مثمرة حفاظاً على التوازن البيئي.

⁽¹⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (35)، والترمذى في سننه (2614)، وأبن ماجة في سننه (57).
وللنظر لمسلم.

⁽²⁾ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 2، ص 50.

⁽³⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (239)، ومسلم في صحيحه (282) بلفظ (منه).

وقد وجدنا هذا التوجيه التقافي الإسلامي في حالة الحروب والغزوات، فكان ينهى الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه والخلفاء الراشدين من بعده لمن يوجهونهم من القادة إلى عدم قطع الأشجار أو إتلاف المزروعات التي تعود للعدو، إلا إذا طلب ذلك سياسة شرعية.

كما حث الإسلام على غرس الأشجار في الأماكن العامة والحدائق والمنتزهات بهدف تجميل البيئة، ولينتفع بظلها الإنسان والحيوان والنبات.

قال عليه السلام: إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإذا استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل⁽¹⁾. وتؤكدأ لأهمية الزراعة شرعاً الإسلام عقد المزارعة والمساقاة.

5- المحافظة على الثروة الحيوانية:

حث الإسلام على العناية بالحيوانات والطيور، فإن ذلك يؤدي إلى الحفاظ على التوازن البيئي من خلال حفظ النوع الحيواني من الانقراض، كما حرم الإسلام استخراج الحيوان إذا كان ذلك يلحق الأذى والعقاب به، لا بل جعل ذلك سبباً لدخول النار. قال عليه السلام: "عذبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وستتها، إذ هي حبسها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض".⁽²⁾ ومعنى خشاش الأرض: هو أنها وحشراتها.

وقد وجدنا هذا التوجيه التقافي الإسلامي في حالة الحروب والغزوات.

6- المحافظة على الكون سمعانه وأرضه:

أمر الإسلام بدفن الموتى في باطن الأرض، إكراماً للميت، وحفظاً على البيئة من التلوث، وكذلك لا يجوز دفن التفاحيات السامة والمخلفات الكيماوية والنحوية في باطن الأرض، والعمل على تنقية الفضاء الخارجي من التلوث

⁽¹⁾ أخرجه أحمد في مسنده (12981).

⁽²⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2242).

الأشعاعي والأسلحة الكيماوية والجرثومية، لما تلحقه من إبادة ودمار شامل للبشرية.

7- العناية بالغذاء وحملته من التلوث:

أباح الإسلام الطيبات؛ من اللحوم والخضراوات والفواكه والمشروبات. قال

تعالى: ﴿وَكُلُّا مَا رَزَقْنَاهُ لَكُمْ طَيِّبًا﴾ (المائدة: 88).

وحرم الخبائث، ومنها الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والمhydrات وغير

ذلك. قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَكَ لِيَهُ اللَّهُ يَدِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمَرْبَيَّةُ وَالنَّطَيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّيْمُ إِلَّا مَا ذَكَرْنَا﴾ (المائدة: 3).

وفي حالة انتشار الأمراض نرى الإسلام يؤكد على مبدأ الحجر الصحي كمظهر من مظاهر الـطب الوقائي في الإسلام.

8- التحذير من الحرائق والنار:

نظراً لما تحدثه النار وحرائقها من تلوث للبيئة، فقد حذرنا الرسول ﷺ من النار لا سيما وأنه لا غنى عنها في مرافقنا العامة، وبغض النظر عن مصدرها.

قال ﷺ: "إن هذه النار، إنما هي عدو لكم فإذا نتم فاطفناها عنكم".^(١)

حكم التشقيق البيئي في الإسلام:

الثقافة البيئية في الإسلام واجب شرعي، فالقاعدة الشرعية تقول (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) ومعنى ذلك لا يمكن تحقيق قواعد المحافظة على البيئة في الإسلام -والتي مرت سابقاً- إلا من خلال نشر الثقافة البيئية الإسلامية، فثبتت وجوبها.

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه (6294)، ومسلم في صحيحه (2016).

المطلب الخامس

آفة المخدرات وخطرها على المجتمع

تعريفها لغة واصطلاحاً:

لغة: خَدْرٌ، خَدْرًا: أي استر. وخَدْرٌ خَدْرًا: هو الفتور والاسترخاء والضعف والكسل، يقال: خَدْرٌ من الشراب أو الدواء.⁽¹⁾

اصطلاحاً: هي كل مادة حام أو مستحضره (مصنوعة) تحوي على عناصر منبهة أو مسكنة، من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية أن تؤدي إلى حالة من الإدمان عليها، مما يضر بالفرد والمجتمع جسمياً واجتماعياً ونفسياً واقتصادياً.⁽²⁾

والإدمان: هو الحالة الناجمة عن تكرار استعمال المادة المخدرة بطريقة منتظمة.

أنواعها:⁽³⁾

1- **المخدرات الطبيعية:** وهي مجموعة من النباتات والأعشاب تؤخذ وتستعمل كما هي دون تغيير في مكوناتها؛ مثل الأفيون والحسيش والقات وزهرة القطن.

2- **المخدرات الكيماوية:** وهي مجموعة من المستحضرات الطبية المستخرجة من المخدرات الطبيعية، وتمزج بمواد كيماوية بحسب معينة، تؤخذ على شكل أقراص تتبع في الصيدليات عن طريق الفم أو الأنف أو الحقن؛ مثل الكحول والكوكايين والمورفين.

⁽¹⁾ مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (خدر).

⁽²⁾ أحمد بن حجر، الخمر وسائر المسكرات، ص 147.

⁽³⁾ جبر محمود الفضيلات، ظاهرة المخدرات والحل الإسلامي، ص 19، أحمد بن حجر، المرجع السابق، ص 147-148.

ويطلق على المخدرات إطلاقات حديثة، هدفها تغريب لفظ (المخدرات) عن ساحة الممنوعات ومنها: المهدئات، والمسكنات، والمنومات، والمهديّات، والمنبهات.⁽¹⁾

وأخطر أنواع المخدرات الأفيون ومشتقاته كالمورفين والهيروين، والحسبيش الذي يستخلص من نبات المارجوانا.⁽²⁾

أسبابها:

هناك أسباب كثيرة أدت إلى انتشار ظاهرة المخدرات، منها:

- 1- ضعف الرادع والوازع الديني.
- 2- مجاملة الأصدقاء والأصحاب المنحرفين.
- 3- الهروب من مواجهة المشاكل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية.
- 4- الدعاية والإعلان، وسهولة الحصول عليها.
- 5- عدم تطبيق العقوبة على متعاطيها ومرؤожها.
- 6- الاستعمار والغزو العسكري والفكري.
- 7- بيع المهدئات من قبل الصيادلة بهدف التجارة، دون إدن مسبق من طبيب مختص.
- 8- تهانو الحكومات العربية والإسلامية، والعلماء والداعية والأطباء في التوعية والإرشاد بأضرار المخدرات.

⁽¹⁾ اللجنة الإعلامية للمؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات، (العلاقة بين المسكرات والمخدرات والمرض) المدينة المنورة، 22/3/1982م، ص.7

⁽²⁾ المؤتمر الشعبي الوطني الأول لمكافحة المخدرات (الشباب وحقيقة المخدرات)، عمان 2007/7/28

أضرارها:

- هناك علاقة وثيقة بين المسكرات والمخدرات، وكل من المرض والإجرام والإفلات والموت. ويمكن إجمال أضرار المخدرات على النحو الآتي: (١)
- أولاً: الأضرار الطبية: وتؤدي في أغلبها إلى الموت المحقق.
- أ- الجهاز الهضمي: وتؤدي إلى التهاب المعدة، والبنكرياس، وتليف الكبد.
- ب- القلب (الجهاز الدوراني): ويتمثل في مرض القلب الكحولي، والجلطة القلبية، وفقر الدم.
- ج- الجهاز العصبي: وتنسب التهاب الأعصاب الشامل، وفقدان الوعي الكامل، والشلل، وقد تفوت القدرة على التفكير والتعقل والتمييز.
- د- الجهاز البصري: وتشمل الرؤية المزدوجة، وعمى الألوان، ونقص الرؤية وضمور العصب البصري.
- هـ- الجهاز التناسلي: يدعى متعاطو المخدرات أنها مثيره جنسياً. غير أن الباحثين يؤكدون أن الإدمان في خاتمة المطاف يؤدي إلى العجز الجنسي والعنة الكاملة عند الرجل وإلى البرود الجنسي عند المرأة.
- ثانياً: الأضرار النفسية: ومن أبرزها الاضطهاد والكآبة والتوتر العصبي والنفسي، وحدوث أهلاس سمعية وبصرية، مثل سماع أصوات ورؤياً أشياء لا وجود لها، وتخيلات قد تؤدي إلى الخوف فالجنون.
- ثالثاً: الأضرار الاجتماعية: ومنها: التحلل الأخلاقي، وانتشار الجرائم والأمراض الجنسية، وتفكك الأسرة وارتفاع حالات الطلاق، وحوادث السيارات والانتحار بسبب التصرف اللاشعوري.
- رابعاً: الأضرار الاقتصادية: وتشمل ضياع المال العام والخاص، وانتشار البطالة والفقر في المجتمع، ونقص الإنتاج والدخل القومي، وضعف الأمة أمام أعدائها.

(١) المصادر السابقان، ص 12-18، لأحمد بن حجر، المرجع السابق، ص 148-151.

علاجها:

فتم الإسلام علاجاً متميزاً وقلباً لظاهرة المخدرات، ويتمثل في الآتي:

- 1- اختبار الفتوة الصنة، والصحة لصالحة غير المنحرفة.
- 2- تعليم وسائل العلاج الوقائي.
- 3- فرض الرقابة الأسرية والاجتماعية والدولية.
- 4- تطبيق العقوبة للراغدة على المتعاطفين والمروجين.
- 5- قيام الدعاة والأطباء والمختصين بولجى التوجيه والإرشاد بأضرار المخدرات.
- 6- إرشاد الحكومات ممثلة بأجهزتها الأمنية ودوائر مكافحة المخدرات إلى أماكن تعاطي المخدرات وبيعها، مع فرض المكافلات المجزية لكل من يدل بمعلومات تدل على ذلك.
- 7- التأكيد على أهمية دور الإعلام والتعبئة الإعلامية للتوعية بأخطار المخدرات.
- 8- التأكيد على دور وزارات التربية والتعليم العالي والصحة والتنمية والثقافة في إظهار خطورة هذه الأفة كل حسب اختصاصه.

المخدرات في الفقه الإسلامي:

هي الأمور التي تغيب العقل والحواس دون أن يصح ذلك نسوة وطرب.

وقد استخدم الفقهاء لفظ (المخدرات) في القرن العاشر الهجري.

حكم الإسلام في المخدرات:

لجمع الفقهاء عامة على تحريم المخدرات -قليلها وكثيرها- (زراعة وإنتاجاً وتعاطياً وبيعاً) وذلك (قياساً^(١)) على حكم تحريم الخمر. لخطرها على الضرورات للحسن (الذين والعقل والنفس والمال والعرض).

^(١) لقبس اصطلاحاً هو: إلحاق فرع بأصل لعنة مشتركة بينهما.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا إِنَّمَا الْفَحْرُ وَالْبَيْرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَذَالُمُ يَخْشَى مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَكُمْ تُنْهَىُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠). وقال تعالى: ﴿وَيَجِيلُ لَهُمُ الظَّبَابُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَثَ﴾ (الأعراف: ١٥٧). وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقِوَا يَدِيكُرُ إِلَى النَّارِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

وعن عموم قوله ﷺ: "كل شراب أسكر فهو حرام".^(١)
وعن أم سلمة رضي الله عنها - قالت: (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر).^(٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٢، ٥٥٨٥، ٥٥٨٦)، ومسلم في صحيحه (٢٠٠١)، والترمذني في سننه (١٨٦٣)، والنسائي في سننه الصغرى (٥٥٩٧-٥٥٩٤)، وأبو داود في سننه (٣٦٨٢)، وابن ماجة في سننه (٣٣٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٨٦).

الفصل الخامس

تحديات تواجه الثقافة الإسلامية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية

المبحث الثاني: التنصير

المبحث الثالث: الاستشراق

المبحث الرابع: التغريب الثقافي

المبحث الخامس: العلمانية

المبحث السادس: العولمة

الفصل الخامس

تحديات تواجه الثقافة الإسلامية

المبحث الأول

التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية

التقليد لغةً واصطلاحاً:

لغة: مشتق من الفعل الرباعي (قَلَّدَ) ويأتي بمعنى المحاكاة والاتباع من غير حجة ولا دليل.

والتقليد: العادات المتراثة التي يقلد فيها الخلف السلف، ومفرداتها: تقليد.
ولما الفعل الثلاثي (قَلَّدَ): يَقْلُدُ قَلْدًا وقلادة، فيدور حول المعاني الآتية: لوى،
 وجمع، وغرق، ومنه القلادة: وهي ما توضع في العنق من حلٍ ونحوه.⁽¹⁾
 وبملاحظة هذه المعاني اللغوية لمادة (قَلَّدَ) نجد أنها تتطابق انتظاماً على
 العادات الموروثة فهي تلوى على عنق أصحابها، وتتجتمع أمامه ليصبح أسيراً لها،
 حتى تغرقه في بحر التقاليد.

التقليد اصطلاحاً: هو (الأخذ بقول الغير من غير حجة ملزمة ودون بحث في
 الليل الذي اعتمد عليه هذا القول).⁽²⁾

التبعية لغةً واصطلاحاً:

لغة: مصدر (تَبَعَ) بمعنى سار في أثره وتلاه، يقال: تَبَعَ المصلي الإمام: أي
 هذا حذوه، واقتدى به، ونقول تابعه متابعة: أي تتبعه وتقصاه. والتبعية: كون
 الشيء تابعاً لغيره.⁽³⁾

(1) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (قَلَّدَ).

(2) محمد هشام الأيوبي، الاجتهاد ومقتضيات العصر، ص 145.

(3) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (تَبَعَ).

اصطلاحاً: هي متبعة مبادئ الغرب وقيمها في الأقوال والأفعال بغير دليل علمي، بهدف إخراج المسلمين من دينهم، وجعل العولمة شعاراً لهم. والتبعية نتيجة وأثر للتقليد.

الفرق بين الإسلام والتقاليد:

الإسلام بمجموعه (عقيدة وشريعة ولخلافة) يقوم على العلم والفكر والمنطق السليم. قال تعالى: ﴿ قَاتَلُوكُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد: 19).

ولما التقاليد فقوم على المحاكاة بهدف التقليد لا أكثر ولا أقل. وقد نم النبي ﷺ الذين يأسرون أنفسهم للتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد، ودعاهم إلى تحرير الأفكار والعقول من أمر التقليد الأعمى واستخدام العقل والمنطق.

ومن هنا ندرك مدى خطورة الخطيئة التي يقع فيها من يطلقون كلمة (التقاليد الإسلامية) على الإسلام. الواقع أن ترويج شعار (التقاليد) على الأحكام الإسلامية هو حلقة في سلسلة حرب الإسلام بالشعارات الباطلة والمدسوسة، خصوصاً في هذا العصر الذي أصبحت السيادة فيه لحرية الرأي والتفكير. ولكن الحقيقة أن الإسلام لا تقاليد فيه.⁽¹⁾

النهي العام عن التقليد والتبعية في القرآن الكريم والسنة النبوية: أولاً- النهي في القرآن الكريم:

نهى الله تعالى عن التقليد الأعمى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكُمْ بَلْ شَجَعُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مَا
أَنْتُمْ كَارِهُونَ كَمَا أَنَّهُمْ لَا يَتَّقِلُونَ
كَيْفَا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: 170).

⁽¹⁾ البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص 75-76 بتصريف.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِنَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَيَ الرَّسُولِ قَاتُلُوا حَتَّبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْنَا إِنَّا أَوْلَئِكَ مَا بَأْرَوْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: 104).

ثانياً- النهي في السنة النبوية:

نم الرسول ﷺ التقليد والتبعية بكلمة صورهما وأشكالهما، ومن ذلك:
قوله ﷺ: للتبغ عن سنت من كان قبلكم، شبرا بشير، وزراعا بذراع، حتى لو
دخلوا حجر ضب تبعتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال:
فمن؟⁽¹⁾.

قال النووي: المراد بالمتابعة هنا (الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في
الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ).⁽²⁾ وقال ﷺ: لا تكونوا إمعة
تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن
الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا ظلموا).⁽³⁾

صور التقليد وأشكاله:

التقليد صور وأشكال كثيرة، منها:

1- تقليد الأبناء للأباء وتقليد الآباء للأجداد:

وقد سجل القرآن الكريم هذا النوع من التقليد في آيات عديدة، منها قوله
تعالى: ﴿بَلْ قَاتُلُوا إِنَّا وَجَدْنَا إِنَّا أَنَّا عَلَى أَشْفَعٍ وَلَنَا عَلَى عَاتِئِهِمْ مُهَتَّدُونَ﴾ (الزخرف:
22).

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (2669)، ومسلم في صحيحه (3456)، وابن ماجة في
سننه (3994)، والله يحفظ البخاري.

⁽²⁾ صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 8.

⁽³⁾ أخرجه الترمذى في سننه (2007) وقال عنه: حسن غريب.

2- تقليد النساء للرجال ونفي تقليد الرجال للنساء:
ون ذلك سواء في اللباس، أو الزينة، أو حromo الأقوال والأفعال، وقد ذم رسول الله ﷺ هذا الصنف من المقلدين. فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (عن النبي ﷺ المختين من الرجل، والمتراجلات من النساء).^(١)

3- تقليد اليهود والنصارى في الأقوال والأفعال:
فقد ورد النهي العام في السنة النبوية عن عدم التشبه بغير المسلمين. قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».^(٢) كما أمر الرسول ﷺ بمخالفة اليهود والنصارى في جميع شؤون حياتهم. فقال: «لأن اليهود والنصارى لا يصيغون، فخالفوهم».^(٣)

حكم التقليد في الإسلام:

التقليد في الإسلام مرحلة ضعف، وحالة مرضية تمر بها حياة الأفراد والأمم، وقد رفض الإسلام ظاهرة التقليد والتبعية وذم أصحابها؛ لأنها اتباع بلا دليل ولا برهان. ولذلك لا يجوز التقليد أبداً في العقائد والأصول.

حكم التقليد في الأحكام الشرعية:^(٤)

القول الراجح في ذلك جواز التقليد في حق العالى العاجز عن الاجتهاد، لأنه لا يستطيع استبطاط الحكم الشرعي بنفسه، وهذا تكفيه فتوى العلم في التقليد، الذي يرى فيه الصلاح والتقوى. وفي ذلك يقول تعالى: {فَتَلَوْا أَفْلَأَ الْيَتَّمَرِينَ كُثُرًا لَا

^(١) لخرجه البخاري في صحيحه (5886)، ومسلم في سننه (2785).

^(٢) لخرجه أبو داود في سننه (4031).

^(٣) لخرجه البخاري في صحيحه (3462)، ومسلم في صحيحه (2103)، ولبو داود في سننه (4203)، وبين ماجة في سننه (3621).

^(٤) فتحى الدينى، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأى في التشريع الإسلامي، ص 19، عبد الكريم زيدان، أصول الفقه، ص 41.

تَلْمُوْت (٧) (الأئباء: 7) والتحريم في حق المجتهد القادر، الذي يملك مؤهلات الاجتهاد.

لِسَاب ظاهِرَة التَّقْلِيد والتَّبَعِيَّة:

هناك أسباب كثيرة، ومن أهمها:

- 1- عدم الفهم الصحيح والدقيق للإسلام.
- 2- إخلال نظام الغرب وحضارته محل نظام الإسلام وحضارته؛ وخلصة في مجال التربية والتعليم، والتشريع والحكم، والإدارة والتنظيم.
- 3- الولاء والانتماء لغير المسلمين ومحبتهم والإعجاب بهم؛ بسبب عدم ثقة المسلمين بأنفسهم.
- 4- انتشار مؤسسات الغزو الفكري والقضايا الثقافية المعاصرة، والتي يجمعها قاسم مشترك أعظم وهو (اللاتينية).
- 5- ثورة الاتصالات ووسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات.

اثْر التَّقْلِيد والتَّبَعِيَّة في كِيَانِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

وقد نتج عن تقليد الغير وتبعيته آثار سلبية، شملت جميع مجالات الحياة، وذلك على النحو الآتي: (١)

- 1- **الأنظمة والتشريع:** ونتج عن ذلك أن أصيب كثير من المسلمين بالازدواجية في الفكر والسلوك، وظهرت مؤامرة فصل الدين عن الدولة، والرضى بسياسة الأمر الواقع، والدعوة إلى تأويل النصوص الشرعية لترافق القرآنين الوضعية.

(١) محمد لبو يحيى وآخرون، *لتَفَاتُّ الْإِسْلَامِيَّةِ*، الطبعة الأولى، ص 358-362.

- 2- الناحية الأخلاقية:** ومنها؛ ضعف الوازع الديني، والتفكك الأسري، والدعوة إلى الاختلاط، ورفع تكاليف الزواج، والمؤثرات الجنسية التي امتلأت بها وسائل الدعاية والإعلان، فأفرزت لنا العنوسنة والخيانة الزوجية.
- 3- المظاهر العامة:** وتمثل ذلك في نسف المظهر العام للشخصية الإسلامية؛ وخاصة في الأزياء والزينة، والأسماء، والمنشآت العمرانية وتنظيمها.
- 4- الأدب واللغة والتاريخ:** فقد تم توسيع دائرة الأدب الغربي، والتضييق على الأدباء والشعراء المسلمين حتى أبعدوا عن وسائل الإعلام، وأما اللغة العربية والتاريخ الإسلامي فقد تم محاربتهم والتشكيل بهما بشتى الوسائل والأساليب.
- 5- الناحية الفكرية والنفسية:** فقد تم احتلال العقول والقلوب بعد احتلال الأرض، فانهزمت النفس الإنسانية وانكسرت أمام التحدي الهائل للغزو الفكري.

المبحث الثاني

التنصير CHRISTIANIZATION

مفهومه:

حركة دينية سياسية استعمارية، ظهرت بعد فشل الحروب الصليبية، بهدف نشر النصرانية في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين وخاصة. ومصطلح "التصير" أولى من (التبشير) ضبطاً للمصطلحات وعدم خلط للمسمايات؛ لأن التبشير (Preaching) يعني نشر الخبر السار، من البشرة، وحقيقة هذه الحركة أنها لا تبشر بخير سار، لذا كان مصطلح (التصير) هو الأنسب. فالتصير تبشير لمن يقوم بهذه المهمة، وإنذار وتدمير للفئة المستهدفة. وبعد (ريمون لول) أول مبشر نصراني تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية.^(١)

أهدافه:

للتصير أهداف كثيرة، من أهمها:

- 1- إدخال المسلمين في النصرانية: وقد أخبرنا الله عز وجل بهذا الهدف في قوله: ﴿وَقَالُوا كُوْنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ (البقرة: 135) قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ رَّغَيْتَ عَنْكَ أَتَيْهُمْ وَلَا أَنَصَرَى حَتَّىٰ تَنْجِعَ مَلَائِمُهُمْ﴾ (البقرة: 120).
- 2- إبعاد المسلم عن الإسلام: وقد أصبح هذا هدفهم الرئيس، حيث لجأوا إلى هذا الهدف بعد فشلهم في الهدف الأول، فقد شكا المبشرون في عدد من المؤتمرات التبشيرية من إخفاقة في إدخال المسلمين في النصرانية. وقالوا لا يستجيب للتبرير إلا أحد اثنين: طفل مخطوف من أهله وهو صغير فيربى على النصرانية، أو رجل

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة،

ص 159.

مُعدم لا يجد سبيلاً للعيش إلا الدخول في النصرانية ليحصل على لقمة العيش وحتى هذا يظل من المشكوك فيه أنه غير عقیدته حقيقة.

وبناءً على هذه الشكوى قام القس صموئيل زويمر يقول: "إن الخطباء قد أخطوا لما خطوا، وإنه ليس الهدف الحقيقي للتبرير هو إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما الهدف هو إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة به بالله".⁽¹⁾

3- إثارة الطائفية والعنصريّة في بلاد المسلمين: وذلك عن طريق تحريض غير المسلمين بأنهم أقلّيات غريبة، وأنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو الثالثة، ولا يحظون بالحقوق والامتيازات التي يحظى بها المسلمين. على الرغم من أن الحقائق التاريخية تدحض هذا الزعم، إذ كان الذمي في الدولة الإسلامية يتمتع بالجنسية الإسلامية.

4- تدمير الأخلاق والقيم الإسلامية: وذلك بهدف إضعاف قوة المسلمين، حتى يصبحوا جيلاً يهتم بشهواته وغراائزه.

وسائله وأساليبه:

استخدم المبشرون لتحقيق أهدافهم الأساليب والوسائل التالية:⁽²⁾

1- التعليم: فأنشأوا دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس بمراحلها المختلفة، والكليات والجامعات مثل: الجامعة الأمريكية في بيروت، والقاهرة واستانبول، وكلية غوردن في الخرطوم، والتي أصبح اسمها فيما بعد جامعة الخرطوم.

⁽¹⁾ عمر محمود الخطيب، المرجع السابق، ص173، عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية اصيلة، ص126.

⁽²⁾ عز الدين الخطيب التميمي وأخرون، المرجع السابق، ص37-40، موسى الإبراهيم، المرجع السابق، ص192-193، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المرجع السابق، ص166-167.

يقول المبشر هنري هريس: (إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي بعد هذا وسيلة لا غاية في نفسها).

ويقول المبشر الأمريكي ستيفن رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت خلال الفترة 1948-1954: (لقد برهن التعليم على أنه من أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجموا إليها في تصدير سوريا ولبنان).

ومن أساليبهم المستعملة في جانب التعليم أنهم يدرسون الطلاب في المدارس كثيراً من الأمور التي تخلّ بعقيدة المسلم، ومن أمثلة ذلك: ما يدرسوه في مدارستهم أن القرآن الكريم من وضع بحيراً الراهب، الذي أخذ الإنجيل وزاد عليه من التشريعات وأعطى ذلك كله لمحمد عليه السلام فتبناه محمد وسماه قرآنًا. وهذه الأكذوبة كثيراً ما يرددونها.

وكذلك يدرسون في مدارسهم أن المسلمين يعبدون الكعبة والحجر الأسود فيسجدون له ويقبلونه، وأحياناً يطرحون أسئلة ويجيبون عليها مثل: من هو يسوع المسيح؟ فيجيبون: المسيح ابن الله تأسّس من أجلانا.⁽¹⁾

ومن أساليبهم في جانب التعليم تشجيع البعثات للدول الغربية، وأول مثال لأثر هذه البعثات ما حدث لرفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس منذ سنة 1826-1831، فعاد رفاعة هذا مختل الموارزن، فقال مثلاً عن الرقص الذي رأه في باريس بأنه نوع من الأناقة.⁽²⁾

2- التطبيب: فأقاموا المستشفيات والعيادات الطبية، والعلاج الطبي المجاني، وكانت تقام الصلاة المسيحية في كافة عناير المرضى، وزيارة كل مريض في منزله بعد الشفاء. وقد جاءت قرارات وتصصيات مؤتمرات التبشير تؤكد استخدام

⁽¹⁾ عبد الرحمن الميداني، لجنة المكر الثالثة، ص 76-77، عبد العزيز العسكري، التصوير، ص 37.

⁽²⁾ علي جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص 31.

العلاج الطبيعي في التبشير. وهكذا استغل المبشرون آلام المرضى، وحولوا مهنة الطب إلى وسيلة خداع، ليث أفكارهم التصويرية ثناً للعلاج.

يقول المنصرون: حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبرير.

وتقول المبشرة إيدهاريس ناصحة الطبيب الذاهب لمهمة التبشير: (يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم... ولعل الشيطان يريد أن يفتك فيقول لك إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع له).

لقد بلغت بهم الخسأ أنهم في بعض الدول الفقيرة كالسودان لا يعالجون المريض إلا بعد أن يركع للصلب، فإذا رفض طلب منه الاعتراف بأن شفاءه في يد المسيح، أو يسأل المسيح الشفاء، ومن يرفض فلن يحصل إلا على وصفة خطأته.⁽¹⁾

ويعد التعليم والتطبيب أكثر أساليب التبشير خطورة.

3- الصحفة والإعلام دور الطباعة والنشر: فأصدروا الصحف والمجلات والنشرات والكتب، وأنشأوا المكتبات والمراكم الثقافية والشبابية والمعلوماتية، وأسسوا المطبع لطباعة الأنجليل، وامتلكوا المحطات الإذاعية والقنوات الفضائية لاستكمال نشاطهم الإعلامي.

ومن أشهر الإذاعات التصويرية: إذاعة مونت كارلو، وإذاعة صوت الغربان، والمحبة والوفاء، ويستخدمون أساليب مختلفة في هذه الإذاعات لاجتذاب المسلمين، من بينها تقديم نشرات علمية وسياسية واقتصادية وبث أغاني شرقية لمعرفتهم أن العرب يميلون إلى الموسيقى الشرقية، وبث برامج لتعليم اللغة الإنجليزية للشعوب الناطقة بالعربية، وفي نهاية البرنامج يسألون المستمع إذا كان يرغب في اقتداء

(1) عبد العزيز العسكر، التصوير، ص 31-32.

كتاب يحوي نصوصاً عربية مترجمة إلى الإنجليزية، وفي حال الموافقة يرسلون إليه إنجيلاً مترجماً إلى العربية.⁽¹⁾

ومن الأمثلة على الكتب التي يعملون على نشرها كتاب "البحث عن الدين الحقيقى" عام 1887م ولا يزال هذا الكتاب يدرس في المدارس النصرانية في الشرق والغرب، ومما جاء فيه: "إن الإسلام أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب، لقد تساهل محمد في أقدس قوانين الأخلاق، وسمح لأنباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات".⁽²⁾

4- الأعمال الخيرية والاجتماعية: فأقاموا الجمعيات الخيرية والأندية الثقافية الرياضية، والمخيمات الكشفية، وبيوت الطلبة من ذكور وإناث، ودور الأيتام واللقطاء ومراكم رعاية الشباب، وغير ذلك.

5- تشجيع تحديد النسل بين المسلمين: انتبه المشرعون إلى إضعاف قوة المسلمين المادية حتى يصبحوا أقلية في بلادهم، ومن أجل ذلك حرصوا على ترويج فكرة تحديد النسل بين المسلمين، وتشجيع الإكثار من النسل بين النصارى، وهذا ما أشار إليه المؤتمر الذي عقده البابا شنودة في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية

عام 1973م.

6- عقد المؤتمرات: ومن الأمثلة على ذلك مؤتمر القاهرة 1965م ومؤتمر أدنبرة التبشيري بإسكتلندا عام 1910م، ومؤتمر القدس في الأعوام 1924م، 1935م، 1961م.

(1) المرجع نفسه، ص 43.

(2) عمر عودة الخطيب، المرجع السابق، ص 39.

أساليب تنصيرية جديدة:

لم يكتف المنصرون بالأساليب التنصيرية السالفة الذكر بل أخذوا بـلجانون إلى
أساليب جديدة، ومن هذه الأساليب:

أ- نشر الإنجيل باللغة العربية في عدد من الدول الإفريقية، وكتابته بطريقة
تشبه "القرآن الكريم" فنجد في الإنجيل بعض الزخارف، وكل فصل منه
يبدأ بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، وتشكل الكلمات بحركات التشكيل،
واختيار كلمات قرآنية وإدخالها في ترجمة الإنجيل مثل: "قل يا عبادي
الذين هم لربهم ينتظرون. اعملوا في سبيله واحذروه كما يحذر الخامنئي
ساعة يرجع مولاهم فماهم بنائمهن". قال الحواريون أيريدنا مولانا بهذا أم
يريد الناس أجمعين؟ فضرب لهم عيسى مثلًا....".

ب- قراءة الإنجيل بطريقة تشبه تلاوة القرآن الكريم.
ج- إقامة القدس الأسبوعي يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد، بطريقة تشبه
صلاة المسلمين في حركاتها.

د- ترتئي المنصرين بأزياء الدعاة والمشايخ.

هـ- بناء الكنائس الجديدة بتصاميم تشبه المساجد، فتقام لها قبة ومئذنة.^(١)

مواجهته:

يجب علينا مقاومة (التنصير) بكل الوسائل المشروعة، ومن أهمها:

- 1- استغلال منابر الثقافة والإعلام، والخطابة والدعوة والإرشاد، في تعريف المسلمين بمفهوم التنصير وأهدافه ووسائله.
- 2- إنشاء مؤسسات إسلامية مثل المدارس والجامعات، والمستشفيات، والجمعيات والنادي، لتكون بديلاً عن المؤسسات التبشيرية.

^(١) عمر الأشقر، المرجع السابق، ص133-134.

المبحث الثالث

الاستشراق ORIENTALISM

مفهومه:

(هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وأدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسمى هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي)^(١). فالمستشرق هو كل من يشتغل بالدراسات الشرقية من أهل الغرب.

بداياته:

من الصعب تحديد بداية الاستشراق، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين. ولم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولًا في إنجلترا عام 1779م، ثم في فرنسا عام 1799م. وكان أول المستشرقين الراهب الفرنسي (جربرت دي) jerbert de الذي انتخب لكنيسة روما عام 999م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده.^(٢) وهذا يؤكد لنا أن الرهبان كانوا من أوائل المستشرقين، وأن فكرة الاستشراق انطلقت من الكنيسة.

أهدافه:

يمكن تلخيص أهداف الاستشراق فيما يلي: ^(٣)

- إثكارات أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً من عند الله تعالى، وأنه من تأليف محمد، ومستمد من كتب أهل الكتاب.

^(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص.33.

^(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

^(٣) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص19-24.

- 2- التشكيك ببنوة النبي، والزعم بأن الحديث النبوى من وضع المسلمين.
- 3- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامى، وأنه مستمد من الفقه الرومانى، وبقيمة التراث والحضارة الإسلامية، وأنها مستمدة من الحضارتين الرومانية والفارسية.
- 4- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسيرة التطور العلمي، لتنظر الأمة العربية عالة على المصطلحات الغربية.

دواجهه: (١)

1- الدافع الدينى: وهو الدافع الأول للاستشراق، وما أهداف الاستشراق السابقة الذكر إلا ترجمة عملية للدافع الدينى، فهم يريدون الطعن في الإسلام وتعريف حقائقه، وتزوير تاريخ المسلمين، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بكتمان الحق، وإلابس الحق بالباطل، يقول تعالى: ﴿أَلَّا يَرَوْنَ أَنَّا أَنْذَرْنَا مُوسَى مِنْنَا مِنْ حِكْمَةٍ كَمَا يَرَوْنَ أَنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَأَنَّا أَنْذَرْنَا رَبِيعَ الْأَنْوَافِ وَأَنَّا أَنْذَرْنَا مُوسَى مِنْنَا مِنْ حِكْمَةٍ كَمَا يَرَوْنَ أَنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَأَنَّا أَنْذَرْنَا رَبِيعَ الْأَنْوَافِ﴾ (البقرة: 146).

ومن الأمثلة على تشويه المستشرقين لحقائق الدين وتاريخ المسلمين:

أ- ما نكره المؤرخ والمستشرق الإنجليزى "ويلز" في كتابه "معالم تاريخ الإنسانية": فقد زعم أن عائلة السيدة خديجة رضي الله عنها -تضابيق- كثيراً من زواج الرسول منها، وأنه ليس من المحقق أنها -أي خديجة- كانت أكبر سناً من الرسول بكثير، ويدعى "ويلز" فيقول أن الرسول ﷺ ولد له ولد سماه "عبد مناف" و"مناف" عند هذا الكاتب اسم للرب المكى، وبالتالي فالرسول ﷺ كان يكتشف الدين اكتشافاً.

(١) عبد الرحمن الميدانى، المرجع السابق، ص 91-94، عزمى السيد وآخرون، المرجع السابق، ص 190-192، مصطفى السباعى، المرجع السابق، ص 15-25، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المرجع السابق، ص 35-38.

- بـ- ما نكره المستشرق "هنري ماسيه" في كتابه "الإسلام" فقد شكك في مصدر الدين الذي جاء به الرسول ﷺ مدعياً أن الوحي ناشئ عن الصوم الذي يضعف الجسم فيحدث في الليل أحلاماً ورؤى، وتحدث هذا المستشرق عن السيدة خديجة واصفاً إياها بالأرملة المطلقة التي كانت تثير بيتاً تجارب" ويقصد بذلك أنها تثير بيتاً للفاحشة والرذيلة.^(١)
- 2- الدافع الاستعماري: وذلك بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث التشكيك بعقيدتهم وترائهم، فيفقد المسلمون الثقة بأنفسهم، ومن الثابت أن حركة الاستشراق مسخرة في خدمة الاستعمار.
- 3- الدافع الاقتصادي: ويمثل في الاستيلاء على الأسواق التجارية، والمؤسسات المالية المختلفة، والثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية، وإimation الصناعات المحلية، لتبقى بلاد المسلمين عالة على صادرات المصانع الغربية.
- 4- الدافع السياسي: وذلك عن طريق السفارات الغربية في الدول العربية والإسلامية، إذ يوجد في كل منها سكرتير أو ملحق ثقافي يجيد اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة، فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته.

ومن الأمثلة على الذين أثر فيهم فكر المستشرقين "طه حسين" الذي أعلن إعجابه وتقديره لمناهج المستشرقين، ودافع عنهم كثيراً، حتى قال بعضهم: إن طه حسين ليس إلا مستشرقاً من أصل عربي، وما شاب فكر طه حسين من شوائب المستشرقين ادعاءه أن القرن الثاني للهجرة كان عصر مجون، وقد اعتمد في هذا على كتاب "أنساب الأشراف" الذي طبع في الجامعة العبرية في القدس العربية، وشكك طه حسين بوجود إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بالرغم من ذكرهما

^(١) عمر الأشقر، المرجع السابق، ص140-146.

في التوراة والقرآن، وجاري مستشرق اليهود في إنكار شخصية عبد الله بن سبا اليهودي.⁽¹⁾

5- الدافع العلمي: أقبل نفر قليل من المستشرقين على الاستشراف بدافع حب الاطلاع على الحضارة العربية الإسلامية وثقافتها ولغتها، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام، وأمن به، وهؤلاء هم المستشرقون المنصفون، ومنهم: المستشرق الإنجليزي (توماس آرنولد) صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) والمستشرق الفرنسي (دينيه) وتسمى باسم (ناصر الدين) وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام).

ومن المستشرقين المتعصبين: جولد زيهير: وهو مجرى، يهودي، ويُعدُّ من أخطر المستشرقين، من كتبه (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي)، وصموئيل زويمر: مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية، ومن كتبه (الإسلام) وماكونالد: وهو أمريكي، متعصب، من كتبه (الموقف الديني والحياة في الإسلام).

وسائله وأساليبه:

سلك المستشرقون في تنفيذ أهدافهم ودوافعهم، الأساليب والوسائل التالية:⁽²⁾

1- التدريس الجامعي: حيث يكاد يكون في أكثر الجامعات الأوروبية والأمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، يتولى مهمة التدريس الجامعي لعلوم الشرق الإسلامي، وتخریج الدارسين فيه الذين يحملون الأفكار الاستشرافية. أضف إلى ذلك استدعاء بعض المستشرقين -الأشد خطراً وعداء للإسلام- إلى الجامعات العربية والإسلامية لقاء المحاضرات المطعمة بأفكارهم.

(1) علي جريشة وزميله، المرجع السابق، ص23-24.

(2) عز الدين الخطيب التعميمي وآخرون، المرجع السابق، ص42، عزمي السيد وآخرون، المرجع السابق، ص194-195.

2- إصدار المؤلفات والمطبوعات والموسوعات العلمية وتحقيق المخطوطات وترجمتها: ومن أهم مؤلفاتهم؛ الموسوعة الإسلامية (دائرة المعارف الإسلامية) بأكثر من لغة، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وقد بلغ مجموع ما ألقوه عن الشرق منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين (ستين) ألف كتاب في موضوعات مختلفة، وكذلك تم إصدار ما يزيد على (ثلاثمائة) مجلة ودورية متنوعة وبمختلف اللغات، ولم تسلم المخطوطات الإسلامية؛ إذ أقدموا على تحقيقها بما يحقق أهدافهم.

3- عقد المؤتمرات والندوات وإقامة الجمعيات والنادي: فقد عقد أول مؤتمر للاستشراق في باريس في الرابع الأخير من القرن التاسع عشر (1873م). ثم تتابعت المؤتمرات بعد ذلك، وهناك العديد من الجمعيات الاستشرافية في كل من باريس، وبريطانيا، وأمريكا، تصدر عنها دوريات منتظمة.

4- التسلل إلى المجامع العلمية واللغوية: تمكن العديد من المستشرقين التسلل إلى المجامع العلمية واللغوية، والمنظمات والمؤسسات التربوية والفنية في البلاد العربية والإسلامية، وتعيين عدد منهم أعضاء فيها.

مواجهته:

يقع على المسلمين واجب كبير في التصدي للحملات الاستشرافية، وذلك من خلال الآتي:

1- إعداد موسوعة علمية إسلامية (دائرة معارف إسلامية): وبمختلف اللغات، وبأسلوب علمي وموضوعي، حتى يتم الاستغناء عن دائرة المعارف الاستشرافية.

2- ترجمة معاني القرآن الكريم، والسنة النبوية ترجمة إسلامية صحيحة.

3- الحضور الإسلامي في الغرب، عن طريق إقامة مؤسسات أكاديمية لتدريس الإسلام الصحيح.

- 4- الحوار مع المعتدلين من المستشرقين: لقوى الاتجاه المعتدل المنصف منهم، ودعمه وتشجيعه، حتى يصبح هو الغالب في الغرب.
- 5- إيجاد دار نشر ووكالة أبناء إسلاميين عالميين.⁽¹⁾
- 6- إيجاد قاموس للفقه الإسلامي على نمط القواميس العلمية الحديثة، يكون مرجعاً سريعاً لمعرفة المصطلحات الفقهية ومدلولاتها.

العلاقة بين التبشير والاستشراق:

- 1- التبشير والاستشراق دعامتان من دعائم الاستعمار فعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار.
- 2- الاستشراق يضع الشبهات حول الإسلام، والتبشير يروجها من خلال الاتصال المباشر بالناس.⁽²⁾

⁽¹⁾ موسى الإبراهيم، المرجع السابق، ص174-175.

⁽²⁾ عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص112، شرف القضاة وآخرون، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص263.

المبحث الرابع

التغريب الثقافي WESTERNIZATION

مفهومه:

هو تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة المسلمين بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وخصائصهم المنفردة وجعلهم أسرى الحضارة الغربية.^(١) والتغريب حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بالصبغة الغربية، وتشعر المسلم بالنقص والحرج والخجل وهو يدرس الثقافة الإسلامية.

أهدافه:

لتغريب أهداف كثيرة ومتعددة؛ منها:

- 1- تفريغ الأجيال من الإسلام، وملء الفراغ بالأفكار الغربية، وذلك من خلال تنشئة أجيال جديدة من المسلمين تختصر كل مقومات الحياة الإسلامية، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه والإرشاد وصنع القرار.
- 2- التشكيك بالرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهمـ، ومفكري الإسلام.
- 3- الدعوة إلى إحلال اللهجات العامية واللغات الأجنبية محل اللغة العربية.
- 4- إحياء النزعات والدعوات الجاهلية؛ كالقومية والفرعونية والرومانية والفارسية، وإثارة الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية وغيرهما.
- 5- الدعوة إلى الإلحاد والإباحية وخروج المرأة عن ضوابط الإسلام؛ وذلك من خلال المناداة بتحرير المرأة.

^(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المرجع السابق، ص 145.

وهذا الموضوع يستحق الوقوف عنده، ذلك أن الغرب في محاربته لنقاوتنا الإسلامية ركز كثيراً على موضوع المرأة، وستتحدث عن هذا الهدف من خلال النقاط الآتية:

أ- وضع المرأة في الغرب:

إن الناظر إلى تاريخ الغرب في معاملتهم للمرأة يجد فيه الغرائب، فقد عقدت الكنيسة مؤتمرات عدّة لتباحث مسألة: هل في المرأة روح؟! وبعد مداولات ومناقشات قررت أن فيها روحًا، ثم عقدت مناقشات أخرى حول مسألة أخرى، وهي: هل الروح التي فيها روح إنسانية أم روح حيوانية⁽¹⁾؟!

وكانت دياناتهم النصرانية المحرفة والمبدعة ترى أن المرأة أصل المعاصي والسيئات، وهي للرجل باب من أبواب جهنم فهي التي تحركه على الآثام، وقد وصل الحال في أوروبا أن الزوج كان إذا أراد التخلّي عن زوجته باعها في الأسواق، لأن الكنيسة تمنع الطلاق، ولذلك كانت هناك أسواق لبيع الزوجات، ولما بدأ الناس بالتلاعب في الأسعار تدخل القانون البريطاني في ذلك الوقت وحدد السعر بستة سنوات، وفي عام 1930م صدر قانون يمنع ذلك كله.⁽²⁾

النتيجة:

من أجل ذلك طالبت المرأة بحقوقها، فأعطوها حقوقاً نقلتها من ظلم إلى ظلم، فباسم تحرير المرأة استخدم الرجال المرأة مصيدة لجمع المال، وخرجت المرأة إلى العمل في المتاجر والمزارع والمصانع، وهذا أدى كما يقولون هم إلى خروجها على التقاليد والأخلاق المألوفة، وأدى إلى عدم الوفاء للزوج، لقد تركت المرأة العمل والإنجاب وتجرأت على قتل الأجنة في الأرحام وعلى الزنا، وكثُرت ملاجيء اللقطاء، وانتشرت الأمراض الجنسية وتحطمت مجتمعاتهم أخلاقياً.

⁽¹⁾ شرف القضاة وآخرون، المرجع السابق، ص 238.

⁽²⁾ عمر الأشقر، المرجع السابق، ص 83، شرف القضاة وآخرون، المرجع السابق، ص 238.

بـ- هل نجحت تجربة الغرب في تحرير المرأة:

للتعرف على الإجابة من خلال الإحصائيات التالية:

- ذكرت منظمة الصحة العالمية في تقرير لها أنه يجري في كل عام 15 مليون حادثة إجهاض، أو قتل جنين غير مشروعة، وهذا التقرير لا يشمل الدول التي تبيح الإجهاض كالدول (الاسكتنافية) ومعظم دول أوروبا.
- صدرت إحصائية عام 1979م تذكر أن عدد النساء اللواتي يلدن من غير زوج شرعي في أمريكا وحدها لا يقل عن 600 ألف فتاة، منها ما لا يقل عن 10 آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة من العمر.
- وأعلنت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة "مارغريت تاتشر" في لقاء تلفزيوني عام 1990م أن عدد الرجال والنساء المرتبطين بعلاقة غير شرعية تضاعف من عام 1979م إلى عام 1987م ثلاثة مرات.
وإذا أردنا أن نعرف أكثر هل نجحت تجربة الغرب في تحرير المرأة، فلنقرأ أيضاً ما قالته "مارغريت تاتشر": إن المرأة هي الخاسرة، وهي التي تتحمل العبء التقييل.

وتقول القاضية السويدية (بريجيت أوف هاهر): "إن المرأة السويدية فجأة اكتشفت أنها اشتترت وهما هائلاً -قصد بذلك الحرية التي أعطيت لها- بشمن مفزع هو سعادتها الحقيقة.

وتضيف هذه القاضية: إن المرأة تستقبل العام العالمي لحقوق المرأة بفتور معذب، وتحنّ إلى حياة الاستقرار العائلية المتوازنة جنسياً وعاطفياً ونفسياً، فهي تريد أن تتنازل عن معظم حريتها في سبيل كل سعادتها.⁽¹⁾

⁽¹⁾ عمر الأشقر، المرجع السابق، ص83-86.

وبعد هذا يطل علينا دعاء تحرير المرأة برؤوسهم في عالمنا العربي والإسلامي ليدخلوننا في المأزق الذي دخل الغرب فيه، وقد حدد دعاء تحرير المرأة وتغريبيها -سوالأولى تسميتهم دعاء هدم المرأة- أهدافهم في هذا المجال، وهي:

- أ- القضاء على الحجاب الإسلامي.
- ب- إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب.
- ج- تقدير الطلاق ووجوب إيقاعه أمام القاضي.
- د- منع تعدد الزوجات.
- هـ- إباحة الزواج بين المسلمات والكافر.
- و- المساواة بين الرجال والنساء في الحقوق السياسية والعمل.⁽¹⁾
- 6- تذويب الفكر الإسلامي وتراثه وحضارته بالفكر الغربي وحضارته فيما يسمى بالثقافة العالمية.

وسائله وأساليبه:

سلك التغريب في تنفيذ أهدافه وسائل وأساليب كثيرة، منها:

- 1- وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، وهذه من أقوى الوسائل لنشر التغريب. (وخطورة هذه الوسائل الإعلامية الحديثة في تلقي الأطفال ومنهم في مرحلة الشباب الأولى لها، حيث يكون هؤلاء في سن التلقي والتقليد، فيرسخ في نفوسهم أن ما يعرض عليهم من صور للحياة الغربية هو صواب وخير لا ضرر فيه، مع أن حقيقة الأمر فيه السم القاتل).⁽²⁾
- 2- التعليم والبرامج الدراسية والإرساليات التبشيرية، وعقد المؤتمرات والندوات، وطباعة الكتب التغريبية الخطيرة.

⁽¹⁾ عمر الأشقر، المرجع السابق، ص 485.

⁽²⁾ عزمي السيد وأخرون، المرجع السابق، ص 197-198.

3- تجديد بعض أبناء المسلمين ليكونوا دعاة للتغريب في العالم العربي والإسلامي، ومن أبرزهم طه حسين في كتابيه (الشعر الجاهلي) و(مستقبل الثقافة في مصر)، ورفاعة الطهطاوي في كتابه (تخيس الإبريز في أخبار باريز)، وقاسم أمين في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة)، وبطرس البستاني وهو أول مسيحي يدعو إلى العروبة والوطنية، وأحمد لطفي السيد، ومصطفى كمال أناتورك.⁽¹⁾

يقول طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة": "طريق الحضارة والرقي واضحة مستقيمة ليس فيها اعوجاج ولا التواء، وهي أن نسير سير الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيراً ما وشرها وحلوها ومرها".

ويقول (آغا أوغلي أحمد) أحد دعاة الكماليين في تركيا: "إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الاتهابات التي في رئتهم والنجاسات التي في أمعانهم".⁽²⁾

4- إنشاء التنظيمات والجمعيات والاتحادات النسائية الخيرية.

(1) لندوة العالمية للشباب الإسلامي، المرجع السابق، ص 145-150.

(2) عمر الأشقر، المرجع السابق، ص 81-82.

المبحث الخامس

العلمانية SECULARISM

مفهومها:

قد تشعر الكلمة في اشتغالها أنها تعني رفع شعار العلم، وحقيقة الأمر أن العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية (secular) المرادفة للكلمة الإنجليزية الأخرى (unreligions) والتي تعني بالعربية: لا ديني أو دينوي.

فالعلمانية تعني اللادينية، وفصل الدين عن الدنيا والدولة.

ولعل الغرض من إطلاق مصطلح (العلمانية) بدلاً عن (اللادينية) هو البعد عن الاصطدام بالمشاعر الدينية عند الأفراد، لما يوحيه لفظ (لا ديني) من عداء للدين، وهذا ما لا يفصح عنه لفظ (العلمانية). ولكن العبرة في النهاية للمعنى لا للمبنيان⁽¹⁾.

فالعلمانية (بفتح العين) تختلف عن العلمية والعقلانية؛ ولا صلة لها بكلمة العلم (science) والمذهب العلمي (scintism) وهذا مثال واضح على خلط المصطلحات وتسمية الأمور بغير مسمياتها.

هدفها:

من خلال مفهوم العلمانية يتضح هدفها، إذ أنها تهدف إلى فصل الدين عن الحياة، بمعنى إقامة الحياة وفق المذهب الدينوي.

فيعزل الدين عن جميع مجالات الحياة المختلفة، وتصبح الدولة لا دينية (وهذا أمر مرفوض، لأن الدولة التي لا إسلام لها لا يقبلها المسلم، والدين الذي لا دولة له لا يعرف الإسلام)⁽²⁾.

(1) محمد أبو يحيى وأخرون، المرجع السابق، ص 253.

(2) يوسف القرضاوي، لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، ص 146.

نشأتها وأسباب ظهورها:

بدأت العلمانية في أوروبا في القرن التاسع عشر، وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية، ثم انتقلت لتشمل معظم دول العالم في القرن العشرين، وقد أدت أسباب كثيرة إلى انتشارها، من أهمها: ^(١)

١- الصراع بين الكنيسة والعلم: وقد ارتكت الكنيسة خطأين فادحين في أن

واحد هما:

أ- تحريف حقيقة الوحي الإلهي وخلطها بكلام البشر.

ب- فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلًا في دائرة اختصاصها، وخاصة الحقيقة العلمية.

فأمرت الكنيسة بمحاكمة العلماء، ومصادرتهم كتبهم وإتلافها، وقد تقدم بيان ذلك في المبحث الأول من الفصل الرابع.

٢- الطغيان الكنسي: وتمثل ذلك في حصر الدين بيد رجال الكنيسة، وتحولهم إلى طواغيت، إذ أنهم احتكروا الذين تحت ستار الرهبانية، وصكوك الغفران.

٣- الثورة الفرنسية: نتيجة للصراع بين الكنيسة والعلم، والمظالم الاقطاعية التي كان يرزح تحتها الغرب النصراوي في أوروبا كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٩٤م، وهي أول حكومة (لا دينية) تحكم باسم الشعب، بدلاً من الدين الكنسي.

٤- كثرة الأنجليل وتناقضها وخلوها من تشريع إلهي يسعد البشرية.

٥- انتشار الأحزاب العلمانية والنزعات القومية.

^(١) سفر الحوالسي، العلمانية، ص ١٦٩، محمد الحسن، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ص ٣٦.

وسائلها وأساليبها:

اتبعت العلمانية ثلاثة أساليب أساسية لتحقيق هدفها، هي: ⁽¹⁾

1- التعليم: وقد اعتمدت في علمنة التعليم على الأساليب التالية:

الأول: التضييق على التعليم الديني مادياً ومعنوياً، وتمثل الحصار المادي في عدم الإنفاق على التعليم الديني، وأما الحصار المعنوي فاتخذ صورة السخرية بطالب العلم الديني والتغير منه، وبالفرقة بين خريج الكليات الدينية والكليات الأخرى.

الثاني: توسيع التعليم الديني: عن طريقبعثات الدراسية إلى أوروبا، ليزيد طالب العلم جهالة بيته، وتعلقه بقيم الغرب.

الثالث: انتشار المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية، وقد من علينا خطر المدارس الأجنبية وأثرها في الغزو الفكري والثقافي.

الرابع: نشر الاختلاط بين الجنسين في كافة مراحل التعليم، بدوعى التقدم ونشر الروح الجامعية، وبرروا الاختلاط بأنه يهذب الغرائز. ⁽²⁾

2- الإعلام: وهو أعم وأشمل من التعليم، لأنه يخاطب الآلاف والمليين، وعامة الناس تتأثر بوسائل الإعلام المختلفة، والتي بات معظمها سوللأسف الشديد مسرح لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، وإفساد العقيدة والأخلاق.

3- القانون: حرص أعداء الإسلام على إبعاد القانون عن مجال السلطة، والدول التي لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب لعلمنة القانون.

ومن أبرز دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، رفاعة الطهطاوي، ميشيل عفلق، أنطون سعادة، مصطفى كمال أتاتورك. ⁽³⁾

(1) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (275/1).

(2) علي جريشة وزميله، المرجع السابق، ص 66-67.

(3) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المرجع السابق، ص 370.

المبحث السادس

العولمة GLOBALIZATION

العولمة من أضخم وأخطر مؤسسات الغزو الثقافي والفكري التي تشهد لها اليوم الساحة العربية والإسلامية، فهي بحق زلزال اقتصادي وسياسي وإعلامي عنيف.

تعريفها:

تعددت تعريفات العولمة نظراً لاختلاف وجهات نظر الباحثين، وتوجهاتهم، وإدراكهم لهذه الظاهرة. ومن هذه التعريفات:

- 1- (نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار الحضارات والقيم، والأنظمة والثقافات، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم).⁽¹⁾
- 2- لخص بعض الباحثين العولمة فقال: (كثافة انتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم واحد موحد).⁽²⁾ والعولمة من الظواهر الكبرى التي توصف أكثر من أن تُعرف، ويقول أحد الفلاسفة: إن كل ما ليس له تاريخ لا يمكن تعريفه تعريفاً مفيداً، والعولمة مما ينطبق عليها ذلك إلى حد بعيد.⁽³⁾
- ونقصد بالنظام العالمي الجديد هنا (النظام الأمريكي) كون الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر الدول الغربية، فأسندت إليها (العولمة) أو (أمريكا العالم).

⁽¹⁾ محمد ليو زعور، العولمة، ص13، عبد الكريم بكار، العولمة، ص11.

⁽²⁾ برهان غليون وسمير لمين، ثقافة العولمة وعلوم الثقافة، ص21.

⁽³⁾ عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص11.

والذي يؤكد أن هذا هو المقصود من العولمة، ما صرخ به الساسة الأميركيين، ومن بينهم الرئيس الأميركي السابق "جورج بوش" الأب، حيث قال: كانت الولايات المتحدة على مدى قرنين من الزمن هي مثل العالم الأعلى في الحرية والديمقراطية... واليوم سوفي عالم يتحوال بسرعة شديدة- فإن زعامة الولايات المتحدة لا غنى عنها".

ويقول في مناسبة أخرى: "إننا ننطلع إلى نظام عالمي جديد يصبح أكثر تحرراً لـإزاء التهديد بالإرهاب... إننا ننطلع إلى عالم جديد، يسوده القانون بدلاً من شريعة الغاب".⁽¹⁾

ويقوم مبدأ العولمة على صهر العالم أجمع في قرية كونية صغيرة، ذات منهج ونظام جديد يشمل جميع نواحي الحياة؛ الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإعلامية، والتربية، والأخلاقية، والأمنية، وغيرها، علماً بأن مصطلح العولمة الغربية في أصل وضعه ومدلوله اقتصادي ومالى.

نشأتها:

يقول بعض الباحثين (من غير الممكن تحديد حقبة معينة لنشأة العولمة وكل ما يقال في هذا الشأن لا يخلو من التجوز).⁽²⁾ ولكن يمكننا القول أن العولمة مرت في نشأتها بثلاث محطات كبيرة نستعرضها فيما يلي:⁽³⁾

1- العولمة الأطلسية: وبدأت مع أواسط عقد الأربعينيات مع ظهور مشروع (مارشال) الأميركي الذي أقيم بهدف إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وتمثل ذلك بظهور البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي.

(1) عمر الأشقر، المرجع السابق، ص159.

(2) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص16.

(3) محمد أبو زعور، العولمة، ص16-22 يتصرف.

2- العولمة الإقليمية: وبدأت مع بداية النصف الثاني من عقد الخمسينات، عن طريق إنشاء سوق مشتركة، فسوق أوروبية موحدة، فاتحاد اقتصادي ونقدي ضمن معاهدة (ماستريخت) التي تضم خمسة عشر بلداً صناعياً.

3- العولمة الكونية: وبدأت عام 1985م حين أعلن الرئيس السوفيتي السابق (ميخائيل غورباتشوف) عن انهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً، وتبع ذلك انهيار حائط برلين عام 1989م، ثم حرب الخليج الثانية والتي انتهت عام 1991م.

فقد كان لهذه الأحداث خلال الأعوام (1985-1991م) الأثر الواضح في تبوء الولايات المتحدة الأمريكية الصدارة العالمية، إذ أنها بسطت نفوذها السياسي والاقتصادي والفكري والحضاري على العالم أجمع.

أهدافها وأثارها:

للعلمة أهداف إيجابية وأخرى سلبية تعكس وجهة نظر مؤيديها ومعارضيها. حتى وُجد من الغرب من قاوم العولمة، وفي مقدمتهم الفرنسيون، وصدق فيها القول (في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب).

أولاً- الأهداف السلبية (مخاطر العولمة):

ومن أهمها: ^(١)

- 1- الهيمنة على اقتصاد العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.
- 2- التحكم في مراكز القرار السياسي في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية.
- 3- إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب، وتدمير ثقافاتهم.
- 4- تعميق التناقض بين المجموعات البشرية، وتفتت الدول والكيانات.

^(١) المرجع نفسه، ص35 وما بعدها.

- 5- زيادة الدولة الغنية عنى، بينما تزداد الدولة الفقيرة فقرأ.
- 6- فرض السيطرة السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والعسكرية بقصد استغلال الدول ونهب خيراتها.

ثانياً- الأهداف الإيجابية:

ومن أهمها: (١)

- 1- زيادة الإنتاج المحلي والعالمي وحجم التجارة العالمية.
- 2- التسريع في دوران رأس المال حول العالم.
- 3- إزالة الحواجز والحدود الفاصلة بين الدول.
- 4- نشر التقنية الحديثة وتسهيل الحصول على المعلومات العالمية من خلال الثروة المعلوماتية الحديثة.
- 5- الوصول إلى الأسواق العالمية، دون فوائل جمركية، أو حدود سياسية، أو قيود مالية.
- 6- تقريب الاتجاهات العالمية نحو تحرير أسواق التجارة، ورأس المال.

مؤسساتها وأدواتها:

اعتمدت العولمة على مؤسسات كثيرة، وأدوات عديدة لتنفيذ أهدافها، أهمها: (٢)

- 1- الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات: وهي شركات تنتج وتبيع في عدد من الدول، تمييزاً لها عن الشركة التي تنتج وتبيع في بلد واحد.
- 2- المؤسسات والمنظمات الاقتصادية: وتشمل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التعاون للتنمية الاقتصادية، ومنظمة التجارة الدولية.

(١) المرجع نفسه، ص 26 وما بعدها.

(٢) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 53-60 بتصرف.

- 3- العقوبات الاقتصادية:** تجبر العولمة العالم على الانصياع للمعايير الغربية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال العقوبات الاقتصادية على تلك الدول التي لا تستجيب للرؤى الغربية وخاصة الأمريكية.
- 4- شبكة الانترنت (شبكة الشبكات العالمية):** وهي شبكة عاملة من الحواسيب المتشابكة، والتي يستطيع المشترك وصل حاسوبه بها، ليتمكن من الاستفادة من المعلومات التي يعرضها المشتركون بهذه الشبكة.⁽¹⁾
- 5- وسائل الإعلام والدعائية والإعلان:** فهناك ما يقارب خمسماة قمر صناعي تدور حول الأرض تشغل لنا المحطات الفضائية، مكنت جمهور وسائل الإعلام سرّاً لأول مرة في التاريخ - من رؤية ما يحدث في أطراف الأرض، وفي بثٍ حيٍ ومباشرٍ، وبفضل مراسلٍ الفضائيات أصبح القريبون من موقع الحدث أقل خبرة به من بعض البعيدين عنه.
- وسيكون للمجلات الإلكترونية، والكتاب الإلكتروني أثر عظيم في خدمة العولمة.

مواجهتها:

- يجب مواجهة العولمة بجميع أنواعها والتصدي لها، كونها تمثل تحدياً خطيراً للثقافة الإسلامية، الأمر الذي يتطلب منا مقاومة فكرية وثقافية وحضارية لهذا الزلزال العنيف، وذلك من خلال ما يلي:
- إبراز حقيقة الإسلام، والتأكيد على رحابته، وقبوله مبدأ حوار الحضارات، والتعارف بين الأمم والشعوب الأخرى.
 - تحسين الناشئة بالثقافة الإسلامية، أمام جميع الثقافات الوافدة.

⁽¹⁾ برهان غليون وسمير أمين، المرجع السابق، ص 227.

3- ضرورة نهوض المثقفين والأكاديميين لكشف مخاطر العولمة وأهدافها الاستعمارية.

4- النهوض بمشروع حضاري إسلامي معاصر تجد فيه الأمم والحضارات خياراً بديلاً عن عولمة الغرب.

الفصل السادس

نظام الأخلاق في الإسلام

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام

المبحث الثالث: هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟

المبحث الرابع: خصائص الأخلاق الإسلامية

المبحث الخامس: وسائل التربية الأخلاقية في الإسلام

المبحث السادس: تطبيقات من الأخلاق الإسلامية

الفصل السادس

نظام الأخلاق في الإسلام

المبحث الأول

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً

الأخلاق لغةً:

جمع (خلق) بضم اللام أو سكونها. وتدور معاني (الخلق) في اللغة على:
الطبع والسمينة والدين والمروءة.^(١)

الأخلاق اصطلاحاً:

هي هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عن الهيئة الأفعال الجميلة سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة خلقاً سيئاً.^(٢) فمثلاً من يصدر عنه بذل المال لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوتاً راسخاً، أي مستقراً في النفس. وجاء اشتراط صدور الأفعال بسهولة من غير روية وفكراً؛ لأنه من تكلف بذل المال لا يقول خلقه السخاء.^(٣)

ويرى (الباحث)^(٤) أن الأخلاق الإسلامية هي: مجموعة الآداب والصفات القولية والعملية التي حث عليها الإسلام، وذكرت في القرآن الكريم والسنّة النبوية،

^(١) ابن منظور، لسان العرب، والقิروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خلق).

^(٢) محمد الغزالى، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 5 بتصريف.

^(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^(٤) خالد إبراهيم الفتياوى.

وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم - والتي تظهر على المسلم نتيجة تقديره بها .
ويغير عنها بـ(مكارم الأخلاق).

مكارم الأخلاق: جمع مكرمة، ولا تطلق إلا على الخلق الحسن المحمود؛
مثل: الصدق والكرم والتواضع والوفاء بالعهد والحياة وغير ذلك.

الفرق بين الخلق والتخلق:

ذكرنا سابقاً أن الخلق هو الطبيع والسجية. وأما التخلق فهو التكلف والتصنع،
حيث يظهر الإنسان من خلقه خلاف ما يبطن. فهو أشبه بالنفاق الديني
والاجتماعي، ولذا لا يدوم طويلاً.

فمثلاً نقول الصدق خلق حسن، وأما كثرة حلف الأيمان للوصول إلى الصدق
تخلق بالصدق. وكذلك الكرم والجود من مكارم الأخلاق، وأما الإسراف والتبذير
فهمما تخلق بالكرم والجود. وأما الحياة فهذا خلق كريم، وأما ترك المطالبة بالحقوق
فهذا دافعه تخلق بالحياة؛ أي تصنع وتتكلف بالحياة.

المبحث الثاني

أهمية الأخلاق في الإسلام

لا تقل الأخلاق الإسلامية أهمية عن المكونات الرئيسية للإسلام وهي (العقيدة والشريعة). لا بل جعل بعض العلماء الأخلاق مكوناً ثالثاً للإسلام. فالنظام الأخلاقي الإسلامي يدخل دخولاً أولياً في معطيات كل نظام إسلامي حتى تكون مخرجاته إسلامية، ووفق ما أراده الشارع الحكيم.

لذا فإننا نجد الشريعة الإسلامية قد دعت دعوة كبيرة وصريحة واضحة إلى التمسك بمحكم الأخلاق، ونبذ الأخلاق السيئة. وكذلك كلام العرب من شعراء وحكماء وخطباء وأدباء الذين ركزوا على ذكر الأخلاق.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى في وصف خلق الرسول ﷺ (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4). فهو مجمع مكارم الأخلاق ومصدرها. وقوله تعالى: «خُذُ الْقُرْبَىٰ وَأَمْرُرْ بِالْأَعْرَافِ وَأَغْرِضْ عَنِ الْجَنِحِيَّاتِ» (الأعراف: ٣٧) (الأعراف: ٣٧).

وهناك طائفة كبيرة من السنة النبوية التي بينت أخلاق النبي ﷺ وحدث على الأقداء بها لما لها من ثواب كبير، وفضل عظيم. نذكر منها -على سبيل المثال لا الحصر- :

- 1- عن أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً).^(١)
- 2- عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: (إن من خياركم أحسنتكم أخلاقاً).^(٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (3040)، ومسلم في صحيحه (659)، والترمذمي في سننه (2015). وللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (3559)، و(3759) بلفظ (أحبكم) و(6029) بلفظ (خيركم). (6035) بلفظ (إن خياركم)، وأخرجه مسلم في صحيحه (2321) بلفظ (أحسنكم).

3- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أحبكم إلى الله وأقربكم منه مجلساً يوم القيمة أحسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلى الله وأبعدكم منه مجلساً يوم القيمة الثرثارون والمشدقون والمتغيفون) قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارين والمشدقون فما المتغيفون؟ قال: (المتكبرون).⁽¹⁾

الثرثار: كثير الكلام، والمشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام.

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: (تقوى الله وحسن الخلق).⁽²⁾

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٢٠١٨) وقال عنه: حسن غريب.

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه (٢٠٠٤)، وابن ماجة فى سننه (٤٢٤٦). وللهفظ للترمذى.

المبحث الثالث

هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟

كثر الجدل بين المختصين حول هذا السؤال. والصحيح أن الأخلاق الإسلامية فطرية ابتداءً، بمعنى أنها خلقت مع المخلوق الإنساني، سواءً أكان مسلماً أم غير مسلم.

ونقول في نفس الوقت أنه لا مانع من اكتساب الأخلاق الإسلامية. وهذا في حالة التخلّي عنها، أو غيابها لسبب من الأسباب. والدليل على أن مكارم الأخلاق فطرية:

1- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ لَذِكْرٌ لِلَّذِينَ حَسِيبُوا فِي طَرَائِقِ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا يَنْدِيرُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي تَعْبُدُونَ وَلَكُمْ أَنْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

والمقصود (بالفطرة) التي خلق الله تعالى الناس عليها هي الإسلام: بجميع محتوياته (العقيدة والشريعة والأخلاق).

2- قوله ﷺ: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة، بهيمة جماع، هل تحسون فيها من جدعا). (١)

3- حديث الأشج عبد القيس العصري، حيث له رسول الله ﷺ: (يا أشج: إن فلك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة). (٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (1358، 1359، 1385، 4775، 6599)، ومسلم في صحيحه (2658)، والترمذى في سننه (2138)، وأبو داود في سننه (4714). وللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (17، 18)، والترمذى في سننه (2011). وقال عنه: حسن صحيح.

وفي رواية أخرى، أن رسول الله ﷺ قال للأشجع: (إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة) قال: يا رسول الله: أنا أخلق بهما أمَ الله جيلني عليهما؟ قال: (بل الله جيلك عليهما) قال: الحمد لله الذي جيلني على خلتين يحبهما الله ورسوله.^(١) والمقصود بقول الأشجع العصري (أخلق بهما): أي اكتسبهما اكتساباً. الواقع العملي للناس يُصدق ذلك؛ فإننا نرى لو حل بأحد منا مكروه في الجو أو البحر أو البحر، فإن هذا الإنسان فوراً وفجأة يقول (يا الله اكشف عننا ما نحن فيه). وذلك بغض النظر عن ديانة هذا الداعي لله. فهنا رجع إلى أصل فطرته التي تنادي بالتوحيد، وأن الله تعالى هو المستحق للعبادة والدعاة، وأنه وحده يدفع الضر ويجلب النفع. وهذا خير مثال واقعي على فطرة العقيدة.

وانظر إلى الكذاب أو الخائن، فإذا ما كذبت عليه، أو استخدمت معه الخيانة، فإنه يغضب فوراً، لماذا؟ لأنه رجع إلى فطرته التي فطر عليها، ومن ضمنها (مكارم الأخلاق) والتي منها الصدق والأمانة. وهذا خير مثال واقعي على فطرة الأخلاق.

أما عن إمكانية اكتساب مكارم الأخلاق فهذا ممكن وواقع. تبعاً للبيئة التي يوجد فيها المولود. فشيء طبيعي أن يتتأثر هذا المخلوق ببيئته التي يعيش فيها، فإذا كانت هذه البيئة إسلامية، إيمانية، مطبقة لمكارم الأخلاق، فإنه ينشأ تبعاً لها. وإذا كانت هذه البيئة عكس ذلك فسيتأثر بها تلقائياً. فعند ذلك تقوم بإكساب هذا الإنسان ما فقده من فطرته في مجال العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق.

ومن الأدلة على اكتساب مكارم الأخلاق:

1- إن الهدف من الدعوة هو هداية الناس وإرشادهم إلى الحق في العقيدة والمعاملات والأخلاق، فما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب السماوية إلا

(١) أخرجه أبو داود في سننه (5225)، وابن ماجة في سننه (4187) بلفظ (أشيء جئتُ عليه لم شيء حدث لي؟).

لهذه الغاية. قال تعالى: ﴿وَمَا تُرِسْلُ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ مَأْمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُنَّ بَخْرُونَ﴾ (الأنعام: 48). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْبَأَهُمْ أَنَّهُمْ أَبْعَدُوا اللَّهَ وَأَجْعَبُوهُ الظَّلْعَوْتَ فَيَنْهَمُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الْحَسْنَاتُ﴾ (آل عمران: 136). قوله ﴿إِنَّمَا بَعَثْتَ لِأَنْتَمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾. (١)

2- أن الله تعالى خلق الإنسان وبه الاستعداد المزدوج نحو الخير والشر، والإيمان والكفر، والخلق محمود والمذموم. قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ إِلَيْنَا سَائِرًا وَإِنَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: 3) وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَيْنَا شَجَدِينَ﴾ (البلد: 10).

إنـ. لا يمكن القول بأن مكارم الأخلاق ليست فطرية، لأنـ هذا يخالف نصوص القرآن الكريم والسنـة النبوـية، ويصطدمـ مع مفهـوم مبدأ الثواب والعقـاب الذي أنـزلـه الله تعالى من السمـاء.

معنىـ إذا كانـ هذا المخلوقـ خـلقـ فيـ هذهـ الدـنيـا علىـ الشـركـ وـالـكـذـبـ وـالـخـيانـةـ وـالـبـخلـ وـقـلةـ الـحـيـاءـ وـغـيـرـ ذـلـكـ منـ مـسـاوـيـ الـأـخـلـاقـ. فـلـمـاـ يـعـاقـبـ عـلـىـ ذـلـكـ؟ وـهـذـا ماـ يـرـيدـ أنـ يـصـلـ إـلـيـهـ منـ أـنـكـرـ فـطـرـيـةـ الـأـخـلـاقـ. وـفـيـ ذـلـكـ سـوـءـ ظـنـ بـرـبـ الـعـالـمـينـ، وـعـدـ تـأـدـبـ مـعـ جـلـ جـلـلـهـ، لـأـنـ اللهـ تـعـالـىـ يـقـولـ: ﴿وَكُرِهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُقُ وَالْعَصْيَانُ أَوْتَيْكُمْ هُمُ الْأَرْسَدُونَ﴾ (الحجرات: 7).

فـمـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ أـصـلـ فـيـ الـبـشـرـيـةـ، تـامـاـ كـماـ هوـ التـوـحـيدـ، وـعـكـسـ ذـلـكـ اـمـرـ طـارـىـ عـلـيـهـ.

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (10/191)، والحاكم في مستدركه (2/670)، والبزار في مسنده (2/476).

المبحث الرابع

خصائص الأخلاق الإسلامية

بما أن الحديث عن أخلاق الإسلام، إن ما من خصيصة لهذا الدين إلا وهي ذاتها للأخلاق الإسلامية، ومنها:

1- التوازن بين مطالب الروح والجسد:
فمن حق الإنسان أن يشبع شهواته ورغباته، ولكن ضمن الضوابط الشرعية التي حددتها الإسلام، كما من حقه إشباع الروح بالطاعة والعبادة والعمل الصالح.
قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبَابُ مِنَ الْزَّقِ﴾
(الأعراف: 32).

2- السهولة واليسر ورفع الحرج والمشقة:
قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَسَاءٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾
(البقرة: 286).
وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسُرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْمُسُرَ ﴾
(البقرة: 185).

3- صلاحيتها لكل إنسان وزمان ومكان:
وهذا مستمد من صلاحية الإسلام.

4- إرضاؤها للعقل والقلب (العاطفة):
وهذا يعني أنه لا يوجد أمر أو نهي شرعي إلا معه مسوغاته ودواجه. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَنْثُ وَالْمُتَيْرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْلَمُ يُرِجَّعُونَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَبَوْهُمْ لَمَّا كُمْ تَقْلِيمُونَ ﴿ ٦١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوقِعَ بِيَنْكُمُ الْعَدَوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَنْثِ وَالْمُتَيْرِ وَالْأَصَابِ وَالْأَرْلَمِ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿ ٦٢﴾
(المائدة: 90-91).

5- موافقتها للفطرة السليمة والعقل الصحيح:

أما موافقتها للفطرة السليمة، فقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُا فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِلْ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي بَرَثَ الْقِيمَةَ وَلَكُنْ أَكْثَرُ أَنْسَاسٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

وقوله ﷺ: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة، بهيمة جماء هل تحسبون فيها من جداع؟) (١).
كما أن الأخلاق الإسلامية لا ترفض العقل الصحيح، لا بل تتفق معه. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ مَا يَنْتَ لِتَعْقِيْنَ﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يَتَبَصَّرُونَ (٦) (الذاريات: 20-21).

6- محكمتها النوايا والمقاصد:

وهذا يعني أن محكمة الأخلاق تمتد في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا يُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١١) (غافر: 19).
وقال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) (٢).

7- العموم والشمول:

وعلوم الأخلاق الإسلامية نابع من عموم الإسلام، إذ جاءت هذه الأخلاق لجميع الناس على اختلاف جنسهم ولونهم ولغتهم وأرضهم وطبقتهم، فكانت للرجل والمرأة، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والمسلم وغير المسلم.

(١) سبق تخرجه في المبحث الثالث (هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١)، ومسلم في صحيحه (1907) بلفظ (بالنية)، والنمساني في سننه الصغرى (75)، والترمذى في سننه (1647)، وأبو داود في سننه (2201)، وابن ماجة في سننه (4427).

الشمول فيعم جميع مجالات الحياة، فشملت الفكر والاعتقاد والسلوك وال العلاقات .. الأسرية والجماعية والدولية، حتى العلاقة بين الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى.

٨- الوجوب والإلزامية:

إذ تمتاز الأخلاق في الإسلام بأنها رُبّقها والعمل بها، لأنها تتطلّق من قاعدة عقدية وتشريعية، وأن التهانون فيها يعرضُها إلى المساعلة الدينية والأخروية، لذا فهي أخلاق شرعية يثاب فاعلها ويعاقب تاركه

الفرق بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق النظرية (الفلسفية):

١- مصدر الأخلاق الإسلامية: الوحي. أما مصدر الأخلاق النظرية فهو العقل البشري وما ينتجه عن عادات وتقالييد.

٢- الأخلاق الإسلامية ثابتة، أما الأخلاق النظرية فهي متغيرة تبعاً للمصلحة.

٣- الأخلاق الإسلامية صالحة لكل إنسان وزمان ومكان أي (عملية)، أما الأخلاق النظرية فهي ليست كذلك. أي (نظرية).

٤- مصدر الإلزام في الأخلاق الإسلامية هو الشعور بمراقبة الله تعالى، أما مصدر الإلزام في الأخلاق النظرية فهو الخوف من القوانين الوضعية الملزمة.

وبالجملة. فإن كل ضد خصيصة من خصائص الأخلاق الإسلامية -السابقة الذكر- هي خصائص للأخلاق النظرية (الفلسفية). والتي من خلالها يتضح الفرق جلياً بينها وبين الأخلاق الإسلامية.

المبحث الخامس

وسائل التربية الأخلاقية في الإسلام

هناك جهات كثيرة تؤثر في التربية الأخلاقية للفرد، وتلعب دوراً هاماً في إكسابه مكارم الأخلاق، ومن هذه الوسائل: (١)

١- الأسرة:

قرر الإسلام مكانة عظيمة للأسرة؛ لذا اهتم بها اهتماماً كبيراً من لحظة تكوينها بدءاً بالزواج حتى لحظة افترائها بالطلاق أو بالموت، ورتب على كل مرحلة من هذه المراحل حقوقاً وواجبات. وتقع على الأسرة مسؤولية تربية الأبناء على مكارم الأخلاق، مثل: الصدق والأمانة والصبر، والطهارة والغفوة والشجاعة والزهد؛ كي ينشأوا مسلمين يعيشون بالإسلام وللإسلام. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْمًا أَنفَسُكُوْمَ وَأَهْلِكُوْمَ نَارًا وَقُدُّمَهَا أَنَاسٌ وَالْمِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

وقال ﷺ: (علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشرة). (٢)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسألُ فيها عطاء، فيستجيب لكم). (٣)

ويلحق بالأسرة -التي هي المحضن الأول للطفل- دور الحضانة ودور التربية الخاصة.

(١) عمر يوسف حمزة، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ص 304-308 بتصريف.

(٢) أخرجه الترمذى في سننه (407) وقال عنه: حسن صحيح، وأبو داود في سننه (494) وللهذه للترمذى.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (3009)، وأبو داود في سننه (1532) وللهذه لمسلم.

2- المدرسة:

لقد أرسل الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ معلماً في قوم أميين، لا يعرفون القراءة والكتابة إلا قلة منهم، كما حكى ذلك سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمَاتِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَسْلُو عَنْهُمْ مَا يَبْيَنُهُ، وَرِزَقَهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ ثُبَّينَ ﴾ (الجمعة: 2).

وأول ما نزل من القرآن الكريم على وجه الإطلاق، قوله تعالى: ﴿ أَفَرَا يَأْنِسٌ رَّبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق: 1) تلك الآية التي حثت على القراءة والكتابة، وأعلنت الحرب على الأمية.

وتهتم التربية الإسلامية بإنشاء المدارس للتعليم، وقد كانت دار الأرقام بن أبي الأرقام أول مدرسة في تاريخ الإسلام، وكان الرسول ﷺ هو المعلم الأول في تلك المدرسة، ثم عمل الرسول ﷺ والصحابة -رضوان الله عليهم- على تعميم التعليم، وأوجبه على كل مسلم.

قال ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم).⁽¹⁾

فللمدرسة -بجميع مراحلها- أثر كبير وخطير في تعميق مفاهيم التربية الأخلاقية الإسلامية.

3- الصحابة والصدقة:

حث الإسلام على مصاحبة الأخيار، ونهى عن مصاحبة الأشرار؛ وذلك لما للصحابة من أثر كبير في أخلاق الفرد والمجتمع. وهذا ما أشار إليه الرسول الكريم ﷺ في قوله: (مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافع الكبير، فحامل

⁽¹⁾ أخرجه ابن ماجة في سننه (224).

المسك إما أن يُخذِّيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكبير
إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة).⁽¹⁾

ولهذا فإن مسؤولية الأبوين في معرفة أصحاب ابنائهم مسؤولية كبيرة؛ لذا
يجب عليهم أن يبصروهم فيما يصاحبون ويصادرون.

قال ﷺ: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالف).⁽²⁾

4 المسجد:

إن أول شيء بدأ الله تعالى به عمارة الكون هو المسجد. فقال جل شأنه:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَكْتَمُونَ مُبَارَّكًا وَمَهْدَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: 96).

ومن أجل هذه المكانة الكبيرة للمسجد، فإن له دوراً هاماً في التربية الأخلاقية
وترسيخ الهوية الذاتية للأمة، فهو المدرسة المفتوحة لكل أبناء المجتمع، فيه يتعلم
الناس أسس عقيدتهم وأحكام شريعتهم.

وخلاله القول فإن دور المسجد يمكن تلخيصه في الآتي:

أ- تعزيز مكارم الأخلاق في نفوس المسلمين؛ كالأمانة والصدق
والتواضع والحياء والكرم وغير ذلك.

ب- ترسیخ التعاطف والتزاحم بين أفراد المجتمع، فيقبل المسلم على مساعد
أخيه المسلم، ويتفقده إن غاب، ويفرج لما يسره، ويحزن لما يؤلمه.
تصديقاً لقول رسولنا الكريم ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضاً).⁽³⁾

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (5534)، ومسلم في صحيحه (2628).

⁽²⁾ أخرجه الترمذى في سننه (2378) وقال عنه: حسن غريب، وأبو داود في سننه (4833)،
وأحمد في مسنده (8417، 8028).

⁽³⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (481، 2446، 6026)، ومسلم في صحيحه (2585).

جـــ هناك مهام أخرى للمسجد منها: (المهمة الإعلامية والتعليمية والسياسية والعسكرية والاجتماعية)⁽¹⁾ إضافة إلى المهمة الكبرى وهي (العبادة). فارتبط الشباب بالمسجد يمنحه الثبات والاستقامة والاعتدال والزهد والعدة والطهارة. وغيره من مكارم الأخلاق.

ويتحقق بالمسجد المراكز الثقافية والشبابية والرياضية. وهناك وسائل أخرى تكون سبباً في اكتساب مكارم الأخلاق، منها:

5ـ العادات:

فمن المعلوم أن الإيمان يزيد بالطاعة والعمل الصالح، وينقص بعكس ذلك. ولا شك أن العادات بنوعيها البدنية والمالية لها أثر كبير في إصلاح الضمير وإبطالخلق الحسن، إذ تجعل الإنسان مراقباً لله في أقواله وأفعاله. يقول تعالى في شأن الصلاة: ﴿إِذْ أَصَّلُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: 45).

ويقول تعالى في شأن الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيمْ بِهَا﴾ (التوبه: 103).

فالزكاة تعمل على تزكية النفس وتطهير القلب من الشح والبخل. وتأدية العادات على أحسن وجه يؤدي إلى الأخلاق الحسنة والمحمودة. يقول ﷺ: (حسن الطن من حسن العبادة).⁽²⁾

(1) خالد براهيم الفتائي، التفسير الإعلامي لسورة النور، ص118.

(2) لخرجه ليو دلود في سننه (4993).

6- وسائل الإعلام الأرضي والفضائي:

- فيجب تنقية مؤسسات الإعلام بجميع أشكاله وأنواعه، سواءً في ذلك المفروء والمسموع والمرئي، والموقع الإعلامية الإلكترونية، وذلك من خلال عمل الآتي:(١)
- أ- يجب التخلص مما يسمى بجرائم الإعلام، التي منها الظن والكذب والافتراء والتلقي بدون علم أو ثبت، وهذه تشكل ناقص إعلامية شنيعة يعاني منها الإعلام الحاضر.
 - ب- حظر ومنع كافة النشاطات والمارسات الإعلامية المنافية للدين والأخلاق والأداب العامة، كما هو مشاهد لدينا اليوم من خلال الإعلام المعاصر.
 - ج— تحريم إشاعة الفاحشة بين المسلمين، وهو معيار يمكن أن يكون من الضوابط الإعلامية التي يمتاز بها نظام الإعلام في الإسلام، الذي يحفظ الأسس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكيان الدولة.
فالإعلام يلعب دوراً هاماً وخطيراً في توجيه وإعداد الشباب وإكسابهم مكارم الأخلاق.

(١) خالد براهم الفتياوي، التفسير الإعلامي لسورة النور، ص 169.

المبحث السادس

تطبيقات من الأخلاق الإسلامية

هناك الكثير من التطبيقات العملية للأخلاق الإسلامية، فجميع مكارم الأخلاق هي محل تطبيق عملي في جميع شؤون حياتنا. وإن هذا العنوان (تطبيقات من الأخلاق الإسلامية) ليعكس صورة مشرقة وجميلة من صور الجانب التطبيقي للإسلام. وبما أننا لا نستطيع إحصاء جميع مكارم الأخلاق في هذه الصفحات المعدودة، لذا يحسن بنا أن نعرض بعضًا منها:

أولاً- الصدق:

الصدق: هو مطابقة الكلام الواقع بحسب اعتقاد المتكلم، والصلابة والشدة.⁽¹⁾ وقد أوجب القرآن الكريم الصدق ودعا إليه في آيات عديدة منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوكُنُوا أَنْعَمُوا اللَّهَ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التحريم: ١١٩).

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الظَّوَّابِينَ يَرَأُ صَدَقَهُمَا مَا عَنْهُمَا اللَّهُ عَلَيْهِ فِتْنَهُمْ مَنْ فَضَّلَ تَحْمِيلَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُو أَبْيَادِهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

كما دعت السنة النبوية إلى التزام الصدق، يقول الرسول ﷺ: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً).⁽²⁾

(١) عمر يوسف حمزة، المرجع السابق، ص 152.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (2607)، والترمذى في سننه (1971)، وأبو داود في سننه (4989). وللهفظ لمسلم والترمذى.

يقول أحد الباحثين:

(ولما البر الذي هدى إليه الصدق، فهو قمة الخير التي لا يرقى إليها إلا هو العزم من الرجال، وحسبك فيه هذه الآية الجامدة⁽¹⁾: ﴿ لَيْسَ أَبْرَأُ أَنْ تُؤْلِمَا بُجُومُكُمْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكُنَّ الْبَرَّ مِنْ مَاءَنِ يَالُو وَالْأَتْوَرِ الْأَخْرَ وَالْمَتَهِكَةَ وَالْكَنْبِ وَالْيَيْنَ وَمَائَنِ الْمَالَ عَلَى حُمَيْدٍ، ذُو الْفَرْزِ وَالْيَسْنَى وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ الْسَّبِيلِ وَالسَّابِلَيْنِ وَفِي الْرِّقَابِ وَأَقَامَ الْسَّلَةَ وَمَاقَ أَرْكَوَهُ وَالْمَوْرُونَ يَقْهِدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَأَصْبَرُهُمْ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّ وَجِئَ أَهْلَهُمْ أُوتِيَكُمُ الْأَذِينَ صَدَعُوا وَأُوتِيَكُمُ الْمُنْتَقُونَ ﴾ (البقرة: 177).

لذا. كان الصدق صفة الأنبياء والمرسلين، ولما الكذب والتدايس والافتراء، فهي إمارات النفاق، وانقطاع الصلة بالدين.

وقد حذرنا القرآن الكريم من آفة الكذب قال تعالى: ﴿ وَقَيْلَ لَهُمْ ذُرُّوا عَذَابَ النَّارِ أَلَّا يَكُنْدِرُهُمْ نُكَذِّبُوْنَ ﴾ (السجدة: 20) وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوهُمْ كَمْ عَنِيقَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأعراف: 11).

كما حذرت السنة النبوية من هذه الآفة الخطيرة، فقال ﷺ: (وليأكلكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً).⁽²⁾

وقال ﷺ: (ليأكلكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث).⁽³⁾

ويكفي نماً أن الكذب من الصفات الخالصة للمنافق. قال رسول الله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةً منها كانت فيه خصلةً

⁽¹⁾ عمر يوسف حمزة، المرجع السابق، ص 151.

⁽²⁾ سبق تغريجه في الصفحة السابقة.

⁽³⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (5143، 6064، 6066، 6724)، ومسلم في صحيحه (2563)، والترمذи في سننه (4917)، وأبو داود في سننه (1918).

من النفاق حتى يدعها: إذا أوتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاد غدر، وإذا خاصل فجر).^(١)

وقال ﷺ: (وَيْلٌ لِّلَّذِي يَحْدُثُ فِي كَذْبٍ لِّيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيْلٌ لَّهُ، وَيْلٌ لَّهُ).^(٢)
وتحقيقاً لمبدأ الصدق والتحري عنه؛ فقد ورد في القرآن الكريم التهوي عن الإصغاء إلى الأخبار غير الموثوق بصحتها وأمر بالتبثث منها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَأْتُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِّإِيمَانِهِ فَتُبَيِّنُوا قَوْمًا يَجْهَدُهُمْ فَنْصِرُهُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا تَرْدِيمٌ﴾ (٦) (الحجرات: ٦).

وقيل: الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة. فلا تتم هذه الثالثة إلا به.

ثانياً. الأمانة:

الأمانة تعني الوفاء، وهي ضد الغدر والخيانة.
وقد حث القرآن الكريم على التحلي بخلق الأمانة، وأدائها في جميع شؤون حياتنا. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْسَاكَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ تَحْكُمُوا بِالْمُتَّدِلِ﴾ (النساء: ٥٨).

والأمانة خلق كريم، عظيم، تقيل، وذلك بشهادة القرآن الكريم على ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْيَنَتْ أَنْ يَحْمِلُوهَا وَأَشْفَقَنَ مِنْهَا وَجَلَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّمَا كَانَ طَلُونَ جَهُولًا﴾ (٧٢) (الأحزاب: ٧٢)، والأمانة تشمل عموم ما اشتمل عليه دين الإسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق.

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٥٨)، 34، 2459، 3178، ومسلم في صحيحه (٥٨)، والترمذمي في سننه (٤٦٨٨)، وليو داود في سننه (٤٦٨٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرج ليو داود في سننه (٤٩٩٠).

كما أن القرآن الكريم دعا إلى النهي عن الخيانة والمكر وحذر منها. وفي ذلك دعوة إلى تطبيق مبدأ الصدق. قال تعالى: ﴿وَلَا يُجِدُونَ عَنِ الظَّرِبَاتِ يَمْتَأْنُونَ أَنفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: 107).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَعْيَشُ الْمَكْرُ أَثْقَلُ إِلَّا يَأْهُلُهُ﴾ (فاطر: 43).

وكذلك صرحت السنة النبوية بأن الغدر والخيانة من صفات المنافق، لقوله ﷺ في بيان علامات النفاق (إذا أوتمن خان).

وقوله ﷺ: (المكر والخديعة والخيانة في النار). (١)

وقد عذر أبو بكر الصديق: الصدقأمانة، والكذب خيانة، حين قال عليه في خطبته المشهورة حين استلم الخلافة: (إليها الناس؛ فإنني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أساءت فقوموني، الصدقأمانة، والكذب خيانة).

ثالثاً- الإنفاق والجود والكرم:

الإنفاق هو إخراج المال أو جزء منه في الوجوه المشروعة التي أمر الله تعالى بها.

والإنفاق آية من آيات صدق الإيمان، فإن كثيراً من يدعون الإيمان، قد يقضون أوقاتهم في ضرورب مختلفة من العبادات البدنية، فإذا عرضت عليهم مسألة الإنفاق وطلبوا به قبضوا أيديهم عنه لضيق صدورهم منه، ولذلك تكرر في كتاب الله وصف المؤمنين الصادقين بالإنفاق من فضل الله. (٢)

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (567)، والطبراني في المعجم الكبير (10234)، ورواه البخاري معلقاً في صحيحه قبل حديث رقم (2142) بلفظ (الخديعة في النار).

(٢) عمر يوسف حمزة، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ص260.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مَاءَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ (الحجرات: 15).
والإنفاق أفضل علاج لمرض الشُّح والبخل: (ومما هو مشاهد من الواقع والتاريخ أن شهوة المال إذا استحکمت في النفس، جعلت صاحبها يتخطى جميع حدود الإنسانية، ويتجاوز ما طبع الله عليه البشر من العطف والرقة والحنان، وهذا هو سر تحذير الله تعالى من احتكار طائفة مخصوصة من الناس رؤوس الأموال).^(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ يَنْكُمْ﴾ (الحشر: 7) وذلك بعد تبيان أحكام الفيء وقسمته.

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة، وأحاديث نبوية عديدة تحدث على الإنفاق في سبيل الله، وتحرض عليه، وتدعوه كذلك إلى التحذير من الشُّح.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَفَهُوَ يُحِلُّهُ لَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبا: 39). وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَتُرْكِمُهُمْ بِهَا﴾ (التوبه: 103). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: 9). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَعْجِلُ وَأَسْتَغْنِ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْمُحْكَمِ ﴿٩﴾ فَسَيِّئَتْ مُرْسَرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ (الليل: 8-10).
وقال رسول الله ﷺ: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا مكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم اعط منفأً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً).⁽²⁾
ويقول الرسول الكريم ﷺ محذراً من الشُّح: (إياكم والشُّح، فإنما هلك من كان قبلكم أمرهم بالشُّح فخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا).⁽³⁾

وقيل: إن الجود، والسخاء، والإيثار بمعنى واحد.

(١) المرجع نفسه، ص 263-264.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (1442)، ومسلم في صحيحه (1010).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (1698).

رابعاً- الحياة:

الحياة لغة: هو انتهاك النفس عن القبيح، وابتعاثها على فعل الحسن، والحياة هو الاحتشام عن الظهور بمظهر ذميم.⁽¹⁾

والحياة اصطلاحاً: هو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به وينم.⁽²⁾

وغياب الحياة يتبعه انفلات الميول والرغبات، وتعطل كل عمل ملتزم، عبادة كان أو معاملة. وهذا ما أكده الرسول ﷺ في قوله: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت).⁽³⁾

والحياة خصلة من خصال الإيمان، وإيماناته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان).⁽⁴⁾

وعن ابن عمر رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار، وهو يعظ أخيه في الحياة فقال رسول الله ﷺ: (دعه، فإن الحياة من الإيمان).⁽⁵⁾

لذلك كان خلق الإسلام (الحياة) لقوله ﷺ: (إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياة).⁽⁶⁾

واعقبة الحياة خير في الأمور كلها. يقول الرسول ﷺ: (الحياة لا يأتي إلا بخير).⁽⁷⁾ وفي روايات أخرى (الحياة خير كلها)، (الحياة كلها خير).

(1) الغيومي، المصباح المنير، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (حيي).

(2) عمر يوسف حمزه، المرجع السابق، ص 278.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (3483، 3484، 3485)، ومسلم في صحيحه (4797)، وأبي داود في سننه (4797)، وابن ماجة في سننه (4183).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (9)، ومسلم في صحيحه (35) بلفظ (بضع وسبعون).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (24)، ومسلم في صحيحه (36)، وأبي داود في سننه (4795).

(6) أخرجه ابن ماجة في سننه (4181، 4182).

(7) أخرجه مسلم في صحيحه (37)، وأبي داود في سننه (4796).

الحياة نوعان: ممدوح ومذموم.

فللحياء الممدوح: هو ترك القبيح حياءً من الله تعالى.

والحياة المذموم: هو ترك المطالبة بالحقوق، وترك السؤال عن أمور

بنية.(١)

قال تعالى: ﴿وَأَلَّا يَسْتَعِي، مِنَ الْمُغَرِّ﴾ (الأحزاب: 53).

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها:- (نعم النساء، نساء الأنصار لم

يمنعهن الحياة أن يتقنهن في الدين).(٢)

وهناك فرق بين الحياة والخجل، فإذا كان الحياة من علامات الإيمان، فليس

الخجل كذلك، فالخجل: انكماش وانطواء على النفس، نتيجة ظروف اجتماعية

وعوامل نفسية، فلا علاقة له بالحياة؛ فإذا زاد الحياة عن حدّه أصبح صاحبه خجولاً.

والرسول الكريم ﷺ يقول: (الحياة من الإيمان) وليس (الخجل من الإيمان).

فعدم المطالبة بالحقوق بالطرق المشروعة، وعدم السؤال عن الأحكام

الشرعية والفتوى في الدين، وعدم مطالبة المرأة بحقوقها، فهذا كله ليس من الحياة.

ومهما يكن من أمر، فإن عدم فعل المعروف والواجبات دافعه الخجل وليس

الحياة. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في الاقتداء بخلق الحياة بشكل خاص

ومكارم الأخلاق جميعاً بشكل عام.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء

في خدرها)، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.(٤)

(١) عمر يوسف حمزة، المرجع السابق، ص282.

(٢) رواه البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب الحياة في العلم، وأخرجه مسلم في صحيحه (332).

(٣) خذرها: الخذر، ستر جعل للبكر في جانب البيت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (3562، 6102، 6119)، ومسلم في صحيحه (2320)، و ابن ماجة في سننه (4180).

خامساً- الوفاء بالوعود وحفظ العهد:

الوفاء بالوعود وحفظ العهود من صفات النفس الإنسانية الشريفة، والأخلاق الكريمة، وعلامة من علامات الإيمان الصادق. فلا سبيل إلى رعاية الذم إلا بحفظ العهد والوفاء بالوعد.

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تدعو لا بل توجب الوفاء بالوعود وحفظ العهد. منها على سبيل المثل لا الحصر: قوله تعالى: ﴿بِأَيْمَانِهِمْ مَا مَأْمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ (المائدة: ١). وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤) وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَمَدْ تَوْكِيدُهَا وَقَدْ جَعَلْنَا اللَّهَ عَلَيْكُمْ كُلِّيَّاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩١).

كذلك ورد في القرآن الكريم التحذير من إخلال الوعود، واللوم والتعنيف على مخالفة القول للعمل. قال تعالى: ﴿بِأَيْمَانِهِمْ مَا مَأْمَنُوا لَمْ تَنْقُضُوا مَا لَمْ تَعْمَلُوا كُبَرُ مُؤْمِنُوا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَنْقُضُوا مَا لَمْ تَعْمَلُوا﴾ (الصف: ٢-٣). وبهذه الآية استدل السلف على وجوب الوفاء بالوعد.^(١)

وقد حذرنا الرسول ﷺ من الإخلال بالوعود، وجعله خصلة من خصال المنافق. فقال: (آية المنافق ثلاثة: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أوتمن خان).^(٢)

لذلك كان أقدس العهود: هو العهد الذي بين العبد وربه. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، إذ كان يباعي الوفود، ويف بالعقود، ويحفظ العهود.

^(١) خالد إبراهيم الفتياوي وأحمد عبد الله ألمد، تفسير جزء قد سمع، ص ١٣٦.

^(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣)، ومسلم في صحيحه (٥٩)، والترمذى في سننه (٢٦٣١)، والنسائي في سننه الصغرى (٥٠٢٤).

سادساً- التواضع:

التواضع: يقابله الكبر والعجب، الذي يعني احتقار الناس وظلمهم، وعدم الاعتراف بحقوقهم.

وقد حث القرآن الكريم على التواضع، كما نهى عن الكبر والخيلاء وحضر منهما. قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْشِئِ فِي الْأَرْضِ مَرْحَماً إِلَّا أَنْ تَنْقِرَ أَلْأَرْضَ وَكَنْ تَبْلُغْ لِجَانَ طُولَةِ﴾ (الإسراء: 37) وقال تعالى: ﴿وَلَا تُنْصِرْ حَذَّلَةَ النَّاسِ وَلَا تُنْشِئِ فِي الْأَرْضِ مَرْحَماً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٦) وَقَصِيدَةَ فِي مَشِيقَ وَأَعْصُضَ مِنْ صَوْنِكَ إِنَّ اللَّهَ أَلْأَصْوَاتَ لَصَوْتُ الْمُنْفَيِّرِ﴾ (١٧) (القمان: 18-19).

قال ابن عباس في تفسير (ولا تصرع خدك للناس) أي لا تمل خدك للناس تكبراً عليهم وإعجاباً، وتحقرراً لهم.^(١)

فالإعراض عن الناس احتقاراً لهم، واستكباراً عليهم، وعدم بسط الوجه إليهم، هذا من الأمور المرفوضة في الإسلام، والتي حذر منها سوء في النظر إليهم أو الحديث معهم. فقد نهى رسول الله ﷺ عن التشدق في الكلام والتتطبع فيه. إذ قال عليه الصلاة والسلام: (هلك المتنطعون: قالها ثلاثة).^(٢)

وقال ﷺ: (من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال أو النساء، لم يقبل الله منه يوم القيمة صرفاً ولا عذلاً).^(٣)

وعنه ﷺ: (كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك طلاق، وأن تفربغ من دلوك في إماء أخيك).^(٤)

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (70/14)، والصابوني، صنفة التفاسير (493/2).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (2670).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (5006).

(٤) أخرجه الترمذى في سننه (1970). وقال عنه: حسن.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في خلق التواضع، فقد كان ﷺ يرقص ثوبه، ويخصف نعله، ويركب الحمار ويرد خلفه، ويعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجالس الفقراء، وما ضرب امرأة قط ولا خادماً.

لذا ثُث رسول الله ﷺ على التواضع، وبين عاقبته في الآخرة وأجره عند رب العالمين.

قال ﷺ: (إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد).⁽¹⁾
وقال عليه الصلاة والسلام: (وما تواضع أحد الله إلا رفعه الله عز وجل).⁽²⁾
أما الكبر والعجب والخيلاء، فإنها تکب المقت والرذائل، وعدم قبول النصائح والأدب.

قال تعالى: ﴿ سَاصِفٌ عَنْ مَا يَنِقَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ يَعْتَرُ الْحَقَّ ﴾
(الأعراف: 146).

وقد حرم الله الجنة على المتكبرين، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِمَعْلُومٍ هَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ مُلْئًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾
(القصص: 83).

كما بين النبي ﷺ ذلك. فقال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان).⁽³⁾

ولا يعد المظاهر الجميل للعبد من التكبر والكبراء الذي يعني الشعور بالعظمة.

⁽¹⁾ أخرجه ابن ماجة في سننه (4179).

⁽²⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2588).

⁽³⁾ أخرجه الترمذى في سننه (4098)، وقال عنه: حسن صحيح، وأبو داود في سننه (4091)،
وابن ماجة في سننه (59، 4173).

فقد أشار **رسوله** إلى هذا السلوك في اللباس والزينة. فقال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْرٍ) قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بَطْرُ الحق، وغَمْطُ الناس).⁽¹⁾ وأعظم الكبر: هو التكبر على الله تعالى ورسوله **رسوله**، بعدم اتباع الإيمان والطاعات، وأداء الواجبات والأمانات. وقد ورد الوعيد على هذا النوع من الكبر مصراحاً به في حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة -رضي الله عنهما- إذ قالا: قال رسول الله **رسوله**: (العز إزاره، والكبرباء رداوه، فمن نازعني عذبته).⁽²⁾ وفي رواية أخرى عن أبي هريرة **رسوله** قال: قال رسول الله **رسوله**: (قال الله سبحانه: الكبرباء ردائى، والعز إزارى، فمن نازعني واحداً منها قدفته في النار).⁽³⁾

وأخيراً نقول: لا يتواضع إلا كل رفيع، ولا يتكبر إلا كل وضعيع.

سابعاً- العفو والصفح والحلم:

العفو: هو التجافي عن الذنب، وترك المعاقبة عليه.

الصفح: ترك التثريب والتعيير.⁽⁴⁾

الحلم: الآلة وضبط النفس.

وقد دعا الإسلام إلى هذه المكارم من الأخلاق وتطبيقها على أرض الواقع.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (91)، والترمذى في سننه (1999)، وأبو داود في سننه (4092).
واللقط لمسلم.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (2620).

(3) أخرجه أبو داود في سننه (4090)، وأبن ماجة في سننه (4174، 4175) بلفظ (القيته في النار).

(4) خالد إبراهيم الفتيانى وأحمد عبد الله أحمد، تفسير جزء قد سمع، ص 201.

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالغفور والصفح، منها قوله تعالى:

﴿فَاغْفِرْ وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَنْكَارِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: 109).

وقوله تعالى:

﴿وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا يَعْبُدُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: 22).

وقوله تعالى:

﴿يَكِيدُهَا الظَّرِبُ مَاءْمُوا إِنْ مِنْ أَرْزِقُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَذَّابًا لَّكُمْ فَأَخْذُرُوهُمْ إِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَمُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن: 14).

وقد جاء في تفسير آية التغابن:

وانظر كيف بدأ سبحانه بترك معاقبهم على الذنب درجة درجة، فبدأ بالغفور أولاً وهو ترك العاقبة على الذنب بعد الاستعداد لها، ثم بالصفح ثانياً وهو أبلغ من العفو إذ هو ترك التشريب والتعبير، وهو الإعراض عن المذنب وعدم توبيخه، فقد يغفو الإنسان ولا يصفح، ثم بالمغفرة ثالثاً وهو ستر الذنب وعدم إشاعته.⁽¹⁾

والغفور والصفح يؤديان إلى التراحم والتعاطف والتعاضد لقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكي منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).⁽²⁾

كما أن تطبيق الغفور والصفح على المستحقين لهما يخلق أجواء من الرفق واللين، اللذان هما ضد العنف والشدة، المؤذيان إلى الإرهاب بكل صوره وأنشكاله. فقد حد الإسلام في أحاديث نبوية كثيرة على الرفق وجعله في الأمور كلها.

منها:

قوله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه).⁽³⁾

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 203.

⁽²⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2586).

⁽³⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2593)، وأبو داود في سننه (4807). وللهفظ لمسلم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (من يحرم الرفق يحرم الخير كله).⁽¹⁾
واستحباب الإسلام للعفو؛ لأنَّه يعكس العزة والكرامة على صاحبه. يقول
رسوله: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاء، وما تواضع أحد
لله إلا رفعه الله).⁽²⁾

ومن متممات العفو والصفح كظم الغيظ الذي دعا الله تعالى إليه في قوله
تعالى: ﴿وَالْكَاظِمُونَ الْفَيَضَ وَالْمَافِنَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
(آل عمران: 134).

وقال رسول الله ﷺ: (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم
القيمة على رؤوس الخلق حتى يخربه في أي hour شاء).⁽³⁾
والغيظ: هو تغير يلحق الإنسان من مكره يصيبه.⁽⁴⁾
والمقصود من كظم الغيظ: هو رده إلى الجوف، وعدم إظهاره مع القدرة
على إيقاعه بالعدو، والانتقام منه.

لذلك حذرنا رسول الله ﷺ من الغضب، الذي قد يكون سبباً مائعاً من العفو
والصفح والحلْم، فقال: (ليس الشديد بالصرامة، إنما الشديد من يملك نفسه عند
الغضب).⁽⁵⁾
وأخيراً:

قالوا: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام. وإنما من عادة الكريم
إذا قدرَ غفر.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (4809).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (2588).

(٣) أخرجه الترمذى في سننه (2021) وقال عنه: حسن عریب، وأبو داود في سننه (4777)،
وابن ماجة في سننه (4186).

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (غيظ).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (6114)، ومسلم في صحيحه (2609).

الفصل السابع

النظم الإسلامية

و فيه ستة مباحث :

المبحث الأول: النظام العقدي

المبحث الثاني: النظام الاجتماعي

المبحث الثالث: النظام السياسي

المبحث الرابع: النظام الاقتصادي

المبحث الخامس: النظام القضائي

المبحث السادس: نظام المقوبات

الفصل السابع

النظم الإسلامية

المبحث الأول

النظام العقدي

مفهومه:

العقيدة لغة: مصدر عقد يعقد عقيدة، وتعني في اللغة: الشُّدُّ، والضم، والتوثيق، والتأكيد، نقول عقد الحبل بمعنى شدّه، وعقد الزواج، وعقد البيع لأنَّه ضم أفراداً إلى بعضهم البعض، وعقد اليمين: أي أكده ووثقه بالإشهاد عليه.^(١)

والعقيدة الإسلامية تحمل كل هذه المعاني اللغوية، فهي نظام ضم لفراد الأمة الإسلامية إلى بعضهم البعض، وهي عقيدة مؤكدة وموثقة عن رب العالمين.

العقيدة اصطلاحاً: هي التفسير الإسلامي للحقائق الكبرى التي دعا الإسلام إلى الإيمان بها دعوة ملحة ومتكررة، وهي: وجود الخالق، والكون والإنسان، والحياة الدنيا وما وراءها من حياة آخِرَة.

وقد جاء النظام العقدي الإسلامي ليجيب عن أسئلة الحقائق الكبرى للعقيدة الإسلامية؛ وهي: هل الكون أزلِي لا خالق له لم هو مخلوق؟ من خلق الإنسان؟ وما هي الغاية من خلقه؟ وهل هناك حياة آخِرَة بعد الحياة الدنيا؟

أهميته:

النظام العقدي هو الأساس الأول للنظام الإسلامي سواءً أكان نظاماً سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً، أم غير ذلك.

وتكمِّن أهمية النظام العقدي في أسباب كثيرة، أهمها:

^(١) ابن منظور، المصدر السابق، مادة (عقد).

- 1- هو الركن الأول وحجر الأساس في بناء الإسلام.
- 2- يمثل دعوة جميع الرسل إلى أممهم. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْبَأْنَا لَهُمْ أَنَّجَنَّبْنَا الظَّالِفُوتَ ﴾ (النحل: 36).
- 3- هو الذي خلق الله تعالى العالم لأجله. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ لِلْجِنَّاتِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56).
- 4- هو الذي أخرج العرب من الشرك والظلم والجهل والتفرقة إلى التوحيد والعدل والمساواة والعلم والوحدة.

وقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة بـ"الإيمان" وعن الشريعة بـ"العمل الصالح" وجاء ذلك في كثير من آياته الصريحة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا هُمْ جَنَّتُ الْفَرَادِيَنِ نُزُلًا ﴾ (الكهف: 107).

أقسام العقائد:

وتنقسم إلى قسمين، هما: العقائد الصحيحة السليمة، والعقائد الفاسدة الباطلة.

أما العقائد الصحيحة السليمة، فهي التي لا بد لها من شرطين هما:

- 1- أن تكون متفقة مع العقل، قال تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ مَا يَتْبَعُ لِتَمْوِيقِنِ ﴾ ورق ﴿ أَنْفِسُكُمْ أَفَلَا يَتَبَصَّرُونَ ﴾ (الذاريات: 20-21).
 - 2- أن تكون موافقة لفطرة الإنسان. قال تعالى ﴿ فَأَفَنْدَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرَ اللَّهُ أَلَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْرِيلَ لِعَنِّي اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيْتُ الْقَيْمَدُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: 30).
- أما العقائد الفاسدة الباطلة، فتشمل العقائد الوثنية. ومن أنواعها: تاليه المظاهر الكونية، والبشرية، والملائكة، والجن والشيطان، والعقل. والعقائد الإلحادية والتي تقوم على إنكار الله ولليوم الآخر، وقد أشار القرآن الكريم إليها، فقال تعالى حكاية

عن الملحدين ﴿إِنَّهُ إِلَّا حَيْكَلُنَا الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمُعَوِّذٍ﴾ (المؤمنون: 37)

أركان العقيدة الإسلامية:

بما أن القرآن الكريم عبر عن العقيدة بلفظة لطيفة هي (الإيمان)، إذن أركان العقيدة الإسلامية هي نفسها أركان الإيمان.

والدليل على هذه الأركان قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الَّرَّبُّ أَنْ تُؤْلُوا بُجُوهَكُمْ فِيَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكُنَّ أَنْتُمْ مَنْ ءامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ (البقرة: 177) وهذه الآية. جمعت خمسة من أركان العقيدة، ولا توجد آية في القرآن الكريم جمعت الأركان الستة كاملة.

ودليلها من السنة النبوية حديث جبريل عليه السلام المشهور، وجاء فيه: (..فأخبرني عن الإيمان، قال، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).⁽¹⁾ وفيما يأتي تبيين لهذه الأركان:

أولاً- الإيمان بالله تعالى:

ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل رب كل شيء وملكه وخالقه، وأنه وحده الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها.⁽²⁾

فالإيمان بالله يتضمن قضايا منها:

- أن الله واجب الوجود بلا موجد.
- أنه رب العالمين مالك الكون، أوجد العوالم كلها.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (50)، ومسلم في صحيحه (8)، والترمذى في سننه (4777)، والنسائي في سننه الصغرى (4993)، وأبو داود في سننه (4695)، وابن ماجة في سننه (63).

⁽²⁾ محمد نعيم، الإيمان، ص 6-7.

- أنه الإله المعبد وحده لا يعبد معه غيره.
وبناءً على ذلك فالإيمان بالله سبحانه وتعالى يتضمن ثلاثة أنواع من التوحيد،
وهي:

النوع الأول: توحيد الربوبية

ويعني الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده خالق الخلق ومالكهم
ومدبر شؤونهم، فله الخلق والأمر كله، كما قال عن نفسه: ﴿أَلَا لِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارِكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: 54). وقال جل شأنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴾ (الفاتحة: 2).

فإله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون لا يشاركه أحد في فعله سبحانه.

النوع الثاني: توحيد الألوهية

ويعني الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق للعبادة، فهو
الإله الحق، ولا إله غيره.

وهذا التوحيد من أجله خلقت الخليقة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِلْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56).

وتتوحد الله في ألوهيته يستوجب أموراً كثيرة، من أهمها:

أ- وجوب إخلاص المحبة لله عز وجل، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ أَنَّاسٍ مَنْ يَتَّخِذُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُجْبِيُهُمْ كَعْبَتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَاءَمُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: 165).

ب- وجوب إفراد الله عز وجل بالدعاء والتوكيل والرجاء فيما لا يقدر عليه
إلا هو سبحانه وتعالى: يقول عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْعَمُكَ وَلَا
يَمْرُكَ فَإِنَّ فَعْلَتْ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: 106).

جـ- وجوب إفراد الله عز وجل بالخوف منه، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا قَاتِلُونَنَا﴾
(النحل: 51).

دـ- وجوب إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادات البدنية من صلاة وصوم
وذبح وحج ورकأة وجميع العبادات القولية من نذر واستغفار وغير ذلك،
يقول تعالى: ﴿فَإِنَّمَا قَاتِلُونَنَا﴾ (العنكبوت: 56).

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ومعنىه الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال،
ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا، وذلك بإثبات ما أثبت الله عز
وجل لنفسه من الأسماء والصفات في الكتاب وما أثبته الرسول ﷺ الله تعالى في
السنة من غير تحريف لفاظها أو معانيها ولا تعطيلها، ولا تكييفها، ولا تشبيهها.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11).
وبناءً على ذلك فتوحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس، من فاته
شيء منها لم يكن موحداً ربه في أسمائه وصفاته، وهذه الأسس هي:

أـ- تنزيه الله عز وجل عن مشابهة الخلق وعن أي نقص.

بـ- الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها
بالنقص منها أو الزيادة عليها، أو تحريفها، أو تعطيلها.

جـ- قطع الطمع إلى إدراك كيفية هذه الصفات. (١)

أـلة وجود الله عز وجل: الدليل الأول: الفطرة السليمة

إن الفطرة السليمة تقر بوجود الله عز وجل من غير دليل، فتوحيده سبحانه
وتعالى أمر فطري في النفس، يقول تعالى: ﴿فَطَرَّ اللَّهُ أَلْئَى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

(١) محمد نعيم، المرجع السابق، ص 16-21.

(الروم: 30) وبالتالي لو ترك الإنسان من غير مؤثرات الإنس والجن فإنه سيهتدى إلى الإيمان بالله عز وجل، يقول الرسول ﷺ: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فلابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".⁽¹⁾ والمقصود بالفطرة الإسلام.

الدليل الثاني: السببية

فالعقل يقول أن الموجود لا بد له من سبب لوجوده، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية الكثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَلَقُوا مِنْ عَيْرِ شَقٍّ وَأَمْ هُمُ الْخَلِيقُونَ﴾ (الطور: 35-36)، وهذا ما أدركه راعي الإبل في الصحراء عندما سُئل بم عرفت ربك؟ قال: "إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدل على العليم الخبير".

وروى أنه جاء بعض الزنادقة إلى أبي حنيفة وطلبوه منه إثبات وجود الله، فضرب لهم موعداً يجادلهم فيه، ولما حان الموعد تأخر عليهم، فلما قدم عليهم عاتبوه على التأخير، فقال لهم معتذراً: لقد قدمت إليكم في الموعد المحدد، ولكنني لبست طويلاً على شاطئ دجلة باحثاً عن زورق يجتاز بي النهر فما وجدت، فلما يئست هممته بالرجوع، وإذا باللواح من خشب قادمة بنفسها، وجعلت تتضم إلى بعضها البعض لتكون مركباً، بعدها ركبت واجتزت النهر، فقالوا: أتهزا بنا؟ وكيف يكون للأوحى صنع من نفسها مركباً؟ قال لهم: وكيف تصدق عقولكم أن هذا الكون المتقن العجيب صنع نفسه دون خالق عظيم؟ فبُهت الزنادقة وأسلموا.⁽²⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1358)، (1359)، (1385)، (4775)، (6599)، ومسلم في صحيحه (2658)، والترمذى في سنته (2138)، وأبي داود في سنته (4714)، والله يحفظ للبخاري.

(2) محمد الخطيب، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص 59-60.

الدليل الثالث: الإتقان في الكون

فالكون وأياته المبهرة تدل على وجود الله عز وجل خلقه، وقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير في الكون في كثير من الآيات، يقول تعالى: ﴿فُلِّأَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَعْنِي الْأَيَّاتُ وَأَنْذِرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: 101). إن هذه الدعوة القرآنية تجعلنا نقف على حقائق عدّة منها:

أ- الهندسة البالغة في مخطط الكون ونجومه وما فيه من مخلوقات، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَبَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (ابراهيم: 32).

يقدر علماء الفلك عدد النجوم بـ 40.000 مليون نجم، ومنهم من قدرها بـ 100.000 مليون نجم، فمن يمسكها عن التصادم أو عن الوقع على الأرض، بل من يمسك الأرض نفسها؛ إنه الله عز وجل خالق الكون وما فيه من خلق.

يقول الدكتور "ماريت ستانلي" عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية: "إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى، ويدل على قدرته وعظمته".⁽¹⁾

ب- الإتقان المدهش في خلق الإنسان وتكوينه. يقول تعالى: ﴿وَقَوْفَ أَنْفِسَكُمْ أَنَّا بِكُمْ بَيِّنُونَ﴾ (الذاريات: 21).

ج- الإتقان في عالم النبات والحيوان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالَّذِي أَنْشَأَ الْأَنْواعَ﴾ (الأنعام: 95).

د- الإتقان في المطر والسحب وكيفية تكوينه، يقول تعالى: ﴿أَلَّا تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ فَمِنْهُ مَنْ يَعْلَمُ وَمِنْهُ مَا يَعْلَمُ إِنَّمَا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْنَاهُ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَاهِلَ فِيهَا مِنْ بَرَّ وَمِنْ بَلْقَسِ﴾ (النور: 43).

⁽¹⁾ محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 61-63.

الدليل الرابع: الحكمة

والحكمة معناها: وضع الشيء في محله، وبالنسبة للكون فالحكمة ظاهرة فيه كلّه، فكل شيء فيه موجود في مكانه الصحيح، ولا يمكن أن يكون في أحسن من هذا المحل الذي وضع فيه، ولنأخذ مثالين على هذه الحكمة:

أ- ظاهرة الموت: فلو لا الموت ماذا سيكون الحال؟ يقول العلم: «لو أن ذبابتين توالتا هما وأولادهما دون موت، فإنه بعد خمس سنين ستتشكل طبقة من النبات حول الكرة الأرضية بارتفاع 5 سم، هذا جنس واحد من المخلوقات، فكيف بباقي المخلوقات إذا كانت لا تموت.

ب- وجود البكتيريا: ما يخرج من الإنسان وحده يملأ الدنيا لولا وجود البكتيريا والعوامل الكثيرة التي تبيّد هذا الخارج وتحوله، ومن هنا نفهم حكمة وجود كثير من المخلوقات التي نتصور مبدئياً أنه لا ضرورة لوجودها، وبالتالي نتوهم أن لا حكمة من وجودها.⁽¹⁾

ثانياً- الإيمان بالملائكة:

ومعناه: التصديق الجازم بأن الله ملائكة موجودين، مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بها ومن أنكر وجودهم فهو كافر.⁽²⁾

صفاتهم:

من صفات الملائكة:⁽³⁾

1- أنهم مخلوقون من نور. فعن عائشة رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ قال: "خَلَقْتُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّ مِنْ مَارِجِ نَارٍ، وَخَلَقْتُ آدَمَ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 64-65.

⁽²⁾ محمد نعيم، المرجع السابق، ص 32.

⁽³⁾ عبد الرحمن حنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 235-240.

⁽⁴⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2996).

2- قدرتهم على التمثيل والتشكّل، كما في قصة تمثيل جبريل عليه السلام بشراً للسيدة مريم عليها السلام يقول تعالى: ﴿فَأَنْجَدْتَنِي دُونِهِمْ حَاجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سُوِّيًّا﴾ (مريم: 17).

3- لهم قدرات خارقة: ومن ذلك:

A- يحملون عرش الرحمن على قلة عدهم، يقول تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَزْبَابِهِمَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْهُمْ بِوَمِيزْنَةٍ﴾ (الحاقة: 17).

يقول ﷺ: "اذن لسي أن أحذث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى عانقه مسيرة سبعمائة عام".⁽¹⁾

B- النفح في الصور فيصعق لها من في السموات والأرض، يقول تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِي الْأَصْوَرِ فَصَعَقَ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُفْعِنَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيَامٍ يَنْظَرُونَ﴾ (الزمر: 68).

4- الطاعة والامتثال لأمر الله، فلا يستكرون عن عبادته عز وجل ولا يتبعون، ويسبحون ربهم من غير انقطاع. يقول تعالى: ﴿وَلَهُ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (يس: 11-10)، معنى لا يستحسرون: لا يكلون ولا يتبعون.

5- لا يتناحون، ولا يتناسلون، فلا يوصفون بالذكرة ولا بالأئنة.

6- مقربون إلى الله تعالى ومكرمون، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنْجَدَ الرَّحْمَنُ وَلَدَمُ سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادُهُ مُكَرَّمُونَ﴾ (الأنبياء: 26)، وهم متقاولون في الخلق والمقدار، ومن ذلك مقاماتهم عند الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿وَمَا مِنْ أَلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (الصفات: 164).

⁽¹⁾ لخرجه أبو داود في سننه (4727).

7- أولي أجنحة مثنى وثلاثة ورباع أو أكثر من ذلك، يقول تعالى: ﴿الْمَتَدُّ
إِلَوْ فَاطِرُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِنَّ أَجْبَحَهُمْ شَفَقَ وَثُلَّةٌ وَرَبَّعٌ بَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَوِيرٌ﴾ (فاطر: 1).

8- كثرة عددهم، فلا يعلم أحد من الخلق عددهم، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَلَمُ جُمُودٌ
رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: 31)، ويقول السلفي: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا
تسمعون، أطّل السماء وحقّ لها أن تتطّل، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك
واضع جبهته الله ساجداً، والله لو تعلمن ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيركم كثيراً.." (١)
ومعنى أطّل: صوتت لكثرة الملائكة فيها.

أصنافهم ووظائفهم:
الملائكة أصناف، ولكل صنف وظائف. وفيما يلي ذكر بعضًا من هذه
الأصناف ووظائفها:

1- أكابر الملائكة، ومنهم: جبريل رسول الله إلى الأنبياء والرسل، وميكال
صاحب أرزاق العباد، وإسرافيل صاحب الصور.

2- حملة العرش، قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوَّهُمْ بِوَمِيزْ ثَمَنِيَةَ﴾ (١٧)
(الحاقة: 17).

3- ملائكة الجنة، كبيرهم رضوان ومهمتهم الإشراف على أهل الجنة. قال
تعالى: ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ آتَيْنَا رَبِّهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ رُمْرِمًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتِنَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طَيْسَةٌ فَادْخُلُوهَا خَلَدِينَ﴾ (٧٧) (الزمر: 73).

(١) أخرجه الترمذى في سننه (2312)، وقال عنه: حسن غريب، وابن ماجة في سننه (4190)،
ولأحمد في مسنده (7516) والله لفظ للترمذى.

4- ملائكة النار، ووظيفتهم الإشراف على أهل النار وتعذيبهم يقول تعالى:

﴿وَسَيِّئَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ جَهَنَّمَ رُمْرَمًا حَقَّ إِذَا جَاءَهُوَمَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزِنَتْهَا أَنَّمَا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتَلوُنَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا﴾ (الزمر: 71).

5- الموكلون ببني آدم وهؤلاء أصناف، فمنهم الموكلون بـ:

أ- نفخ الأرواح في الأجنة، وكتابة أعمالها وأجالها وأرزاقها وسعادتها أو شقاوتها.

ب- مراقبة أعمال المكلفين.

جـ- قبض الأرواح.

د- حفظ الناس -بأمر الله- من شر كل ذي شر⁽¹⁾، يقول تعالى: ﴿لَهُ مُعِيقَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: 13)

الجن:

الجن مخلوقات غيبية لا نحس بوجودهم، ولكننا نحن المسلمين نؤمن بوجودهم، فإنهم وإن كانوا مخلوقات غيبية، فإن الكون مليء بأمور غريبة لا نحس بها ومع ذلك نؤمن بها، فالعقل مثلاً والروح كذلك نؤمن بوجودهما مع أننا لا نراهما أو نسمعهما.

والإيمان بعالم الجن من مقتضى الإيمان والتصديق بكل ما أخبر به القرآن الكريم، فمن كذب بوجودهم فقد كذب بما أخبر به القرآن الكريم.

وقد تعرض القرآن الكريم للحديث عنهم في نحو أربعين آية من عشر سور تقريباً، وهناك سورة كاملة في القرآن الكريم اسمها سورة "الجن".

⁽¹⁾ عبد الرحمن الميداني، المصدر السابق، ص 241-245.

حقيقة الجن وصفاتهم:

- 1- مخلوقون من مارج من نار، يقول تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَنَّانَ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾ (الرحمن: 15). وورد في تفسير (من مارج من نار): من لهب النار من أحسنها.⁽¹⁾ والجان هو أبو الجن كما ذكر المفسرون.
 - 2- مخلوقون قبل الإنس، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَصَلٍ مِّنْ حَمْرَاءِ سَمُونٍ ﴾ وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِّنْ نَّارٍ السَّمُومِ ﴾ (الحجر: 26-27). الحما: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصور، والسموم: الريح الحارة القاتلة، سميت بذلك لأنها تنفذ في مسام البدن.⁽²⁾
 - 3- يتناسلون ولهم ذرية: يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجَدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَنْبِرِ رَبِّهِ أَفَنْتَحَذُونَهُ، وَذَرْرَتْهُ أَوْلِيَّكَاهُ مِنْ دُوفٍ وَهُمْ لَكُمْ عَذَّبٌ يَتَسَّلَّلُونَ لِلظَّالِمِينَ بَدْلًا ﴾ (الكهف: 50).
 - 4- يرونا من حيث لا نراهم، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَرَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ ﴾ (الأعراف: 27).
 - 5- مكلفوны بالإيمان والعبادة، يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتَ أَهْلَنَّ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56).
 - 6- منهم المؤمن ومنهم الكافر، وهذا تابع لما منحهم الله إياه من الإرادة يقول تعالى: ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسِلِّمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ نَحْرَقُ رَشَدًا ﴾ وَأَنَا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا بِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن: 14-15).
- والقاسطون: هم الجائزون الحائدون عن صراط الحق.

(1) تفسير ابن كثير 244/4.

(2) عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص 251-252.

7- يأكلون أكلًا لا نعلم كفيته ولا ماهيته، وقد جعل الله زادهم في العظام وروث البهائم والفحش، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تستجوا بالروث ولا بالعظام فإنها زاد إخوانكم من الجن."^(١)

8- لهم قدرة على التشكيل بالأشكال الجسمية التي يمكن أن يراها الإنسان، فقد كان الجن يظهرون لسليمان عليه السلام ويسخرهم في أعمال جسمية، كما كان عليه سلطاناً على تعذيب المسيئين منهم.^(٢)

ثالثاً- الإيمان بالكتب السماوية:

و معناه: الاعتقاد الجازم بالكتب التي أنزلها الله تعالى على آنبائه ورسله جملة وتفصيلاً، فكما أن الله أنزل على سيدنا محمد ﷺ القرآن، فقد أنزل كتبه من قبل على سائر الرسل.^(٣)

ولذلك فمطلوب منا أن نؤمن بالكتب التي سماها الله لنا والتي لم يسمها. والكتب التي سماها الله لنا هي:

1- صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، يقول تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي مُحْكَمٍ مُؤْمِنٌ ﴾ ﴿فَإِنَّ رَبَّهُمْ أَلَّا يَرَى﴾ (النجم: 36-37).

وهذه الصحف مفقودة لا يعلم منها شيء إلا بعض الحقائق التي أشار إليها القرآن الكريم.

2- التوراة: وأنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، وهناك من العلماء من يرى أن التوراة تتضمن الصحف التي أنزلت عليه.

يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الْتَّوْرَةَ وَالْأَنْجِيلَ﴾ (آل عمران: 3).

(١) أخرجه الترمذى في سننه (18).

(٢) عبد الرحمن الميدانى، المرجع السابق، ص 253-256.

(٣) محمد نعيم، المرجع السابق، ص 60.

والستوراة التي صدق بها القرآن وطلب منا التصديق بها إنما هي الأصول التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وأما التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فليس لها سند متصل يصح نسبتها إلى موسى عليه السلام، كما دخل إليها التحرير والتبديل، ولذلك فلا يصح أن يوثق بها.

3- الزبور: وقد أنزله الله عز وجل على سيدنا داود عليه السلام يقول تعالى:

﴿وَأَتَيْنَا دَاؤِدَ زُبُورًا﴾ (النساء: 163).

وما قيل في التوراة يقال في الزبور فنؤمن بما أنزل على داود عليه السلام ولا نؤمن بما دخله التحرير من قبل اليهود.

4- الإنجيل: وقد أنزله الله تعالى على سيدنا عيسى عليه السلام يقول تعالى:

﴿وَقَبَّلَنَا عَلَىٰ مَا ثَرَّهُمْ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَمَأْتَيْنَاهُ إِلَيْنَاهُ إِنْجِيلٌ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: 46) والإنجيل الذي نؤمن به أيضاً هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام بأصوله الصحيحة الأولى، أما الأنجلترا الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فلا يعرف لها سند متصل يصح نسبتها إلى عيسى عليه السلام.

5- القرآن الكريم: وقد أنزل على سيدنا ونبينا ورسولنا محمد بن عبد الله

ﷺ ويعتاز القرآن الكريم بالمزايا التالية:

أ- أنه تضمن خلاصة التعاليم السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته.

ب- جمع ما كان مفرقاً في الكتب السماوية السابقة من الحسنات والفضائل وجاء مهيناً ورقياً يقر ما فيها من حق ويبين ما دخلها من تحرير.

جـ- أنه جاء بشرعية لجميع البشر نسخ بها الشرائع السابقة، وأنثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان.

د- أنه نزل على الرسول ﷺ للناس كافة.

هـ- أن الله تكفل بحفظه، ولذلك فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يدخله تحرير ولا تبديل.⁽¹⁾

رابعاً- الإيمان بالأنبياء والرسل:

ومعنى الإيمان الجازم بجميع الأنبياء والرسل سواء من سماه الله منهم لنا، أو لم يسمه لنا.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ فَصَحَّصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَفْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (غافر: 78).

الفرق بين النبي والرسول:

النبي هو: عبد اصطفاه الله بالوحى إليه ولكنه قد يؤمر بالتبليغ وقد لا يؤمر، فإن أمر بالتبليغ كاننبياً ورسولاً، وإن لم يؤمر بالتبليغ فمهمته في هذه الحالة العمل والفتوى بشرعية رسول سابق له.

الرسول هو: عبد اصطفاه الله بالوحى إليه وأمره بالتبليغ. والاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة، يقول تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلَيْنَ ﴾ (الزخرف: 6)، ولذلك فالرسول أعم من النبي، والنبي أخص، فكل رسولنبي، وليس كلنبي رسولاً. ويؤيد هذا الفرق أدلة كثيرة منها الأحاديث التي تفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل عليهم السلام.⁽²⁾

⁽¹⁾ عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص470-477، محمد نعيم، المرجع السابق، ص65 وما بعدها.

⁽²⁾ عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص266-267.

صفات الرسل والأنبياء:

من أبرز صفاتهم ما يلي:

1- **الفطانة والذكاء**: فحمل الرسالة وتربيّة الناس وقيادتهم يحتاج إلى فطنة وذكاء.

2- **العصمة عن المعاصي**، فالرسول هو المثل الأعلى في أمته، فيجب أن يكون قدوة للناس.

3- لا يتعرضون للأمراض المنفرة.

4- جميعهم من البشر.

5- جميعهم من صنف الذكور، فلم يختر الله عز وجل رسلاه وأنبياءه من الإناث.

وظائف الرسول:

1- **البلاغ**: فأول وظيفة للرسول تبليغ الشريعة الربانية للناس، يقول تعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: 67).

2- **البيان**: وذلك بتبيين معاني النصوص التي أنزلت إلى الناس، يقول

تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُرِّزَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤)

3- هداية أمته إلى خير ما يعلمه لهم، وإنذار شر ما يعلمه لهم، وقد أوضح رسول الله هذه الوظيفة فقال: "إنه لم يكن النبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم".^(١)

4- **تربيّة الناس على منهج الشريعة الربانية وتأديبهم بآدابها وهدايّتهم**,

يقول تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ أَفْتَدَهُمْ ﴾ (آل عمران: 90).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (1844)، والنسائي في سننه الصغرى (4196)، وابن ماجة في سننه (3956).

الإيمان بمحمد ﷺ:

يجب أن نؤمن تجاه محمد بن عبد الله ﷺ بما يلي:

- 1- أنه نبي الله ورسوله، ومبعوث للناس أجمعين.
- 2- أنه خاتم الأنبياء والرسل، فلا نبي ولا رسول بعده.
- 3- أنه أفضل الخلق والمرسلين، وإمام المنتقين.
- 4- أن محبته تقدم على محبة الوالد والولد والنفس.
- 5- أن الله قد أيده بالمعجزات الدالة بيقين على صدقه ﷺ في كل ما جاء، وكل من لا يؤمن بشيء بهذا فلا يُعد مؤمناً.⁽¹⁾

خامساً- الإيمان باليوم الآخر:

ومعنى الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وسنة نبيه مما يكون بعد الموت في فتنة القبر وعذابه ونعمته والبعث والحضر والصحف والحساب والميزان والحوض والشفاعة والجنة والنار.⁽²⁾

وهذا الركن من أركان الإيمان يتطلب منا التصديق بالأمور التالية:

أ- حياة البرزخ:

وهي الحياة التي تبدأ بموت الإنسان وتنتهي بالبعث، يقول تعالى: ﴿ حَقٌّ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبُّكُمْ أَتَرْجِعُونَ ۝ لَمَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا فَمَا تَرَكَ كَلَّا إِنَّهَا كَلَّةٌ هُوَ قَابِلٌ مَا وَرَأَيْهِمْ بِرَبِيعٍ إِلَى يَوْمٍ يُبَيَّنُونَ ۝﴾ (المؤمنون: 99-100).

من ورائهم: من أمتهم، البرزخ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة.⁽³⁾ وفي هذه المدة والحياة يمر الإنسان بمرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب أو العقاب،

⁽¹⁾ محمد نعيم، المرجع السابق، ص 55-64.

⁽²⁾ محمد نعيم، المرجع السابق، ص 73.

⁽³⁾ تفسير ابن كثير /3 241-242.

فالإنسان في قبره قد يكون في نعيم وقد يكون في عذاب، والأدلة على ذلك كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿أَتَأُرُّ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا عِدْوًا وَعَشِيشًا وَيَوْمَ تَقُومُ أَسَاعَةً أَدْخُلُوا مَاءَ فِرَغَتْ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: 46). ومن ذلك الحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي ﷺ: مر بقرين فقال: "إنهما ليغذبان، وما يغذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتره من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، قال يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم يبسا".⁽¹⁾

الجريدة: سعة من النخل يُجرد عنها الخوص، فإذا جُرد عنها صارت جريدة.⁽²⁾

وأحاديث عذاب القبر أحاديث متواترة بالمعنى رواها حوالى أربعين صحابي. وأما كيفية النعيم والعذاب فذلك من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله الخالق القادر على كل شيء.

بــ قيام الساعة وما يلي هذا القيام من أحداث:
ومن ذلك:

1ـ النفخة الأولى: وهي نفخة ينفخها الملك إسرافيل في الصور فتقوم الساعة، يقول تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر: 68) وبهذه النفخة ينتهي النظام القائم في الحياة الدنيا. ووقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿يَسْتَكْنُ أَنَّاسٌ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: 63).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (218).

(2) عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص 551.

ومع ذلك قيام الساعة قريب، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَمَّا كَانَتْ السَّاعَةُ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: 63). يقول ﷺ: "بَعْثَتِنَا إِنَّا وَالسَّاعَةَ كَهَاتِينَ" مشيراً باصبعيه السباقة والوسطى.⁽¹⁾

2- النفخة الثانية: وهي نفخة ينفخها الملك إسراطيل أيضاً فيبعث البشر من قبورهم، يقول تعالى: ﴿لَمْ يُنْفَخْ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: 68).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُرْحَظُ الْأَجْفَةُ ۖ ۖ تَبَاهُوا أَرَادَةُ ۖ ۖ﴾ (النازعات: 6-7).

قال ابن عباس: هما النفحتان، فالراجفة: النفخة الأولى، والرافدة: النفخة الثانية.⁽²⁾

وبعد هذه النفخة يمر الخلق في مراحل، ومن هذه المراحل:

- البعث: فيبعث الله الخلق بالروح والجسد، يقول تعالى: ﴿وَاللَّوْقَ يَبْعَثُهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأనعام: 36).

- الحشر: فيحضر الخلق جمياً لموقف الحساب، ويشمل الحشر الإنس والجن والملائكة وكل دواب الأرض وطيورها، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَنَرْقِي الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَسْرَتِهِمْ فَلَمْ يَنْعَذُ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: 47).

وفي هذا الموقف يصيب الناس كرب شديد فتنو الشمس من الخلق، ويحضر الناس حفاة عراة غرلاً - أي غير مختدين -.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (6503، 6504، 6505)، ومسلم في صحيحه (2951)، والنسائي في سننه الصغرى (1579)، والترمذى في سننه (2214)، وابن ماجة في سننه (4040، 45).

⁽²⁾ تفسير ابن كثير 4/422.

⁽³⁾ عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص 563-567.

- العرض: فيعرض الخلق على الخالق يقول تعالى: ﴿ وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَاً ۚ

لَقَدْ جَنَحْتُمْ نَحْنُ كَمَا حَنَحْتُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ بِلَ زَعْمَتُ أَنَّنِي تَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ (الكهف: 48).

- نصب الميزان: فتنصب الموزفين للأعمال لوزن ما فيها من خير أو شر

يقول تعالى: ﴿ وَنَصَّعُ الْمَوَازِنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا ظُلْمَ فِي نَفْسٍ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْكَةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَنَ ﴾ (الأبياء: 47).

- المرور فوق الصراط: ويكون بعد موقف الحساب فيمر الناس مؤمنهم وكافرهم فوق الصراط وهو طريق على متن جهنم، فيجتازه المؤمنون إلى جنة الخلد بسرعات تتفاوت بتفاوت الإيمان والأعمال الصالحة، والخاسرون تجذبهم كلاليب جهنم فيسقطون فيها، أعادنا الله منها، يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ مَنَّكُمْ إِلَّا وَأَرِدُهَا كَمَا عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيَنَا ﴾ (٧٦) مُمْتَنَنِي الَّذِينَ آتَقُوا وَنَذَرُ الظَّلَمِيَّاتِ فِيهَا حِيتَانٌ ﴾ (٧٧) (مريم: 71-72).

- الجنة والنار: وهذه المرحلة الأخيرة التي يتم فيها الثواب الأكبر والعقاب الأكبر. وأما الجنة فثواب الله للمؤمنين والمسلمين له، وأما النار فمثوى الكافرين بالله والمتكبرين عن طاعته وعبادته، يقول تعالى: ﴿ فَآمَّا الَّذِينَ شَعَّا فِي النَّارِ لَمْ يُمْنَى رَفِيرٌ وَسَهِيْغٌ ﴾ (١٦) خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربكم إن ربكم فعل لما ي يريد ﴿ ١٧﴾ وأاما الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربكم عطاها غير مجذوذ ﴿ ١٨﴾ (هود: 106-108).

أدلة البعث والنشور:

هناك من الناس من ينكر البعث والنشور، ويرى استحالة إعادة الإنسان إلى الحياة بعد أن أصبح تراباً، وقد أورد الله عز وجل إنكارهم هذا في قوله تعالى: ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَسَيْسَيَ حَلَقَةً. قَالَ مَنْ يُنْعِي الْعَظِيمَ وَهُوَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٦) (يس: 78) وقوله تعالى: ﴿ أَءَذَا مِنْشَنَا وَكَانَ زَرَابًا ذَلِكَ رَجْمٌ بَعِيدٌ ﴾ (٢) (ق: 3).

وقد تولى القرآن الكريم نفسه الرد على هذا الإنكار بالأدلة التالية:

أولاً: إن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على إعادته مرة أخرى يقول تعالى: ﴿قُلْ يَخْبِئُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: 79).

ويقول تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُبَيِّنُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً﴾ (الإسراء: 51).

ثانياً: إن الذي أخرج النار ذات الإحراق من شيء مضاد لها وهو الشجر الأخضر المليء بالرطوبة والبرودة قادر على أن يخرج الحي من الميت، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَخْبِئُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (الله الذي جعل لك من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنشأ منه نوراً) (يس: 79-80).

ثالثاً: الاستدلال بالأعلى على الأدنى، فخلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِيرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ لَهُ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس: 81).

وك قوله عز وجل: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: 57).

رابعاً: أشارت آيات قرآنية كثيرة إلى أن الحكمة من خلق الإنسان هي العبوبية التي هي ابتلاء واختبار له. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِلنَّاسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56) والتکلیف بالعبادة يقتضي أن يحاسب كل إنسان على ما قدم. فهذا هو مقتضى العدل الذي اتصف الله تعالى به، وما دام الإنسان لا يحاسب على عمله في الحياة الدنيا، فالعقل يحكم بوجود يوم يحاسب فيه الناس على ما قدموه، وهذا هو اليوم الآخر الذي أخبرنا الله عز وجل عنه، وطلب منا الإيمان به.⁽¹⁾

⁽¹⁾ محمد عبد السلام محمد وآخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 203-205.

سادساً- الإيمان بالقضاء والقدر:

و معناه: الإيمان بعلم الله عز وجل بما تكون عليه الأشياء في المستقبل، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة على إيجاد هذه الأشياء بناءً على هذا العلم.

ولذلك عندما سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن القدر أجاب: "القدر قدرة الله"، أي: ما قرره الله سبحانه أولاً بالأشياء قبل وجودها.

وبناءً على ذلك فإن الإيمان بالقدر يتضمن المراتب الأربع التالية:
المرتبة الأولى (العلم): وهي: الإيمان بأن الله تعالى يعلم مسبقاً كل شيء جملة وتفصيلاً أولاً وأبداً، ومن جملة ذلك يعلم أعمال العباد قبل أن يعلموها.
المرتبة الثانية (الكتابة): وهي الإيمان بأن الله تعالى كتب ما سبق به علمه من مقدير الخلق في اللوح المحفوظ إلى يوم القيمة، يقول تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَصْتُهُ فِي إِمَارَ مُبِينٍ﴾ (بس: 12).

المرتبة الثالثة (المشيئة): وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشاً لم يكن، وأنه لا حرفة ولا سكون إلا بمشيئته تعالى.
يقول تعالى: ﴿وَمَا تَنَاهَىٰ وَنَهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: 29).
المرتبة الرابعة (الخلق): وهي الإيمان بإيجاد الله تعالى لكل المخلوقات، وأنه خالق، وكل ما سواه مخلوق، موجود من العدم، كائن بعد أن لم يكن، ودل على هذا قوله تعالى: ﴿أَللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: 62).

ومن جملة ما خلقه الله تعالى أفعال العباد كلها، الطاعات والمعاصي، ودل على ذلك الآية الكريمة السابقة: ﴿أَللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: 62) و قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: 96).⁽¹⁾

⁽¹⁾ محمد إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، ص 57-65، محمد نعيم، المرجع السابق،

وبناءً على أن الله عز وجل هو الذي خلق أفعال العباد، فهل الإنسان مسيّر أم مختر؟

معنى هل أفعال الإنسان تصدر عنه من غير قصد وإرادة فيكون مسيّراً، أم أن أفعاله تصدر عنه عن قصد وإرادة فيكون مخترأ؟

إن الإجابة على هذا السؤال بإطلاق توقع في الخطأ، ولذلك فقد وقع بعض المسلمين في الخطأ -وربما أخرجهم خطأهم هذا عن إيمانهم- عندما أجابوا على هذا السؤال بإطلاق، ومن هؤلاء المخطئين:

1- **القدرة:** وهم أتباع معبد الجندي وغيره من المعتزلة، وهؤلاء قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته أثر في ذلك، وقالوا إن أفعال العباد ليست مخلوقة الله تعالى، وإنما العباد هم الخالقون لها، وغلاتهم ينكرون أن يكون الله قد علمها، فيجحدون مشيئة الله وقدرته النافذة.

2- **الجبرية:** وهؤلاء قالوا إن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لأفعال العباد، فالعبد لا حرية له ولا فعل، فهو كالريشة في مهب الريح، وبالتالي اتهموا الله عز وجل بالظلم وتکلیف العبد بما لا قدرة له عليه.⁽¹⁾

- **عقيدة أهل السنة والجماعة:** إن عقيدتنا في هذا الموضوع أن الإنسان مختر باعتبار ومسير باعتبار، فهو مختر باعتبار أن له مشيئة يختار بها، وله قدرة يفعل بها، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلِيَؤْتُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْرَهُ﴾ (الكهف: 29) وهو مسیر باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر راجع إليه، فلا يخرج في تخبيه عن قدرة الله تعالى، يقول تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ يُسَرِّكُ فِي الظُّرُورِ وَالْبَخْرِ﴾ (يونس: 22).⁽²⁾

(1) محمد الحمد، المرجع السابق، ص 165-167.

(2) محمد الحمد، المرجع السابق، ص 132-139.

خصائص النظام العقدي:

للنظام العقدي خصائص يمتاز بها، وهي ذاتها خصائص العقيدة الإسلامية، ومن أهمها: ^(١)

- 1- موافقته للعقل والفطرة.
- 2- الشمول: فالنظام العقدي شمل الإله، والكون والإنسان والحياة.
- 3- صلحيته للبقاء والخلود.
- 4- دعوته للأخلاق والقيم.
- 5- نظام عقلي وعاطفي وعملي: فالعقيدة هي التي دفعت العرب إلى تحرير العالم من الظلم، فهم بنوا هذه العقيدة على أنها يeman بالعقل والقلب.
- 6- الإيجابية: فالعقيدة أنتجت حضارة علمية وتجارية وزراعية عمرت العالم بعد أن كان على شفا الانهيار والخراب.

آثار النظام العقدي:

أولاً- أثر العقيدة الإسلامية على الفرد:

- للعقيدة الإسلامية آثار كبيرة، ونتائج إيجابية في حياة الفرد، ومن أهمها:
- 1- تحرير النفس من جميع أنواع العبودية لغير الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْدُغْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْعَمُكَ وَلَا يَمْرُرُكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٦).
 - 2- الإخلاص في العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ أَلَيْنَ ﴾ (الزمر: ١١).
 - 3- الطمأنينة والسكينة ورفع المعنويات، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَطَمَّنُوا فُؤُلُومُهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ نَاطِقُونَ أَلَّا قُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

^(١) محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص 138-145.

- 4- الاستقامة والمسؤولية أمام الله تعالى، قال تعالى ﴿فَلَذِلَكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرَتُ وَلَا تَنْيِعْ أَعْوَاهُمْ﴾ (الشورى: 15).
- 5- الكرامة وعزّة النفس، قال تعالى ﴿وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ الْمُتَقْبِلِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: 8).
- 6- التواضع والرحمة، قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزَّيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبه: 128).
- 7- تحرير القلب من كافة الأمراض الاجتماعية وفي مقدمتها الحقد والحسد، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبِّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْرَجْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَالاً لِلَّذِينَ مَأْمُوا رَبِّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).
- 8- غرس الشجاعة والقناعة والرضا بالأقدار: قال تعالى ﴿أَلَيْنَ مَا مَأْمُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْتُوْهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْتَكَ هُنَّ الْمُأْمَنُونَ﴾ (التوبه: 20).
- ثانياً- أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع:
- العقيدة الإسلامية آثار قيمة على المجتمع، ومنها: أنها تنشئ مجتمعاً يقوم على المحبة والأخوة والترابط، والوحدة، والتعاون على الخير والمعروف والبر والتقوى. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا هَنَدَوْهُ أَشْكَرْ أُمَّةً وَجِدَةً وَلَمَّا رَبِّكُمْ فَانْفَوْنَ﴾ (المؤمنون: 52). وقال تعالى ﴿وَنَعَّا وَنَوْعَلَ أَلَيْرِ وَالنَّقَوْيِ وَلَا نَعَّا وَنَوْعَلَ أَلَيْرِ وَالْمَدَوْنِ﴾ (المائد: 2).

المبحث الثاني

النظام الاجتماعي

مفهومه:

تعددت مفاهيم النظام الاجتماعي واتجاهاته عند العلماء، ويمكن حصرها في مفهومين هما:

1- المفهوم العام للنظام الاجتماعي:

وهو مجموعة الأحكام والمبادئ التي شرعها الإسلام لتنظيم علاقة الإنسان بغيره في جميع مجالات الحياة سواءً أكانت أسرية أم سياسية أم اقتصادية أم غير ذلك.

2- المفهوم الخاص للنظام الاجتماعي:

وهو مجموعة الأحكام والمبادئ التي شرعها الإسلام لتنظيم الأسرة بدءاً من تكوينها بالزواج، وانتهاءً بتفرقها بالطلاق أو الموت، وما يترتب على كل مرحلة من مرحلتي البدء والانتهاء، وما بينهما من حقوق وواجبات وأثار. وهذا هو مفهوم نظام الأسرة في الإسلام.

وأصبح يطلق على الأحكام المتعلقة بتنظيم الأسرة في الإسلام في أواخر القرن التاسع عشر أحكام وقانون الأحوال الشخصية.⁽¹⁾

أسسه ومقوماته:

يقوم النظام الاجتماعي في الإسلام على الأسس التالية: ⁽²⁾

1- وحدة الأصل والمنشا، قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْ نَارٍ﴾ (النساء: 1).

⁽¹⁾ محمد النبهان، مبادئ في الثقافة الإسلامية، ص192.

⁽²⁾ محمود السرطاوي وآخرون، نظام الإسلام، ص209.

2- المودة والرحمة، قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْهَا وَمَحَلُّ بِيَنَّكُمْ مَوْدَةٌ وَرَحْمَةٌ ۚ ۚ﴾ (الروم: 21).
لِتَنْكُرُوا إِلَيْهَا وَمَحَلُّ بِيَنَّكُمْ مَوْدَةٌ وَرَحْمَةٌ ۚ ۚ﴾ (الروم: 21).

3- العدل والمساواة، قال تعالى ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَيَّنَ إِلَيْهِنَّ إِلَيْهِنَّ ۚ ۚ﴾ (البقرة: 228).

4- التكافل الاجتماعي، قال تعالى ﴿ وَمَاتَ ذَا الْقَرْبَى حَقَّهُ ۚ ۚ﴾ (الاسراء: 26).
ويضاف إلى ما سبق أن النظام الاجتماعي الإسلامي يستند جميع مقوماته من
القرآن الكريم والسنّة النبوية.

ويعدّ النظام الأسري من أهم وأقدم النظم الاجتماعية، وقد كانت الأسرة عند
العرب الجاهليين تعتمد على ثلاثة أشياء هي (النسب والأدعى والخلف).⁽¹⁾

الأسرة في الإسلام:
الأسرة لغةً واصطلاحاً:

لغةً: مشتق من أسر ياسر أنساً وإسراً، وهو القيد والحبس والاستسلام
والإحكام. والأسرة هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته.⁽²⁾

وجاء التعبير عن ذلك بالأسرة، كون الفرد غالباً يقيّد نفسه ويحبسها على أهله
وعشيرته، ومصداق ذلك، المشكلة التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا، وهي مشكلة
العصبية القبلية، والنعرة العشائرية، التي تحكي حياة العربي الجاهلي قبل الإسلام
الذي كان يعلن ولادة أمي لأسرته وقبيلته، يفوق الولاء القومي والديني.
وتقوم الأسرة في الإسلام على أساس (ال القرابة والرحم والنسب والمصاهرة).

اصطلاحاً: هناك نوعين من الأسر في الإسلام:

1- الأسرة النووية (الصغرى): وتتكون من الزوجين والأولاد فقط.

(1) موسى الإبراهيم، المرجع السابق، ص 102.

(2) ابن منظور، المصدر السابق، وجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (سر).

2- الأسرة الممتدة (الكبيرة): وتضم أقارب الزوجين.⁽¹⁾
 فالأسرة في الإسلام تطلق على مجموع الزوجين وأصولهما وفروعهما،
 وتشمل الأولاد والأجداد والجدات، والأعمام والعمات، والأخوال والحالات.
 ولم يرد لفظ (الأسرة) -بالمعنى الاصطلاحي- في القرآن الكريم، وإنما تم
 التعبير عنه بمصطلح (الأهل) قال تعالى ﴿ وَإِنْ خَفْتُمْ شَقَاءَ بَيْنَهُمَا فَأَبْعَثُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِمْ . وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحًا يُؤْفَقُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (النساء: 35)، قوله تعالى
 ﴿ وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه: 132).
 وقد بدأت الأسرة في الإسلام مع أول مجتمع عرفته الأرض (آدم وزوجته
 وأولادهما) فأسرة آدم التي تليّه هي الأسرة الإسلامية الأولى، ومنها نشأت الأسر
 الأخرى، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَاقٍ وَجَنَّةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الأعراف: 189).

الاهتمام بالأسرة والعناية بها:

اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً خاصاً وبالغاً، لأنها تشكل اللبنة الأولى في بناء
 المجتمع الإسلامي، وهي المحضن الأساسي ل التربية الطفل ورعايته.
 ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة:

1- حث الإسلام على الزواج والترغيب فيه. وهو من أهم مقومات الأسرة؛
 في الإسلام.

قال تعالى: ﴿ فَانْكِحُوهُنَّا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مُتَّنَعِّثَ وَلُكْثَ دُرْبَعَ ﴾ (النساء: 3).
 ونهى عن ترك الزواج مخافة الفقر يقول تعالى ﴿ وَلَنْ يَحْرُمُ الْأَيْمَنَ يَنْكِرُ
 وَالْأَصْلِحَيْنَ مِنْ يَعْدِكُمْ وَلَمَّا يَكُونُوا قُرْبَةً يُغَيِّبُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ ذَيْسَعْ عَكْلِيْمَ ﴿ ٣٢ ﴾ (النور: 32).

(1) عبد الرحيم عمران، تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، ص 20.

وال أيامى: جمع أيم، وهي المرأة التي لا زوج لها سواء أكانت ثياباً أم بكرأ، وكذلك تطلق الأيم على الرجل.⁽¹⁾

وقد عالجت سورة النور على وجه التحديد أزمة الزواج لدى الجنسين.⁽²⁾ وكذلك حضرت السنة النبوية على الزواج، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (إِنَّمَا مُعْشِرَ الْشَّبَابِ مِنْكُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَهُ فَلَا يَنْزَهُنَّ عَنِ الْفَرْجِ) وَالبَاءَ هِيَ أَغْضَنُ الْبَصَرِ وَأَحْسَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ).⁽³⁾ وَالبَاءَ هِيَ الْقَدْرَاتُ الْمَادِيَّةُ وَالجَنْسِيَّةُ وَالجَسْمِيَّةُ.

2- الإعلاء من شأن الرابطة الزوجية وتقديسها، حتى سماها القرآن الكريم ميثاقاً غليظاً ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِظًا﴾ (النساء: 21).

وليس أدل على ذلك من ترك البنت أسرتها التي عاشت فيها لفترة من الزمن، ورضيت أن ترتبط بشاب قريب أو غريب، يكون زوجاً لها وستراً عليها، فهي لا تقدم على ذلك إلا وهي واثقة بأن تكون صلتها بزوجها أقوى من كل الروابط.

3- اختصاص عقد الزواج وإنفراده ببعض الأحكام والأداب دونسائر العقود، فقد شرع الإسلام خطوات مهمة قبل الإقدام على الزواج، ورتب حقوقاً وواجبات بعد الإقدام عليه، وشرع أحكاماً وإجراءات إصلاحية عند الخلاف والشقاق بين الزوجين.

وظائف الأسرة:

للأسرة في الإسلام وظائف عديدة وأهداف نبيلة، حرص الإسلام على تحقيقها، وهي ذاتها الحكم التشريعية للزواج، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

⁽¹⁾ الفخر الرازي، للتفسير الكبير، ج 23، ص 210.

⁽²⁾ خالد پيراهيم الفتيانى، التفسير الإعلامي لسوره النور، ص 110-115.

⁽³⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (1400)، وصححه مسلم (5066)، وصححه مسلم في صحيحه (1905)، والترمذى في سننه (1081)، والنسائى في سننه الصغرى (2241)، وأبو داود في سننه (2046)، وأبن ماجة في سننه (1845).

- ١- التنظيم الجنسي: فالزواج هو الطريق الشرعي الوحيد لتنظيم الغريزة الجنسية، لذا حث الإسلام عليه ورغب فيه.
- ٢- التنازل والإنجاب: فقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذه الوظيفة، والتي لا غنى للأسرة عنها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحْدَةً﴾ (النحل: ٧٢).
- كما دعت السنة النبوية إلى الزواج من التي يتوقع منها الإنجاب، ونهن عن زواج العقيم، قال ﷺ: (تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمل).^(١)
- ٣- التنشئة الاجتماعية: فتعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد أمر ضروري، كلُّ ضمن اختصاصه، فالزوجة تشرف على البيت، والزوج يسعى للعمل خارجه، وتربية الأولاد مسؤولية مشتركة بينهما.
- ٤- الوقاية من الأمراض والحماية من الانحلال الخلقي: فالزواج سبيل آمن من الانحلال الخلقي، والتفسخ الاجتماعي، ويصون الأمة أفراداً وجماعات من الأمراض السارية الفتاكـة التي تنتشر بسبب الزنى، وشروع الفاحشة.
- ٥- المودة والرحمة والسكنينة والطمأنينة: فقد أقام الإسلام العلاقة بين الزوج والزوجة على صفتين جوهريتين هما:
- المودة والتي تجمع معاني (الحب، الصداقة، الصحبة) والرحمة والسكنينة.
- معاني (التفاهم، العفو، الاحتـمال) تحت إطار الهدف العام وهو السكينة والطمأنينة.
- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْمَنْتَهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتُسْكِنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكَرٌ لَقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ (الروم: ٢١).
- ومن الواضح أن هذه الآية لم تشر إلى الأطفال ولا إلى عملية الإنجاب، الأمر الذي يؤكد أن (السكنينة) هي الغرض العام من الزواج، وهذا من العدل حيث

^(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٠٥٠)، والنسائي في سننه الصغرى (٣٢٢٩)، واللـفظ لأبـ. دـ. دـ.

يمكن لكل الأزواج الوصول إلى السكينة، والمودة والرحمة، بينما لا تتوافر
الخصوصية لكل الأزواج.⁽¹⁾

6- الوظيفة الاقتصادية: فالأسرة إذا أرادت البقاء والاستمرار فعليها ممارسة
نشاط اقتصادي يوفر لها حاجاتها الأساسية التي تضمن بقاءها، فالأسرة تتكون من
الرجل والمرأة، ولكل منها وظائفه التي لا يمكن لأحدهما أن ينوب عن الآخر
فيها.

الزواج في الإسلام:

تعريفه: هو العقد الذي يبيح لكل واحد من الزوجين حق الاستمتاع بالأخر
على الوجه المشروع،⁽²⁾ وما يتربّط على هذا العقد من حقوق وواجبات وأثار.

حكمه: تنوع حكم الإسلام في الزواج بتتنوع حال الإنسان من حيث خوف
العنّت، واختلاف قدراته على الزواج، فيكون:⁽³⁾

1- واجباً: لمن يمتلك القدرة، وتأتى نفسه إليه، وخشي الوقوع في الحرام.

2- مندوياً: لمن يمتلك القدرة، وتأتى نفسه إليه، ولم يخش الوقوع في
الحرام.

3- حراماً: إذا أدى إلى الحرام، كان يكون سبيلاً إلى ظلم الزوجة، أو
الإضرار بها، وعدم تأدية حقوقها.

4- مكروهاً: لمن يمتلك القدرة، ولا يخشى على نفسه الورق في الزنى إن
لم يتزوج، ولكنه يظن أنه سيظلم زوجته، ويسيء إليها.

⁽¹⁾ عبد الرحيم عمران، المرجع السابق، ص 20-21.

⁽²⁾ محمد محي الدين عبد الحميد، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، ص 8.

⁽³⁾ محمد أبو زهرة، الأحوال الشخصية، ص 22-23.

حق المرأة في الزواج:

كفل الإسلام للمرأة حريتها وحقها في التعبير وإبداء الرأي بالزواج من ترغب، لأن الإكراه يبطل العقد، ولذلك منع الإسلام الأولياء من التعسف، والاستبداد في تزويج بناتهم أو أخواتهم بغير رضاهن سواءً كن ثيبات أو أبكاراً، وهذا يدل دلالة قاطعة عن قدسيّة عقد الزواج.

روي عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك فألت رسول الله ﷺ فرد نكاحها^(١). أي أبطله.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن جارية بكرأ أنت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها، وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ^(٢).

ورفض البنت الزواج من تكره لا يعد عقوفاً للوالدين، بشرط أن يكون الزوج كفؤاً للزوجة، ولا يجوز للبنت أن تختلف أباها بالزواج من لا يراه كفلاً لها. ويكون إبداء الرأي من الثيب بالاستئمار (الاستطاق)، ومن البكر بالاستذان (السكت) لحياتها من التصريح.

قال ﷺ: (لا تنكح الأم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستاذن، قالوا: يا رسول الله: كيف أذنها: قال: أن تسكت)^(٣).

الخطوات التي تسبق عقد الزواج:

أولاً- الاختيار:

حث الإسلام على حسن الاختيار في الزواج سواءً أكان من جهة الزوج أم من جهة الزوجة، ويلزم كل من يريد الإقدام على الزواج التروي وعدم الاستعجال،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (5136، 6945، 6969)، والنسائي في سننه الصغرى (3270)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (2096).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (5136، 6970)، ومسلم في صحيحه (1419)، والترمذى في سننه (1107)، والنسائي في سننه الصغرى (3269)، وأبو داود في سننه (2092)، وابن ماجة في سننه (1871).

والذي غالباً ما يعقبه الندم، فليس المطلوب هنا الاختيار فحسب، ولكن المطلوب اختيار الأحسن والأفضل، والذي يكفل للأسرة الاستقرار والاستمرار.

وأسس الاختيار في الإسلام تقوم على الدين والخلق، يقول ﷺ: (تتح المرأة لأربع: لمالها ولحسابها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك).⁽¹⁾

ومعنى (تربيت يداك) خسرت وفقرت، وكأنها التصقت بالتراب، وهذا لا بد من تقدير المذكور في اللغة العربية وهو (إن لم تظفر بذات الدين) وعند التطبيق اللغوي على الحديث يصبح اللفظ كالتالي: خسرت يداك إن لم تظفر بذات الدين. ويقول ﷺ: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض).⁽²⁾

ويجوز للمرأة أن تهب نفسها لمن وجدت فيه الكفاءة للزواج، ولا حياء في ذلك.

كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبوا أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت ﴿ تُرْجِيَ مِنْ نَسَاءَ مِنْهُنَّ﴾ (الأحزاب: 51)، قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.⁽³⁾ أي رضاك.

وكذلك يجوز للرجل أن يعرض ابنته أو أخته على أهل الخير والصلاح والتقوى بهدف الزواج. فقد عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة حين تأيمت على عثمان وأبي بكر -رضي الله عنهم أجمعين- ثم تزوجها رسول الله ﷺ.⁽⁴⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5090)، ومسلم في صحيحه (1466)، والنمساني في سننه الصغرى (3232)، وأبو داود في سننه (2047)، وابن ماجة في سننه (1858)، واللفظ للبخاري ومسلم.

(2) أخرجه الترمذى في سننه (1084، 1085)، وابن ماجة في سننه (1967) واللفظ للترمذى.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (5113).

(4) أخرج الرواية بتمامها البخاري في صحيحه (4005، 5122)، والنمساني في سننه الصغرى (3250).

ثانياً- الخطبة:

لغة: بكسر الخاء، هي طلب المرأة للزواج.^(١)
اصطلاحاً: طلب الرجل الزواج من امرأة خالية من الموانع الشرعية، تلبيحاً أو تصريحاً، ويمهل الرجل فترة من الوقت للرد عليه بالقبول أو الرفض.
والخطبة مباحة شرعاً، ولا يترتب عليها أي التزام قانوني سوى الالتزام الأدبي الشعري بعدم الخطبة على الخطبة، وهذا من المقاصد الحاجية في التشريع الإسلامي.

ومن متطلبات الخطبة:

أ- التعارف: فيتعرف كل من الخطاب والمخطوبة على الآخر، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حتى لا يقع الغش والخداع بين الناس، ومن شأن التعارف أن يجعل كل من الخطابين أن يقدمما على عقد الزواج أو يحجما عنه.
ب- النظر والرؤوية: فيشرع لكل من الخطاب والمخطوبة رؤية الآخر، والنظر المشروع هو الذي يكون إلى الوجه والكتفين، أما الوجه فلأنه مجتمع الجمال، وأما الكفان فدلالتهم على الخصوبة.

عن أبي هريرة رض قال: كنت عند النبي صل، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صل (انظرت إليها؟) قال: لا، قال: (اذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً).^(٢)
وقوله صل للمغيرة بن شعبة رض عندما خطب امرأة: (انظر إليها فإنه أخرى لأن يؤذم بينكم).^(٣)

^(١) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (خطب).

^(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (1424).

^(٣) أخرجه الترمذى في سنته (1087) وقال عنه: حسن، وابن ماجة في سنته (1866).

جـ- عدم الخلوة بالمخطوبة: بما أن الخطبة وعد بالزواج، ولم يتم بعد عقد الوعد، فتبقى المخطوبة أجنبية عن الخاطب تحرم بينهما (الخلوة). أما الجلوس بوجود المحارم فلا بأس في ذلك.

يقول النبي ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم".⁽¹⁾

د- لا يجوز لشخص آخر أن يخطب امرأة مخطوبة لغيره، يقول النبي ﷺ:
"ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك".⁽²⁾
والحكمة من التحريم سد باب الحقد والبغض بين المسلمين، والحرمة هنا ديانة، أي من حيث الإثم الأخروي، أما قضاء فلو خطب رجل امرأة مخطوبة لغيره غير معقود عليها، فالخطبة صحيحة ولو عقد عليها هذا الخاطب الثاني فالعقد صحيح.

هـ- خضوع كل من الخاطب والمخطوبة للفحص الطبي قبل إجراء عقد الزواج- الذي يؤكد سلامتهما من العقم والأمراض الوراثية.

الأحكام المترتبة على عقد الزواج:

إذا استكملت جميع الإجراءات التي تسبق عقد الزواج، نلجمًا بعد ذلك إلى إجراء عقد الزواج توثيقاً كتابياً رسميًا، وهذا إعلان من الزوج والزوجة ببدء الحقوق والواجبات المترتبة على هذا العقد، وهي على النحو التالي:

أولاً- الحقوق المشتركة بين الزوجين:

1- حسن المعاملة والمعاشرة: فيجب على الزوج والزوجة احترام الآخر، وحسن معاشرته، قال تعالى: ﴿وَعَاشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَيْتُمْ أَنْ تَتَكَرَّهُوْا شَيْئًا وَبَجَمِيلَ اللَّهُ فِيهِ حَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 19) قوله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر).⁽³⁾

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (5233)، ومسلم في صحيحه (1341)، والله نظر للبخاري.

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (5144)، والنسائي في سننه الصغرى (3243).

⁽³⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (1467).

- 2- الاستمتاع: فلكل واحد من الزوجين أن يستمتع بالآخر بجميع أنواع الاستمتاع التي أباحها الإسلام.
- 3- التوارث: فيرث كل من الزوجين الآخر في حالة الموت، إلا لمانع شرعى، وذلك حسب الفروض المقدرة في القرآن الكريم.
- 4- حرمة المصاورة: فلا يحل للزوج أن يتزوج من أصول زوجته أو فروعها، وكذلك الزوجة لا يحل لها أن تتزوج من أصول زوجها أو فروعه.
- 5- ثبوت نسب الولد بينهما.
- 6- حفظ أسرار الزوجية.

ثانياً- حقوق الزوج (واجبات الزوجة):

- 1- الطاعة: فيجب على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية، وهذا من مقتضيات قوامة الرجل على المرأة، قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوْمٌ عَلَى النِّسَاءِ يَسِّرُهُمْ أَنَّهُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَنْوَالِهِمْ﴾ (النساء: 34) قوله ﷺ: (لو كنتَ امرأً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها).⁽¹⁾
- 2- القرار في البيت: قال تعالى ﴿وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: 33)، فلا يجوز للزوجة أن تخرج من بيت زوجها، ولا تسمح لأحد أن يدخل منزله، ولا تبيت خارج البيت إلا بإذن من الزوج.
- 3- ولادة التأديب: قال تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُزُهُنَّ فَيَظُهُرُهُنَّ وَأَهْجُرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِيُهُنَّ إِنَّ أَطْغَنَكُمْ فَلَا يَبْغُونَ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا كَبِيرًا﴾ (النساء: 34).

⁽¹⁾ لخرجه للترمذى فى سننه (1159)، وقال عنه: حسن غريب.

والتأديب يكون للزوجة الناشر، المتمردة، العاصية لأوامر الزوج، وقد بينت الآية الكريمة (وسائل الإصلاح) بين الزوجين عند حدوث الخلاف والشقاق، والتي شكل في مجموعها ولایة التأديب، وهي ثلاثة وسائل على النحو التالي:

أ- الوعظ بالرفق واللين: بأن يبين لها واجباتها، وما يترتب على عصيانها، وتمردتها من إلحاق الضرر بها وزوجها وأولادها.

ب- الهجر في المضجع: بala يبيت معها على فراش واحد، ولا خارج البيت.

ج- الضرب غير المبرح: فلا يجوز للزوج أن يضرب زوجته ضرباً مبرحاً لأي سبب من الأسباب.

4- المبادرة إلى فراش الزوج حين الدعوة: قال ﷺ: (إذا دعا الرجل

امرأته إلى فراسته فأبىت فبات غضبان عليها لعنها الملائكة حتى تصبح).⁽¹⁾

5- صيانة نفسها عما يدنس شرفها وشرف زوجها: فلا تفعل شيئاً من شأنه

أن يبعث الريبة في قلب زوجها، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في خطبة الوداع

فقال: (فاما حكم على نساعكم فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم
لمن تكرهون).⁽²⁾

6- المحافظة على مال الزوج: فلا تعطي أحداً منه شيئاً - مما لم تجر العادة
إعطائه- إلا بإذنه، سواء كان ذلك نقداً أو ثياباً أو إطعاماً أو غيره.

ثالثاً- حقوق الزوجة (واجبات الزوج):

1- المهر: قال تعالى: ﴿وَإِنَّوْمَنَّا لِلنِّسَاءِ صَدَقَتِهِنَّ بِخَلَّهُ﴾ (النساء: 4)، فيجب
على الزوج أن يدفع لزوجته مهرها المعجل كاملاً قبل الدخول.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (3237)، ومسلم في صحيحه (1436)، وأبو داود في سننه (2141)
واللفظ للبخاري.

⁽²⁾ أخرجه الترمذى في سننه (3087)، وقال عنه حسن صحيح، وابن ماجة في سننه (1851).

2- النفقة: قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَنْوَارِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفٍ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا

وَسِعْهَا﴾ (البقرة: 233).

وتشمل النفقة كل ما ينطبق عليه هذا اللفظ من إعاقة ولباس وسكن وعلاج وتعليم، ويراعى في النفقة حال الزوج عسرًا ويسراً، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الحق في خطبة الوداع عندما قال (إلا وإن حقمن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن).⁽¹⁾ وإذا خرجت المرأة للعمل دون إذن زوجها سقطت نفقتها.

3- العدل: وهذا في حالة تعدد الزوجات، والعدل المطلوب يكون في النفقة والبيت، أما الميل القلبي والنفسي فمعفي منه الزوج كونه خارج عن إرادته وسيطرته، يقول ﷺ (اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك).⁽²⁾

منهج الإسلام في الإصلاح بين الزوجين:

اقر القرآن الكريم سلسلة من الإجراءات والوسائل للإصلاح بين الزوجين عند وقوع الشقاق والنزاع، وهي على النحو التالي بالترتيب:

1- المعاشرة بالمعروف: قال تعالى ﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفٍ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَسَئَلُوكُمْ هُوَ شَيْءًا وَيَعْمَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 19)، وقوله ﷺ في حجة الوداع: (استوصوا النساء خيراً فإنهن عندكم عوان).⁽³⁾

2- الوعظ والهجر في المضاجع والضرب غير المبرح، قال تعالى ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُثُرْهُنَّ فَعَظُوْهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (النساء: 34).

(١) المصدران السابقان.

(٢) لخرجه للترمذى في سننه (1140)، والنسائي في سننه الصغرى (3395)، ولابن داود في سننه (2134)، وابن ماجة في سننه (1971) وللنفط للترمذى.

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه (5186، 5331)، والترمذى في سننه (3087)، وابن ماجة في سننه (1851).

ولِنَّ الْأَخْيَارُ لَا يَضْرِبُونَ النِّسَاءَ، فَالَّتِي لَا يُمْكِنُ مَعْالِجَةً نَشُوزَهَا بِالوَعْظِ
وَالْهُجْرِ، فَالْأَفْضَلُ لِلزَّوْجِ أَنْ يَلْجُأَ إِلَى الْمَفَارِقَةِ بِمَعْرُوفٍ، وَالتَّسْرِيفِ بِإِحْسَانٍ بِدَلَّاً مِنَ
الصَّرْبِ.

أما إذا كان النشوز من جهة الزوج، فقد بين القرآن الكريم وسيلة العلاج في
قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أُمْرَأٌ خَاتَمَ مِنْ بَعْلِهَا شُوْرًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا وَالصَّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: 128)، فالزوجان هما المكلفان بإصلاح حياتهما
الزوجية دون إفشاء أسرارهما الزوجية أمام الأهل أو المحاكم الشرعية وغيرها.

-3- اللجوء إلى التحكيم: وهذا في حالة استحکام الشقاق والنزاع بين
الزوجين، وعدم جدوی الوسائل المتّبعة في البندین (1) و(2)، فنلجا إلى تحکيم
حكميں لإزالة الخلاف والقضاء على أسبابه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَفَّثْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا
فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمْ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَحَهَا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْهِمَا حَيْرًا﴾ (النساء: 35).

وما أحوج قضاة الشرع والحكام الذين يحكمون في حالات الشقاق والنزاع
إلى أن يتقدوا الله تعالى في مصير الأزواج وعائلاتهم، وأن يضعوا قوله تعالى: ﴿إِنْ
يُرِيدَا إِصْلَحَهَا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ نصب أعينهم، وحتى يبارك الله في وساطتهم، ويوقع
المودة والرحمة بين الزوجين.

المبحث الثالث

النظام السياسي

مفهومه: هو مجموعة المبادئ الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم والسنّة النبوية، وما استطعه علماء المسلمين منها في كل عصر من العصور، في ميدان الحكم والدولة.⁽¹⁾

أهميته: يعد النظام السياسي الإسلامي من أهم النظم الإسلامية، فهو محور النظام الإسلامي الشامل وجوهره، فلا يمكن أن تقام قائمة لأي نظام إسلامي إلا بوجود النظام السياسي.

حكمه: واجب، يقول ابن حزم في ذلك: اتفق جميع أهل السنة، والشيعة، والخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بشريعة رسول الله ﷺ.⁽²⁾

الأدلة على وجوب إقامة نظام الحكم في الإسلام:
من القرآن الكريم: وردت آيات كثيرة تدل على ذلك، منها قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيبُوا أَطْبَأْ وَأَطِيبُوا أَرْسَلُ وَأَنْزَلَ الْأَنْزَلَ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59).
من السنّة النبوية: وردت أحاديث كثيرة في السنّة القولية، تفيد وجوب إقامة نظام الحكم، منها قوله ﷺ: (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).⁽³⁾
ومن السنّة الفعلية: كان أول عمل له ﷺ بعد قدومه المدينة المنورة هو إقامة الدولة الإسلامية.

(1) محمد المبارك، نظام الإسلام الحكم والدولة، ص 56.

(2) عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية لصيلة، ص 324.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (1851).

من الإجماع: أجمع المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ على وجوب تنصيب الحاكم، لذك رأينا الصحابة سرطان الله عليهم - فلما بيعت أبي بكر على إجراءات دفن النبي ﷺ - حتى لا يترك الناس فوضى - علمًا أن دفنه واجب، ولا يترك هذا الواجب إلا لأمر لوجب منه.

ومن القواعد الشرعية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)،^(١) إذ أن إقامة حكم الإسلام في جميع شؤون الحياة واجب، وهذا الواجب لا يتأتى إلا من خلال وجود الحاكم، فثبتت وجوب تنصيبه.

شروط الحاكم في الإسلام:

اشترط العلماء فمن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية أن تتوافق فيه الشروط التالية:^(٢)

الإسلام، والتکلیف، والحریة، والذکر، والعدالة، والکفایة، والکفاءة، والخبرة السياسية والإداریة، والعلم والثقافة، والمواطنة وسلامة الحواس والأعضاء، وأما النسب القرشی فهو شرط مختلف فيه، فقد اشتراه الجمهور، واستدلوا بقوله ﷺ (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)^(٣) وخالفهم في ذلك الخوارج، وبعض المعتزلة، واستدلوا بقوله ﷺ (سمعوا وأطیعوا وابن استعمل عليک عبد حشی، کله رأسه زبیبة).^(٤)

^(١) فتنى الدرینی، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ص 331.

^(٢) محمد المبارك، المصدر السابق، ص 61-70.

^(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (3501، 7140)، ومسلم في صحيحه (1820).

^(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (693، 7142)، ولبن ماجة في سننه (2860).

طرق تنصيب الحاكم في الإسلام:

لم يعتمد الإسلام أسلوباً أو طريقة لاختيار الحاكم، فهي ليست من الثوابت في الشريعة الإسلامية، وإنما من الأمور المتغيرة المتطرفة، والحكم في الإسلام تكليف وليس شرifaً ولا وراثياً، وتمر عملية تنصيب الحاكم في مرحلتين هما:

1- مرحلة الترشيح والاختيار (البيعة الخاصة): وهي أن يرشح الحاكم السابق حاكماً جديداً، مثل ترشيح أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، أو أن يختار الحاكم السابق مجموعة من المرشحين، ثم يقوم أهل الشورى (أهل الحل والعقد) باختيار واحد منهم.

مثل اختيار عثمان بن عفان من بين الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم-.

2- مرحلة البيعة العامة (الاستفتاء): وهي إعطاء الحاكم الثقة والولاء والعهد على السمع والطاعة، وهي من أهم مراحل تنصيب الحاكم المسلم وأخطرها، ولا غنى عنها، إذ بها يتربّط على الحاكم واجباته، وعلى الأمة حقوق ويراعي في البيعة العامة أن تكون علناً وفي المسجد.

أهل الحل والعقد:

مصطلح سياسي فقهي، يقابله في لغة العصر أعيان الأمة ونوابها، وقاده الرأي والجيش، وزعماء الأحزاب، والنقابات الذين يرجع إليهم في حل معضلات الأمور، ويشرّط فيهم العدالة والعلم والحكمة.

البيعة: عقد ومتبايق بين رئيس الدولة على الحكم بالكتاب والسنّة والنصّ للMuslimين، وبين الجمهور على الطاعة في غير معصية.

واجبات الحاكم في الإسلام:

يجب على الحاكم المسلم واجبات كثيرة، والتي تتمثل حقوق الرعية ومقاصد الحكم في الإسلام، ومن أهمها: (١)

- ١- حفظ الدين على أصوله، وما أجمع عليه سلف الأمة.
- ٢- إقامة الحدود على المجرمين، وتنفيذ الأحكام بين المشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين.
- ٣- حماية البيضة (الدفاع عن الحرمات وال المقدسات الإسلامية)، وتحصين الثغور، وإعلان الجهاد.
- ٤- جباية الفيء والصدقات، وتقدير العطايا لمستحقها من بيت المال.
- ٥- مباشرة الأمور ومراقبتها بنفسه، للنهوض بسياسة الأمة، وحراسة العلة.

حقوق الحاكم في الإسلام:

إذا أدى الحاكم المسلم واجباته، فإنه يستحق على الرعية الحقوق التالية: (٢)

- ١- السمع والطاعة: وتعني التزام الأوامر والتوجيهات الصادرة عن الحاكم فيما ليس فيه معصية، قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلِمْعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُنْ هُنَّ مُنْكَرٌ ﴾ (النساء: ٥٩)، قوله ﷺ: (السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)،^(٣) والطاعة الواجبة مشروطة بثلاثة شروط: (٤)

أ- أن يكون الحاكم من المسلمين.

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص 15-17.

(٢) موسى الإبراهيم، المرجع السابق، ص 154.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (2955)، (7144).

(٤) محمد المبارك، المصدر السابق، ص 50.

ب- أن تكون الأوامر في حدود المعروف وأحكام الإسلام، فلا طاعة لخالق في المعصية.

ج- أن يكون فيها مصلحة للمسلمين.

2- الكفالة من بيت المال: بما يتناسب مع حاله دون إسراف أو تقدير، وذلك لنفرغ الحاكم لإدارة شؤون الدولة.

3- النصرة: وذلك في حالة تعرض الحاكم للأذى، أو تمرد على طاعته أو خرج عليه فرد أو فئة من الناس بغير سبب موجب للخروج.

4- النصيحة: فمن حق الحاكم على الأمة أن تتصحّه، وأن تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، قال ﷺ (الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: الله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامتهم).⁽¹⁾

أسس النظام السياسي:⁽²⁾

يقوم نظام الحكم في الإسلام على مجموعة من القواعد والمبادئ، وهي:

1- الحاكمة لله (السيادة للشرع): فالشرع والمحلّ والمحرم هو الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَا تَبْدُوا إِلَّا إِيتَاهُ﴾ (يوسف: 40)، وعليه فإنّ الحاكمة من أبرز خصائص الألوهية، فيحرم على المسلم أن يتحاكم إلى غير شرع الله، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِمَّا فَعَلَيْتَ وَإِمَّا سَلِيمًا﴾⁽³⁾ (النساء: 65).

2- للأمة حاكم واحد: فالرب والنبي والإسلام، والكتاب واحد، والقبلة والأمة واحدة، وكذلك يجب أن يكون الحاكم واحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أَنَّهُمْ رَجَدَةٌ وَآتَانَا رَبِّكُمْ فَأَغْبَدُورْنَ﴾⁽⁴⁾ (الأنبياء: 92).

⁽¹⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (55).

⁽²⁾ محمد المبارك، المصدر السابق، ص34-50، عزمي السيد وآخرون، المرجع السابق، ص286-292.

3- حق الأمة في المحاسبة والمراقبة والنقد: ويتجلى هذا الحق في عدة مبادئ في الكتاب والسنة، منها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومبدأ النصيحة، وعليه فإن الأمة هي الحاكمة، وذلك من خلال وكيل عنها هو الحاكم، وهذا يعني أن الحكم في الإسلام ليس فردياً مطلقاً، وإنما يستند إلى سلطة الأمة في المراقبة والتقويم.

4- المسؤولية: وهي نوعان دنيوية، وأخروية، أما المسؤولية الدنيوية فهي قسمان: سياسية، وجنائية (جزائية).

المسؤولية السياسية تعني: خضوع الحاكم للمساءلة عند تجاوزه حدود سلطته، كان يتكرر لمبادئ الشريعة، أو يسيء استخدام السلطة بظلم الرعية، والقاعدة الشرعية تقول (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة).

واما المسؤولية الجنائية أو الجنائية فتعني: خضوع الحاكم للقانون الإسلامي إذا اعتدى على حقوق الله أو على حقوق العباد، وبخاصة في الحدود والقصاص.

- **اما المسؤولية الأخروية:** فتتمثل في وقوف الحاكم أمام الدين يسأله عن تصويره في شؤون الرعية، قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَكُمْ نُورًا مِّنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا تَرَكْتُمْ مِّنْ أَثَارٍ ۚ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ﴾ (الأفال: 27)، ويقول الرسول ﷺ: (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة).⁽¹⁾

5- الشوري: وتعني تبادل أصحاب الاختصاص والمعرفة والتقوى من المسلمين الرأي والمشورة في الأمور التي لم يرد فيها نص، وقد أكد القرآن الكريم هذا العبدأ الهام والحيوي في حياة الناس. قال تعالى: ﴿ وَأَتَرْهُمْ شُرُورِيَّتِهِمْ ۚ ﴾ (الشورى: 38)، قوله تعالى: ﴿ وَشَأْوِرْتُمْ فِي الْأُجْرَ فَإِذَا عَزَّمْتُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ ﴾ (آل عمران: 159)، كما طبق الرسول ﷺ مبدأ الشوري في مواقف عديدة مثل: بدر

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (7151)، ومسلم في صحيحه (142) وللهفظ للبخاري.

وأحد والخنق، وطبقه كذلك الصحابة والخلفاء الراشدون. وحكم الشورى واجبة على الحاكم المسلم، وهي ملزمة له.

فوائد الشورى: (١)

- أ- تؤدي إلى تبصرة الحاكم بالرأي الصائب المبرأ عن الهوى أو المصلحة.
 - ب- تدفع الناس إلى تطبيق القرارات التي شاركوا في صنعها، ويتحملون مسؤولية قراراتهم.
 - ج- تؤدي إلى نجاح الأعمال لبنائها على أساس الخبرة.
 - د- تدعم الثقة بين القيادة والشعب، وتحتفظ أبواب الحوار والنقاش البناء.
- 6- العدل: ويعني حكم الرعية بالحق بعيداً عن الهوى والظلم والانحياز لفئة معينة، فالعدل أساس البناء الاجتماعي، يقول ابن تيمية (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة)،^(٢) والعدل واجب حتى في حق الأعداء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّعْوِيْنِ﴾ (المائدة: ٨)، وأكد الرسول ﷺ على مبدأ العدل في نظام الحكم فقال "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل".^(٣)
- 7- المساواة: وهذا الأصل انبثق عن العقيدة التي كرمت بني آدم، وخطب لهم بلفظ واحد (يا أيها الناس)، (يا بني آدم) والمساواة تكون أمام القانون والقضاء والوظائف العامة وكافة الحقوق. ومن المعلوم أن الإسلام ألغى امتيازات اللون والجنس والنسب والمال وغيره.
- 8- الطاعة: وقد تقدم الحديث عنها في حقوق الحاكم.

(١) محمود السرطاوي وأخرون، المرجع السابق، ص 286.

(٢) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص 81.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم في صحيحه (١٠٣١)، والترمذى في سننه (٢٣٩١)، والنسائي في سننه الصغرى (٥٣٨٢).

المبحث الرابع النظام الاقتصادي

تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً:

لغة: يطلق على عدة معانٍ منها: الاستقامة، وإيتان الشيء، والتوسط والاعتدال وتجنب الإفراط.⁽¹⁾

اصطلاحاً: هو الاعتدال بين الإسراف والتقتير، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ثُمَّ يُشْرِفُوا وَلَمْ يَقْرُبُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَوَاماً﴾ (الفرقان: 67).

والاقتصاد: علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع.⁽²⁾

أهمية الاقتصاد:

وتكمّن أهميته في أنه:

عصب الحياة، وعامل مؤثر في الأوضاع الاجتماعية والسياسية للأفراد، والجماعات، وعامل فعال في استقرار الدول وسيادتها.

النظام الاقتصادي في الإسلام: مفهومه وأقسامه

مفهومه: هو مجموعة الأحكام والمبادئ التشريعية المتعلقة بعمليات الإنتاج والاستثمار والتوزيع والاستهلاك، وما تتضمنه من علاقات إنتاجية بين الإنسان والأشياء (من موارد طبيعية أو آلات إنتاج أو نقد أو سلع) أو بين الإنسان والإنسان.⁽³⁾

والمصادر التشريعية للنظام الاقتصادي الإسلامي هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والاجتهدad بجميع وسائله.

⁽¹⁾ ابن منظور، المصدر السابق، مادة (قصد).

⁽²⁾ مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (قصد).

⁽³⁾ عزمي السيد وأخرون، المرجع السابق، ص 308.

أقسامه: ويكون من قسمين هما: ⁽¹⁾

1- الثابت: ويشتمل على مجموعة المبادئ الاقتصادية العامة التي نص عليها القرآن الكريم والسنّة النبوية مثل: حل البيع وحرمة الربا، وهذا القسم يسمى بالمذهب الاقتصادي.

2- المتغير: ونقصد به مجموعة التطبيقات والحلول الاقتصادية التي يتوصل إليها المجتهدون، تطبيقاً للمبادئ العامة وإعمالاً لها مثل العمليات التي يصدق عليها الربا.

الأسس العقدية للنظام الاقتصادي في الإسلام:

يقوم الاقتصاد في الإسلام على جملة من الأسس والقواعد العقدية، وأهمها:⁽²⁾

1- المال مال الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْوَهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ أَلَّا يَنْكُمْ﴾ (النور: 33).

2- الإنسان مستخلف في مال الله، قال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مَا جَعَلَكُمْ شَتَّانِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: 7).

3- تخير الكون للإنسان ليتمكن من تحقيق مبدأ الاستخلاف، قال تعالى: ﴿أَلَزَّرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ بِنَعْمَةٍ ظَاهِرَةً وَنَاهِيَةً﴾ (القمر: 20) وكذلك الانفاع بخيرات الكون، واستثمار ثرواته، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِيَّةَ اللَّهِ أَلَّا يَأْخُجَ لِيَمَا دَوَّ وَالظَّيْبَاتُ مِنْ أَرْزَقٍ﴾ (الأعراف: 32).

4- تحديد الطرق المشروعة لملكية المال، وواجباتها.

5- النشاط الاقتصادي عملاً وإنتاجاً واستثماراً واستهلاكاً وسيلة وليس غاية.

⁽¹⁾ محمد أبو يحيى، للاقتصادنا في ضوء القرآن والسنّة، ص 12-13.

⁽²⁾ محمد المبارك، نظام الإسلام (الاقتصاد)، ص 21-27.

6- النشاط الاقتصادي يقوم على التوازن الفعال بين المادة والروح، وبين الفرد والمجتمع، ودوران المال بين جميع الناس، قال تعالى: ﴿نَّا أَنْذَرْنَاكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَمْوَلًا مِنْ لَدُنْنَا لِلْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَةِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ كَيْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: 7).

7- النشاط الاقتصادي في الإسلام عبادة، يسأل عنها في الدنيا والآخرة.
8- المال الذي لا تؤدي حقوق الله وحقوق العباد منه كنز، دعى الإسلام إلى تحريمها؛ لأنها يضر بالمصلحة العامة، ويعيق التنمية الاقتصادية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْأَذْهَبَ وَالْفَضْةَ وَلَا يُنْفِثُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِمَا يَكْنِزُونَ إِلَيْهِ﴾ (التوبه: 34).

الملكية في الإسلام: مفهومها - أهميتها - أقسامها
مفهومها: هي حيازة الأموال من مصادرها المشروعة، بحيث تخول صاحبها حق الانتفاع والتصرف فيها وفق القيود الشرعية.

أهميتها: اهتم الإسلام بالملكية ونظمها، تجنباً لأمررين خطيرين هما:

1- خوفاً من طغيان المال على صاحبه، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَيَطْغَىٰ أَنَّ رَءَاهُ أَنْتَقَنَ﴾ (العلق: 7-6).

2- خطورة الفقر وأثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المدمرة على المستوى الفردي والجماعي والدولي.

أقسامها: وتنقسم الملكية إلى أربعة أقسام: (١)

1- الملكية الفردية: وينحصر فيها الحق تصرفاً وانتفاعاً بفرد معين، ومثالها: الأموال المنقوله وغير المنقوله، والأوراق النقدية والمالية.

(١) محمد المبارك، المرجع السابق، ص 103-105، عزمي السيد وأخرون، المرجع السابق، ص 316-317، صالح ذياب هندي، المرجع السابق، ص 126-127.

2- الملكية المشتركة: وهي التي تتعلق منفعتها بمجموعة من الأفراد، دون أن يشاركون فيها غيرهم، ومثالها: الشركات التي أقرها الإسلام.
ويطلق على كل من الملكية الفردية والمشتركة (الملكية الخاصة).

3- الملكية الجماعية: وهي الأمور التي تعود ملكيتها لل المسلمين عامة، دون اختصاصها بفرد معين، فتنفع بها جميع الناس، ومثالها: الأنهر والبحار والمحيطات والمياه الجوفية، والمدارس والمساجد والطرق العامة، والمعادن التي في باطن الأرض (الر kaz)، والماء والعشب والنار، والمراعي والغابات، مما يدخل تحت قوله ﷺ: (المسلمون شركاء في ثلات: الماء والكلأ والنار).⁽¹⁾

4- ملكية الدولة: وهي الأموال التي تعود ملكيتها للدولة، تتصرف بها بما يعود بالمنفعة على جميع رعاياها بمن فيهم أهل الذمة، ومثالها: موارد بيت المال، والمعادن الباطلنة (المناجم)، والمال الذي لا وارث له، وأرض الموات: وهي الأرض غير العامرة التي لا مالك لها، وأرض الحمى: وهي الأرض التي يحميها رئيس الدولة لمصلحة عامة، كأن يضع فيها مواشي الزكاة. (وقد ورد أن النبي ﷺ حمى النقيع).⁽²⁾

ويطلق على كل من الملكية الجماعية وملكية الدولة (الملكية العامة).

الملكية الفردية في الإسلام: مشروعاتها - أسبابها - قيودها - واجباتها
مشروعاتها:

دل على مشروعية الملكية الفردية آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِ مَالِهِ﴾ (الحقة: 28). وقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: 2).

⁽¹⁾ أخرجه أبو داود في سننه (3477)، وأحمد في مسنده (23132).

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (2370).

ومن السنة النبوية قوله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).^(١)

أسبابها:

تكتسب الملكية الفردية بالطرق المشروعة التالية:^(٢)

- 1- **التملك بالجهد الشخصي:** مثل: العمل البدني من صناعة وزارعة وتجارة، والعمل الذهني الفكري، كالتعليم، والقضاء والإدارة، وحيازة المباحثات كالصيد والاحتطاب وجمع الأعشاب، وجميع أنواع العقود التي شرعها الإسلام من بيع ومضاربة ومتازة، ومساقاة، وغير ذلك.
- 2- **التملك بدون الجهد الشخصي** مثل: النفقة، والميراث، والوصية، والهبة والوقف واللقطة بعد التعريف بها ولم نجد صاحبها، والزكاة والصدقات، والكافارات والنذر، والدية والتعويض عن المتألف.

قيودها:

في الإسلام الملكية الفردية بالضوابط والقيود الآتية:^(٣)

- 1- أن تكون بالطرق المشروعة: وقد سبق ذكرها.
- 2- أن تكون في أصل تملكها أو التصرف فيها أو الانتفاع بها ضمن الحدود الشرعية: بحيث لا تلحق الضرر الآخرين، ومن صور إلحاق الضرر استخدام بيت السكن معملاً للنجارة أو الحداوة، أو أن يحفر إنسان في أرضه الملاصقة

^(١) أخرجه مسلم في صحيحه (2564)، ولبو داود في سنته (4882)، وابن ماجة في سنته (3933).

^(٢) محمد المبارك، المصدر السابق، ص93-94، إبراهيم زيد الكيلاني وأخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ص198.

^(٣) محمد المبارك، المصدر السابق، ص77 وما بعدها، إبراهيم زيد الكيلاني وأخرون، المرجع السابق، ص199-200.

لغير أنه حفرة تؤدي إلى سقوط البيت المجاور، أو احتكار أقوات الناس الضرورية في وقت الحروب والمجاعات طمعاً في الربح.

3- مراعاة المصلحة العامة: بشرط أن لا تتخذ ذريعة للسلط على ملكية الأفراد وإيلالها، وذلك مثل: القيود التي توضع على الصناعات لمصلحة المستهلكين، أو حماية حقوق العمال.

4- حسن التصرف بالملكية: ومن تطبيقات هذا القيد الحجر على السفيه المبذور في ثروته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا الشَّعْمَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا﴾ (النساء: ٥).

5- عدم كنز المال: لأنه يؤدي إلى جعل المال غاية وهدف، وإعاقة دوراته، والله يقول: ﴿كُنْ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: ٧)، وهذه الآية تمثل قاعدة من قواعد التوازن المالي في المجتمع الإسلامي.

واجباتها:

أوجب الإسلام في الملكية الفردية الواجبات الآتية: (١)

1- النفقة: وتشمل كل من يجب عليهم النفقة مثل: الوالدين، والزوجة والأبناء العاجزين عن الكسب، والأقارب المحتججين.

2- الزكاة: وهي فريضة إجبارية من الله، تؤخذ من الأغنياء -وفقاً لشروط معينة- وتدفع لمستحقها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُتَعَذِّلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ لُؤْلُؤُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَرِيمَيْنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآتَنَ الْسَّبِيلِ﴾ (التوبه: ٦٠).

3- الصدقات المندوبة: قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ يُنْفَعُوكُمْ أَمْوَالُهُمْ بِالْيَلِ وَالنَّهَارِ سِرَّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا يَخْفُفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْرِثُوكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

(١) محمد المبارك، المصدر السابق، ص 81-85.

4- حقوق أخرى سوى الزكاة: كالتي تدفع في الحروب، والمجاعات، والفيضانات، والزلزال وغيرها من الكوارث، التي تحدث بشكل مفاجئ، وتسبب خسارة مالية كبيرة، لذا لم يحدد الإسلام هذه الحقوق لتشمل أي حق سوى الزكاة، وفي ذلك يقول النبي ﷺ (إن في المال حقاً سوى الزكاة).⁽¹⁾

خصائص النظام الاقتصادي:

ويمكن تلخيصها في الأمور الآتية: ⁽²⁾

- 1- إلهي المصدر.
- 2- أهدافه أخلاقية اجتماعية إنسانية، بعيدة عن الربح المادي.
- 3- أساسه العدالة وتكافؤ الفرص والتعاون والتكافل.
- 4- التنمية والاستثمار.
- 5- الثبات والمرونة.
- 6- الوسطية والتوازن: فالاقتصاد الإسلامي وسط بين الأنظمة الاقتصادية المعاصرة (الرأسمالية والاشراكية). فالمذهب الرأسمالي (الفردي) يشترك مع المذهب الاشتراكي (الجماعي) في أنهما يجعلان المال غاية وأساساً لتقييم البشر.

ويختلفان في أن النظام الرأسمالي يبيح الملكية الفردية مطلقاً، ويغلب مصلحة الفرد على الجماعة، أما النظام الاشتراكي فيمنع الملكية الفردية ويستبدلها بملكية الدولة، فهو يغلب مصلحة الجماعة على الفرد.

أما النظام الاقتصادي الإسلامي فيبيح الملكية الفردية ضمن قيود وواجبات، فهو يوازن بين مصلحة الفرد والجماعة، كما أن المال فيه وسيلة وليس أساساً للتقييم البشري.

⁽¹⁾ أخرجه الترمذى فى سننه (660-659)، وابن ماجة فى سننه (1789).

⁽²⁾ محمد المبارك، المصدر السابق، ص 33-34، 157-158.

المبحث الخامس

النظام القضائي في الإسلام

العدل اسم من أسماء الله الحسنى. وقد سمى الله به نفسه للتاكيد على أهمية إقامة العدل بين الناس. وحتى يتحقق هذا المطلب المهم لا بد من جهة تتولى تحقيقه. ونظام متكامل يرعى شؤونه. وهذا النظام هو النظام القضائي.

مفهوم القضاء:

هو بيان الحكم الشرعي وتنفيذه بين الناس على وجه الإلزام. والقضاء يختلف عن الإفتاء في صفة الإلزام التي يتصف بها القاضي في نفاذ حكماته على الناس. في حين أن فتوى المفتى غير ملزمة.

حكم القضاء: ^(١)

تولي القضاء فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الأمة. وإذا لم يقم به أحد ثلثة الأمة كلها.

ومن تعين في حقه تولي القضاء بحيث كان أكثر الناس علماً وورعاً وتحقيقاً لشروط القاضي فلم يتول هذه المهمة فهو آثم.

أما النصوص التي تشير إلى النهي عن تولي القضاء، وتبيّن أن القضاة ثلاثة لشأن في النار كما ورد في الحديث: (القضاة ثلاثة لشأن في النار، وواحد في الجنة، رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل جار في الحكم فهو في النار).^(٢) وعزوف كثير من علماء السلف عن تولي القضاء.

^(١) ابن قدامة، المغني (35/9)، عبد الكرييم زيدان، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ص.8.

^(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه (2315)، ولم يرو دلود في سننه (3573)، والترمذى في سننه (1322). وللنفط ابن ماجة.

فكل هذا لا يدل على حرمة تولى القضاء، وإنما الغاية منه بيان خطورة هذا المنصب والحرص على الدقة في القضاء، ولن يكون من يتولى هذا المنصب على حذر من الجور. فإن كان كذلك فله عند الله أجر عظيم. وهو ما أكد عليه الرسول ﷺ في قوله: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل".⁽¹⁾

شروط القاضي:⁽²⁾

- 1- الإسلام: فالقضاء نوع من أنواع الولاية، ولا ولاية لغير المسلم على المسلم.
- 2- العقل: فلا يجوز للمجنون تولي القضاء لأنّه فاقد للأهلية.
- 3- البلوغ: فلا يجوز لمن دون سن البلوغ تولي منصب القضاء.
- 4- العدالة: وهي صفة عامة تشمل الورع والتقوى وأداء الفرائض والبعد عن ارتكاب المحرمات والمعاصي والمسقات.
- 5- العلم بالأحكام الشرعية: وهذا يتطلب منه الإحاطة بعلوم الشريعة واللغة ليكون قادرًا على إصدار الأحكام الصائبة.
- 6- المعرفة التامة بأحوال الناس: وعاداتهم وواقعهم وبيوّعهم، لأن معرفة الواقع لها دور مهم في إصابة الحق في القضاء.
- 7- السلامة في البدن: بحيث يكون القاضي سالماً من العيوب البدنية فيكون سليم السمع والبصر والنطق. وهذه شروط كمال.
- 8- الذكورة: لا يجوز للمرأة تولي منصب القضاء عند جمهور الفقهاء.

⁽¹⁾ سبق تخرجه في المبحث الثالث (النظام السياسي).

⁽²⁾ ابن قدامة، المصدر السابق (9-40)، الكاساني، بداع الصنائع في ترتيب الشرائع (4/7)، الشربيني، مغني المحتاج (375/4).

أنواع القضاء:

وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قضاء الخصومات

وهو الإخبار بالحكم الشرعي على وجه الإلزام للفصل بين الأفراد في الخصومات المتعلقة بالعقود والمعاملات والعقوبات.

وهذا النوع لا بد فيه من تقديم الدعوى من المدعى على المدعى عليه، ويحتاج إلى مجلس القضاء، وهو متعلق بحق الأفراد وليس بحق الجماعة.^(١) ولقد كانت مهمة القضاء في عهد الرسول ﷺ خاصة به. فهو الذي كان يفصل في الخصومات.

ثم بعده ﷺ كان الخليفة يSEND هذا الأمر إلى أحد أصحاب النبي ﷺ. فلقد أSEND أبو بكر هذه المهمة إلى عمر بن الخطاب فبقي سنة لا يأتيه خصمان. وهذا مؤشر على أن المجتمع الذي تسوده معانى الإيمان تختفي منه النزاعات.

وفي عهد عمر رضي الله عنه عين في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية قاضٍ خاص بها ومن أشهر القضاة في تلك الفترات من تاريخ أمتنا أبو موسى الأشعري، القاضي شريح، وغيرهما.

ومن أجمل ما كتب حول القضاء وأحكامه في ذلك الزمان:

الرسالة التي كتبها عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- حيث قال: "آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من انكر. والصلح جائز بين الناس، إلا صلحًا أحل حراماً أو حرم حلالاً. ولا

^(١) عبد الكري姆 زيدان، المرجع السابق، ص119 وما بعدها، صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص98.

يمنعه قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.^(١)

النوع الثاني: قضاء الحسبة

الحسبة لغة: بكسر الحاء، الأجر واسم من الاحتساب أي احتساب الأجر عند الله تعالى. تقول فعلته حسبة.^(٢)

الحسبة أصطلاحاً: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله طلباً للأجر من الله.^(٣)

فالحسبة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وهذا واجب ثبت مثروعيته بنصوص كثيرة.

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرًا أَنْتُمْ أَنْزَلْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ كُنْتُمْ يَنكِحُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ومن السنة النبوية:

قال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان."^(٤)

(١) محمد عارف مصطفى، عمر بن الخطاب قاضياً ومجتهداً، ص ٩٠-٨٨.

(٢) مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (حسب).

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٦٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٩)، والترمذى في سننه (٢١٧٢)، والنسانى في سننه الصغرى (٥٠١١)، ولبو داود في سننه (١١٤٠، ٤٣٤٠)، وiben ماجة في سننه (٤٠١٣).

وقال ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو
لئو شِكْنَ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم".^(١)

صفات المحتسب:

يجب على من يمارس دور المحتسب أن تتوفر فيه الصفات الآتية:

- 1- ألا يقصد من الحسبة الرياء والسمعة.
- 2- أن يتحلى بالأخلاق الحسنة كالصبر والحلم والأناة.
- 3- أن يكون رفيقاً في تعبيره لطيفاً في حسبيه.
- 4- أن يراعي أحوال المنكر عليهم.
- 5- ألا ينكر في المسائل التي يستساغ فيها الخلاف.
- 6- أن لا يتبع عورات الناس.

مجالات اختصاص المحتسب:

يغلب على مجالات اختصاص المحتسب أنها تتعلق بحقوق الله على الأغلب وبالحقوق العامة ونذكر من هذه الاختصاصات الأمور الآتية:^(٢)

- 1- منع المنكرات بكل أنواعها.
- 2- متابعة أداء الناس لعبادتهم ومراقبة المقصر فيها.
- 3- المراقبة التامة للأسوق والأسعار وأهل الصناعات.
- 4- منع كل ما يضيق الناس في طرقاتهم.
- 5- حماية حياة الناس من كل ما يهددها ومراقبة المباني المتداعية للسقوط، وإلزام أصحابها بهدمها وإزالة أنقاضها.
- 6- حماية مرافق الدولة العامة من أي تعد.

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (2169) وقال عنه: حسن، وأحمد فى مسنده (23449).

(٢) الماوردي، المصدر السابق، ص240، ابن تيمية، الحسبة فى الإسلام، محمد سلام مذكر، القضاء فى الإسلام، ص147.

- 7- الإشراف على الأخلاق العامة.
- 8- مراقبة تحويل الحيوان والسفن ووسائل النقل فوق طاقتها.

النوع الثالث: ولاية المظالم
أو ما يسمى قضاء المظالم.

مفهوم ولاية المظالم:

هي أعلى هيئة قضائية في الدولة الإسلامية. يصل إليها التقاضي في مرحلته الأخيرة إذا لم يحسم النزاع والخصومة في المراحل الأولى، أو إذا قامت عقبات تمنع تنفيذ الحكم.

ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى وجود هذه الولاية هو حماية حقوق الناس من سلطات ذوي الجاه والنفوذ.

ولذلك يشترط في ولالي المظالم أن يكون جليل القدر، ذو هيبة، أمره نافذ، عفيف النفس، ورعاً^(١).

وهذه الولاية أول من تولاها راشد بن عبد الله حين عينه النبي ﷺ ولانياً للمظالم، ثم سار الخلفاء الراشدون على طريق الرسول ﷺ.

ومما يجدر ذكره أن ولاة المظالم كانوا لا يعقدون مجلس القضاء إلا بحضور الحماة والأعوان للقبض على من حاول الفرار. وحضور القضاة لاستلام ما ثبت عندهم من الحقوق. والفقهاء حتى يرجع إليهم في الأحكام، والكتاب ليسجلوا الواقع. وحضور الشهود لإثبات ما عرفوه عن الخصوم وما أمضاه ولالي المظالم من أحكام.

^(١) محمد سلام مذكر، المرجع السابق، ص 146.

اختصاصات والي المظالم: (١)

- 1- النظر في الدعوى المرفوعة على الولاة والحكام من أفراد الرعية.
- 2- عقوبة وتأديب عمال الدولة من كبار الموظفين.
- 3- رد ما اغتصبه الظالمو من المظلومين.
- 4- النظر في تظلم الموظفين والعامل إذا نقصت رواتبهم أو تأخرت.
- 5- متابعة كتاب الدواوين.

استقلال القضاء: (٢)

أول من حرص من الأمم على استقلال القضاء هم المسلمين. فلم يكن يُسمح حتى لرئيس الدولة أن يتدخل في حكم القضاة. بل كان يجلس عند القاضي كبقية الناس. خاصة إذا كان رئيس الدولة خصماً في قضية منظورة أمام القضاة. والمقصود باستقلال القضاء: أن لا يقع القضاة تحت تأثير سلطة أو شخص من شأنه أن يخرج القضاة عن هدفه الأساسي. وهو إقامة العدل بين الناس، وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

(١) صالح نياپ هندي، المرجع السابق، ص 103.

(٢) عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص 147، عبد الكريم زيدان، المرجع السابق، ص 19.

المبحث السادس

نظام العقوبات في الإسلام

حرص الإسلام على حماية الإنسان وكل حاجاته الحياتية. ونهى عن التعدي على نفس الإنسان أو ماله أو عرضه أو بيته أو عقله. وحتى تتحقق هذه الحماية بشكل مؤكّد، شرع الإسلام عقوبات رادعة لكل من يتعدى على الضرورات الخمس. وهذه العقوبات مختلفة باختلاف حجم الجريمة والتعدي الحاصل بسببها.

الغاية من العقوبة:

ومن فوائد هذه العقوبات إضافة إلى كونها تحمي المجتمع من الجريمة، وتحقق للإنسان الأمان في الدنيا. فإنها تظهر المجرم من الذنب، فإن عقب في الدنيا ظهر وأعفي من العقوبة في الآخرة، إذا رافق ذلك توبة صادقة منه. وهي أيضاً موانع قبل الفعل، وزواجر بعده.

مفهوم العقوبة:

هي الجزاء الذي توقعه الدولة على عصيان أمر الشرع. وعصيان أمر الشرع يعتبر جريمة، أو هي الجزاء الشرعي لمن خالف أوامر الله ونواهيه.⁽¹⁾

خصائص العقوبة في الإسلام: ⁽²⁾

1- تطبق على المجرم فقط: لقوله تعالى: ﴿وَلَا نُرِثُ وَارِثَةً وَرِثَةً أُخْرَى﴾ (الأنعام: 164). فلا يؤخذ إنسان بذنب إنسان آخر، لأن العدالة تقضي هذا.

⁽¹⁾ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي (609/2)، صالح نواب هندي، المرجع السابق، ص139.

⁽²⁾ محمد أبو زهرة، العقوبة، ص13.

2- الكل سواسية في العقوبة: فهي تطبق على الجميع بدون تفريق بين حاكم أو محكوم، أو غني أو فقير، أو رجل أو امرأة، ولذلك لما حاول أسامة بن زيد رض أن يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت عند رسول الله صل غصب رسول الله صل وقال: "أشفع في حد من حدود الله، إنما أهلك الدين قبلك أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".^(١)

الفرق بين العقوبة في الإسلام والقوانين الوضعية:

تتميز العقوبات الإسلامية عن غيرها في القوانين الوضعية بما يأتي:

1- العقوبات في الإسلام ثنائية الجزاء، أي أن الجزاء فيها دنيوي وأخروي. أما القوانين الوضعية فإن الجزاء فيها دنيوي فقط، لذلك فإن العقوبات الإسلامية أكثر ورعاً، لأنها تعتمد على الضمير الإنساني وخوفه من الله في الآخرة. ويؤكد ذلك أن دراسة موضوعية لتاريخ الأمة الإسلامية والفترات الزمنية التي طبقت فيها العقوبات بشكلها الصحيح بينت لنا ذلك. حيث أن الجرائم كادت تخنقى ولم تمارس الجرائم خاصة الكبرى منها ولعشرات السنين إلا فترات معدودة على الأصابع، وعكس ذلك فإن دراسة موضوعية لمجتمع من المجتمعات التي تطبق العقوبات الوضعية، بيّنت لنا أن الجريمة تزيد انتشاراً. بل إن نفس من وقعت عليه العقوبة مرات متعددة إلى السجن بجرائم أكثر خطورة من جريمته الأولى، لأن العقوبة لم تحقق الغاية منها وهي الردع.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (3475)، ومسلم في صحيحه (1688)، والترمذى في سننه (1430)، والنسائي في سننه الصغرى (4905).

2- أن العقوبات في الإسلام تطبق على الجميع دون استثناء، أما العقوبة في القوانين الوضعية فلا تطبق على جميع الناس، ولا سيما الأغنياء وأصحاب السلطة والتنفيذ.

3- العقوبات الإسلامية محددة (مقترنة)، لا تزيد ولا تنقص باستثناء جرائم التعزير التي يترك أمر تقديرها إلى القاضي ضمن ضوابط معينة لا يحق له تعديها. أما العقوبة في القوانين الوضعية فهي تزيد وتنقص حسب الظروف والأحوال.

4- العقوبة في الإسلام تطبق على الجريمة ولو تمت بالتراصي، أما القوانين الوضعية فلا تعتبر هناك جريمة مع التراصي.⁽¹⁾

أنواع العقوبات في الإسلام:

النوع الأول: الحدود

الحد في اللغة: هو الفاصل وال حاجز والمانع بين شيئين، حتى لا يتعدى أحدهما على الآخر.⁽²⁾

الحد في الاصطلاح: هو عقوبة مقدرة من قبل الشرع وجبت حقاً لله تعالى من أجل الصالح العام منصوص على تقديرها بالكتاب والسنة.⁽³⁾

الحدود في الإسلام ستة، هي:

أولاً- حد الزنا:

تعريف الزنا: هو وطء الرجل امرأة في قبلها، من غير نكاح ولا شبهة نكاح.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ عبد القادر عودة، المرجع السابق، (631-621/1)، محمد عقلة، نظام الإسلام (العبادة والعقوبة)، ص185.

⁽²⁾ ابن منظور، المصدر السابق، مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (حد).

⁽³⁾ محمد فؤاد جاد الله، أحكام الحدود في الشريعة الإسلامية، ص10.

⁽⁴⁾ الكاساني، المصدر السابق، ص41.

عقوبة الزنا:

تختلف عقوبة الزاني باختلاف حاله، فيفرق بين الممحضن وغير الممحضن على النحو الآتي:

1- الزاني أو الزانية غير الممحضين أي (غير المتزوجين) عقوبة كل واحد منها الجلد مائة جلدة لقوله تعالى: ﴿أَلِزَانِي وَالَّذِي فَاجْلُدُوا كُلَّ نَجْرٍ مِنْهَا مائة جلدة﴾ (النور: 2).

2- الزاني والزانية الممحضين أي (المتزوجين): عقوبة كل واحد منهم الرجم حتى الموت. وقد طبقت هذه العقوبة في عهد النبي ﷺ عندما رجم ماعز بن مالك والمرأة الغامدية، وكانا ممحضين.

شروط إقامة حد الزنا:

- 1- أن يكون الزاني عاقلاً بالغاً.
- 2- الاختيار بأن لا يكون مكرهاً على الزنا لأنه لا حد مع الإكراه.
- 3- أن تثبت جريمة الزنا ثبوتاً قطعياً بإقرار الزاني، أو شهادة الشهود العدول ويشترط لذلك أربعة شهود.
- 4- أن لا يكون هناك شبهة، كمن يطاً امرأة نائمة ظاناً أنها زوجته.

ثانياً- حد القذف:

القذف لغة: الرمي.

القذف شرعاً: هو الاتهام بالزنا من غير إثبات، الأمر الذي يوجب الحد على المقدوف.

مقدار عقوبة القذف:

من اتهم إنساناً بالزنا فتبين كذبه يسمى قاذفاً، وعقوبته مقدارها الجلد ثمانون جلدة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَيْتَمَةٍ مُهْلَكَةٍ فَاجْلُدُوهُنْ مَنِينَ جَلَدَهُ وَلَا تَقْبِلُوا مِنْ شَهَدَةِ أَبْدَأَ وَأَوْتَهُكُمُ الْفَسِيقُونَ ①﴾ (النور: 4).

ويلحق بالجلد عدم قبول الشهادة، وعقوبة معنوية أن القاذف يوصف بالفسق. وهذه الجريمة مما حرمَه الله وعده من الكبائر، لأن فيه إشاعة للفاحشة، وفيه إيلام للمقذوف وتشويه بسمعته. ولذلك عَدَ النبي ﷺ القذف من السبع الموبقات. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَمَ الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقدف المحسنات المؤمنات الغافلات".⁽¹⁾

شروط وجوب حد القذف:⁽²⁾

- 1 أن يكون القاذف بالغاً عاقلاً غير مكره.
- 2 أن يكون المقذوف ممن توفرت فيهم شروط الإحسان وهي العقل والحرية والإسلام والغفوة من الزنا سابقاً.
- 3 أن لا يأتي القاذف ببينة تؤيد قذفه والبينة في القذف هي أربعة شهود.

ثالثاً- شرب الخمر:

الخمر: اسم يطلق على كل ما يسكر ويغطي العقل من أنواع الأشربة المسكرة، سواء كانت من العنب، أو الحنطة، أو الشعير، أو غير ذلك، إذا تمت معالجته كحولياً، بحيث يحدث تشوه وطرها.

وهو من الكبائر وأم الخبائث. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءْمَنُوا إِنَّمَا الْخَنَّرُ وَالْبَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ يَرْجُسُونَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (2766)، ومسلم في صحيحه (6857)، والنسائي في سننه الصغرى (3701)، وأبو داود في سننه (2784). والله نسب للبخاري.

⁽²⁾ صالح نياپ هندي، المرجع السابق، ص 145.

وقال ﷺ: "كل شراب أسكر فهو حرام".^(١)

عقوبة شارب الخمر:

عقوبة شارب الخمر: ثمانون جلدة، وقد سئل علي بن أبي طالب عن رأيه في حد شارب الخمر، فقال: (يجلد ثمانين جلدة، فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذه، وإذا هذه افترى)^(٢) أي قذف وحد القذف ثمانون.

وقد شرع الإسلام العقوبة على شرب الخمر حفاظاً على العقل البشري الذي هو مناط التكليف.

ثبوت حد شرب الخمر:

يبتَثُت حد شرب الخمر بإحدى هاتين الوسائلتين:

الأولى: إقرار الشارب على نفسه.

الثانية: شهادة رجلين مسلمين عدلين.

ولا يقام الحد على السكران حتى يصحوا ليتحقق معنى الزجر والتنكيل.
والإنسان المؤمن الذي يقدر دوره في الحياة ويدرك أهمية الصلة بالله في إنارة طريقه لا يقدم على شرب الخمر وفي قلبه إيمان.

رابعاً- السرقة:

السرقة لغة: أخذ الشيء من الغير خفية.^(٣)

والسرقة اصطلاحاً: أخذ مال الغير خفيةً من حرز مثله بشروط.^(٤)

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه (242، 5585، 5586)، ومسلم في صحيحه (2001)، والترمذى في سننه (1863)، والنسائى في سننه الصغرى (5594-5597)، وأبو داود في سننه (3682)، وابن ماجة في سننه (3386).

^(٢) أخرجه مالك في موطنه (1587، 1588).

^(٣) ابن منظور، المصدر السابق، ماد (سرقة).

^(٤) الحسيني الحصني، كتابة الأخبار (2/ 116).

عقوبة السارق:

عقوبة السارق قطع اليد، لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُلُوهَا أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائد: 38).

ولقوله ﷺ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الشَّرِيفُ تُرْكُوهُ وَإِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْفَعِيلُ أَفَمْوَاهُمْ عَلَيْهِ الْحَدُّ، وَأَيْمَانُهُمْ لَوْ أَنْ فَاطِمَةَ بْنَتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقْطَعَ يَدِهَا".⁽¹⁾

كيفية القطع:

قطع يد السارق في المرة الأولى من مفصل الكف. واليد التي تقطع هي اليمنى، فمن سرق مرة ثانية تقطع رجله اليسرى من الكعب.⁽²⁾ ومن سرق مرة ثالثة تقطع يده اليسرى وفي الرابعة تقطع رجله اليمنى، وعند أبي حنيفة لا قطع في الثالثة وما بعدها، وإنما يُسجن حتى يتوب.

ثبوت حد السرقة على السارق:

يثبت الحد على السارق إما باعترافه، أو بشهادة شاهدين عدلين، بشرط عدم وجود شبهة، وأن تكون السرقة من حrz حقيقي وهو ما تحفظ به الأموال.

خامساً- حد الحرابة:

الحرابة هي الخروج على الناس لأخذ مالهم بالقوة وعلى سبيل المغالبة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق.

وتعُدُّ الحرابة من أبغض الجرائم، فناسبتها العقوبة القاسية التي نص عليها القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْسِلُوا أَوْ يُصْكِلُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَغُوا مِنْ الْأَرْضِ﴾

⁽¹⁾ سبق تخريرجه.

⁽²⁾ الجصاص، أحكام القرآن (62/4).

ذلِكَ لَهُمْ جُرْمٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَدَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِلَّا أَلَّا أَلَّا يَرَى تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ (المائدة: 33-34).

وَهُدُدُ الْحَرَابَةِ لِهِ تَفاصِيلُ كَثِيرَةٍ يَحْتَاجُ إِلَى صَفَحَاتٍ عَدَدُهُ مُعْظَمٌ، وَلَكِنْ نَفْتَصِرُ عَلَى
العُوْمَمِيَّاتِ فِي هَذَا الْحَدِّ بَدْلًا مِنْ التَّفاصِيلَاتِ.

عَوْقَبَةُ حَدِّ الْحَرَابَةِ :

مِنْ تَعْرِيفِ الْحَرَابَةِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذِهِ الْجَرِيمَةُ عَدَدُ جَرَائِمِهِ قَطْعَانٌ
الْطُّرُقُ السَّلْبُ وَالسُّرْقَةُ وَالْقَتْلُ وَهُنَّكَ الأَعْرَاضُ وَإِخْافَةُ النَّاسِ، وَالتَّعْدِي عَلَى أَمْنِهِمْ،
وَلَذِكْرٌ فِيْنَ عَوْقَبَةُ حَدِّ الْحَرَابَةِ تَخْتَلِفُ بِالْخَلْفِ وَاقْعُهَا وَمَا حَصَلَ فِيهَا عَلَى النَّحْوِ
الْتَّالِيِّ :^(١)

- 1- القَتْلُ إِنْ قَتْلَ قَاطِعَ الطَّرِيقِ فَقَطْ.
- 2- القَتْلُ مَعَ الصَّلْبِ إِذَا جَمَعَ قَاطِعَ الطَّرِيقِ بَيْنَ القَتْلِ وَأَخْذِ الْمَالِ.
- 3- القَطْعُ مِنْ خَلْفِ إِذَا أَخْذُوا مِنَ الْمَالِ قَدْ نَصَابَ السُّرْقَةُ وَلَمْ يَقْتُلُوا، حِيثُ
تَقْطَعُ الْيَدُ الْيَمِينِيَّةُ مَعَ الرَّجُلِ الْيَسِيرِيِّ.
- 4- النَّفْيُ إِذَا أَخْفَوْا النَّاسَ فَقَطْ وَلَمْ يَقْتُلُوا وَلَمْ يَأْخُذُوا مَالًا. وَالنَّفْيُ إِما
بِالْتَّغْرِيبِ عَنْ مَكَانِ إِقَامَتِهِ أَوْ بِالْحَبْسِ.

سَادِسًاً - حَدُّ الرَّدَّةِ :

الرَّدَّةُ لِغَةٌ: الرَّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ.

الرَّدَّةُ اصطلاحًا: الرَّجُوعُ عَنِ الإِيمَانِ أَوْ قَطْعُ الْإِسْلَامِ بِنِيَّةٍ كُفْرٌ أَوْ قَوْلٌ كُفْرٌ
أَوْ فَعْلٌ كُفْرٌ.^(٢)

عَوْقَبَةُ الْمَرْتَدِ :

لِلرَّدَّةِ عَوْقَبَةٌ أَصْلِيَّةٌ وَهِيَ القَتْلُ وَهُنَّاكَ عَوْقَبَاتٌ تَبَعِيَّةٌ.

^(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص 80.

^(٢) الحسني الحصني، المصدر السابق، (122/2).

والدليل على أن عقوبة المرتد القتل ما رواه ابن عباس رضي الله عنه لـ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: "من بدل دينه فاقتلوه".⁽¹⁾

وقوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، ولني رسول الله، إلا بإحدى ثلات: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة".⁽²⁾

تبليه: قبل تنفيذ العقوبة على المرتد لا بد من استتابته، فإن تاب فلا عقاب عليه بالقتل. وقد يعزز ابن رأى الحاكم أن في ذلك مصلحة. وإن لم يتبع أقويم عليه حد الردة. والاستتابة تكون بإعطائه مهلة ووعظه وإرشاده ونصحه، لأن الغالية من هذا الحد ليس قتل المرتد، وإنما هو توبته وعودته إلى رشده.

النوع الثاني: القصاص

القصاص في اللغة: مصدر قصّ يقص، من قص أثره إذا تتبع مواطن أقامه في المسير.⁽³⁾

القصاص في الاصطلاح: هو معاقبة المجرم بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح، فالقصاص يقوم على المماثلة والمساواة بين الجريمة والعقوبة.⁽⁴⁾

مشروعية القصاص:

استدل العلماء على مشروعية القصاص بأدلة عديدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (3017)، وابن ماجة في سننه (1458)، والنسائي في سننه الصغرى (4064)، وأبي داود في سننه (4070-4066)، وأبي داود في سننه (4351)، وابن ماجة في سننه (2532).

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (6878)، ومسلم في صحيحه (1676)، والترمذى في سننه (1402)، والنسائى في سننه الصغرى (4725)، وأبي داود في سننه (4352)، وابن ماجة في سننه (2534). وللنظر للبخاري.

⁽³⁾ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قص).

⁽⁴⁾ سعيد حوى، الإسلام، ص 23.

فمن القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ فَعَلَ مُؤْمِنًا خَطَا﴾ (النساء: 92).

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَبَرْزَأُوهُ جَهَنَّمُ خَلِيلًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَذَ اللَّهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 93).

- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِجَةٌ يَنْهَاذِي الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179).

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنُبَّ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَ﴾ (البقرة: 178).

ومن السنة النبوية:

- قوله ﷺ: "اجتبيوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرمت الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقدف المحسنات المؤمنات الغافلات".⁽¹⁾

- قوله ﷺ: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلات: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة".⁽²⁾

أنواع القصاص:

تنوع جرائم القصاص التي فيها اعتداء على حق العباد إما بالاعتداء على النفس بالقتل، أو الاعتداء على مادون النفس؛ كالجروح وقطع الأطراف.

⁽¹⁾ سبق تخرجه.

⁽²⁾ سبق تخرجه.

النوع الثالث: التعزير

التعزير في اللغة: مصدر عَزَّرَ يعزر عزراً وتعزيراً، بمعنى لام والعزر: اللوم. وعزره عن الشيء: منعه ورده وأدبه، وعزر القاضي المذنب، ضربه دون الحد الشرعي.⁽¹⁾

التعزير في الاصطلاح: هو تأديب على ذنب لم تضع له الشريعة عقوبة مقتضية من حد أو قصاص، والعقاب فيها مفوض إلى القاضي، معتمداً في ذلك على ظروف الجاني، ود الواقع الجريمة.⁽²⁾

دليل مشروعية التعزير:

عن أبي بردة الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لا يُجلد فوق عشر جلادات إلا في حد من حدود الله".⁽³⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تعزروا فوق عشرة أسواط".⁽⁴⁾

حكمة مشروعية التعزير:

لما كانت عقوبات الحدود والقصاص محدودة ومتناهية، بينما الحوادث والجرائم في كل عصر من العصور غير محدودة ولا متناهية. لذا كان من مقتضيات التشريع الإسلامي أن تكون هناك عقوبات لهذه الجرائم غير المنصوص عليها في الكتاب والسنة، أطلق عليها اسم (التعزير) وهو أمر لا بد منه لمحاربة جميع أشكال الجريمة ومكافحة الفساد في المجتمع.

(١) ابن منظور، المصدر السابق، مادة (عزر).

(٢) محمد عقلة، المرجع السابق، ص 270.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (6848)، 6850)، ومسلم في صحيحه (1708)، والترمذى في سننه (1463)، وأبو داود في سننه (4491)، وابن ماجة في سننه (2601).

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه (2602).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خصيصة المرونة والتطور التي يتمتع بها التشريع الإسلامي والثقافة الإسلامية.

أنواع الجرائم التي تستحق العقوبات التعزيرية:

هناك نوعان من الجرائم التي تستحق العقوبات التعزيرية وهي:

أ- جرائم فيها اعتداء مباشر على حقوق الله مثل انتهاك حرمات الدين كالإفطار في رمضان وما شابهها.

ب- جرائم فيها اعتداء مباشر على حقوق الناس الخاصة وال العامة مثل:
السب والتحقير والاحتيال والغش وأكل الربا.^(١)

ونستطيع القول بأن التعزير يكون في جميع الجرائم التي لم تنص عليها عقوبات جرائم الحدود والقصاص.

الفرق بين الحد والتعزير:

من خلال دراسة ما سبق نستطيع استخلاص الفروق التالية:

1- العقوبة في الحد مقدّرة في الكتاب والسنة، أما العقوبة في التعزير فهي مقدّرة قضاءً، أي من قبل القاضي بما يتاسب مع أحوال الجاني وملابسات الجريمة.

2- الحد يدرأ بالشبهات، والتعزير يجب معها.

3- الحد لا يجب على غير البالغ (الصبي) والجنون، بينما التعزير يصح عليه.

4- الحد لا تجوز الشفاعة فيه، أما التعزير فيجوز فيه ذلك.

^(١) سعيد حوى، المرجع السابق، ص633-640.

الفصل الثامن

الشبهات التي أثيرت حول الإسلام

والرد عليها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب والأصولية

المبحث الثاني: نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية

المبحث الثالث: تعدد الزوجات

المبحث الرابع: مكانة المرأة في الإسلام

المبحث الخامس: الطعن في الصحابة

الفصل الثامن

الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والرد عليها

لم تتوقف الشبهات والحملات الإعلامية والثقافية ضد الإسلام وأهله، وذلك منذ بدء الدعوة الإسلامية قبل أكثر من ألف وأربعين عام إلى يومنا هذا. ولئن كانت هذه المزاعم المغرضة تأتي من غير المسلمين، فإنها أصبحت اليوم تأتي من المسلمين وغيرهم على حد سواء، لا سيما في هذا العصر الذي أصبحت السيادة فيه لحرية الرأي والتفكير والنشر والصحافة والإعلام.

المبحث الأول

الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب والأصولية

حقيقة:

صور أعداء الإسلام أن الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب، والسيف والدم، إضافة إلى سوء الفهم والخلط بين الجهاد المشروع والإرهاب.

الرد على هذه الشبهة:

ويكمن ذلك في إبراز معاني مفردات هذه الشبهة، وكذلك المعاني الحقيقة للإسلام، وإزالة التشويه الذي أصاب فريضة الجهاد وذلك من خلال النقاط التالية:
أولاً: التطرف: هو محاورة الحد، والغلو في السلوك أو الفكر أو الاثنين معاً، أو هو تجاوز حد الاعتدال وعدم التوسط.

والغلو والتطرف والتشدد من الأمور المنومة في الإسلام، والمحرمة شرعاً. دل على ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حُذِّرَ اللَّهُ فَارِزَّكَهُمُ الظَّلَمَرْءَ﴾ (البقرة: 229) وقوله تعالى:

﴿فَلَمْ يَأْتِ أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَقْتُلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَنْبِئُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ فَذَضَّلُوكُمْ بِمِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوكُمْ كَثِيرًا وَضَلَّوكُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: 77).⁽¹⁾ فكيف يعيّب الإسلام على أهل الكتاب غلوهم في دينهم، ثم بعد ذلك يدعو إلى الغلو والتطرف؟! ومن السنة النبوية: قوله ﷺ: "هلك المتطعون، قالها ثلاثاً"⁽²⁾ والتطعّم هو: التعمّق ومجاوزة الحد، قال النووي (هلك المتطعون: أي المتعمّقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم).⁽³⁾

وقوله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْغَلُوُ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مِنْ كَانَ فِيْكُمُ الْغَلُوُ فِي الدِّينِ".⁽⁴⁾

وأما العنف: فهو ضد الرفق واللين، وهو الشدة، وقد حث الإسلام على ترك العنف والأخذ بالرفق في الأمور كلها، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك، منها قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَيْسَ بِعِصْمَانٍ عَلَى مَا سَوَاهُ".⁽⁵⁾

وأما الإرهاب: فمعناه لغة: الخوف والرّهبة، والدّقة واللّفحة، والإزعاج واللّهافة.⁽⁶⁾

والإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب، لتحقيق أهدافهم السياسية.⁽⁷⁾

⁽¹⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2670).

⁽²⁾ صحيح مسلم بشرح النووي، ج 16، ص 220.

⁽³⁾ أخرجه النسائي في سننه الصغرى (3059)، وابن ماجة في سننه (3029).

⁽⁴⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2593).

⁽⁵⁾ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، الزيبيدي، المصدر السابق، مادة (رّهبة).

⁽⁶⁾ مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، مادة (رّهبة).

وأما اصطلاحاً فهو: العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغية على الإنسان (بيته، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وجميع صور الحرابة.⁽¹⁾ والإرهاب من المصطلحات المعاصرة التي أفرزتها لنا الثقافة الغربية الوافدة، وشهدتها الساحة الفكرية، والإعلامية، والسياسية، وقد أصبح الإرهاب اليوم ظاهرة تشغل الرأي العام المحلي والعالمي.

وأما الأصولية: فهي من الألقاب والمصطلحات التي مر بها مصطلح (الإرهاب) عبر محطاته، وتعني في الإسلام الرجوع إلى الأصول وهي الكتاب والسنة والتمسك بهما، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الأصولية ليست إرهاباً. ثانياً: سبق الإسلام -قبل أكثر من (1400) عام- كل القوانين المعاصرة في مكافحة الإرهاب والأعمال الإرهابية، وذلك عندما حرم جميع الأعمال التي من شأنها أن تلحق الأذى والضرر والظلم بالإنسان، ومنها:

أ- قرر الإسلام حرمة الدماء والأموال والأعراض لجميع الأنسنة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: 151). وقد شنع القرآن الكريم على من قتل نفساً بغير حق، وجعل ذلك مساوياً لقتل الناس جميعاً. قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلُوكُنْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانُوا مَنْ قَاتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَخْيَاهَا فَكَانُوا أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32). قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: "فَإِنْ دَمَاعُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحِرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا".⁽²⁾

⁽¹⁾ فتاوى مجتمع الفقه الإسلامي، الدورة 16، ص 355.

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (67، 1739، 1742، 6043، 6785، 7078)، ومسلم في

صحبيه (1679)، والترمذى في سننه (3087، 2159).

ولعزم حرمة الدماء، جعلها الله تعالى أول ما يقضى فيه بين الخلق يوم

القيمة. قال ﷺ: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيمة، في الدماء".⁽¹⁾

بـ شرع الإسلام عقوبة الحرابة، وهي (قطع الطريق والإفساد في الأرض). وتمثل هذه الجريمة في السلب والإخافة وتروع الآمنين، والإرهاب بشتى صوره وأشكاله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَّ أُولَٰئِنَّ مُحَارِبُوْنَ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُعَذَّبُوا أَوْ يُصْكَلُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ جَلَّفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (المائدة: 33) وقال ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً".⁽²⁾

جـ حرم الإسلام تروع الإنسان وإخافته وإزعاجه. كما نهى ﷺ عن حمل السلاح ضد المسلمين وتهديده به فقال: "من حمل علينا السلاح فليس منا".⁽³⁾ وقال: "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار".⁽⁴⁾ ومعنى ينزع: أي يرمي ما في يده ويتحقق ضربه ورميته، وهو من الإغراء؛ أي أن الشيطان يغري حامل السلاح فيحمله على تحقيق الضرب به.

دـ حرم الإسلام الفساد والأذى والضرر بجميع أنواعه. فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّا مَعْنَى مُضْلِلُوْنَ ﴿١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿١١﴾﴾ (البقرة: 11-12) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيَهْلِكُ الْحَرَثَ وَالسَّلْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٥﴾﴾ (البقرة: 205).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (6533)، ومسلم في صحيحه (1678)، وابن ماجة في سننه (2615، 2617)، وللنقط لمسلم.

(2) أخرجه أبو داود في سننه (5004).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (6874)، ومسلم في صحيحه (98).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (7072)، ومسلم في صحيحه (2617).

وحرر الإسلام من الفتن وأمر بالبعد عن أماكنها. قال تعالى: ﴿ وَأَنْهَا فِتْنَةٌ لَا
تُصْبِحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: 25).

ثالثاً: النداء القرآني العام للدخول في السلم (السلام). قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ إِمَّا مَسُوا أَذْخُلُوا فِي الْسَّلَامِ كَافَةً ﴾ (البقرة: 208).

رابعاً: عدم استخدام القوة والإكراه والضغط النفسي للدخول في الإسلام. قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ ﴾ (البقرة: 256). ولا يوجد في الإسلام (قرآنه وسننه) نص واحد يبيح قتل الإنسان لعدم دخوله في الإسلام، أو لأنه يعتقد بیناً غير الإسلام. وهذا واضح في تحرير الإسلام لمبدأ حرية الاعتقاد. قال تعالى: ﴿ وَقُلِّ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ ﴾ (الكهف: 29).

خامساً: الفرق بين الجهاد والإرهاب. إذا كان الإرهاب يعني ممارسة العدوان لأهداف مشروعة أو غير مشروعة، فإن الجهاد شرع لرد العدوان ومقاومة الإرهابيين المعتدين، فالجهاد والإرهاب نقىضان لا يلتقيان أبداً.

ويعد الجهاد من الموضوعات الهامة والحيوية في الإسلام، والتي تتطلب وضوهاً خاصة في هذا العصر، وتداعيات الواقع التي أدت إلى تشويه صورة الجهاد، فليس كل عنف وإرهاب جهاداً، وليس كل تطرف وتشدد إسلاماً حتى ولو اكتسى الذي الإسلامي.

الفرق بين الجهاد والإرهاب:

ويمكن استخلاص الفروق التالية بين الجهاد والإرهاب، وذلك من حيث:⁽¹⁾

المشروعة: فالجهاد عمل مشروع، بل هو ذروة سلام الإسلام، وأما الإرهاب فهو عمل إجرامي ممنوع، فيه عداون على الأنفس والأعراض والأموال.

⁽¹⁾ مطيع الله بن دخيل الله الحربي، الإرهاب في الإسلام (حقيقة أم افتراء)، ص 42-44.

المضمون: فالجهاد حرب منظمة، منضبطة بقواعد وأسس شرعية محددة، وأما الإرهاب فهو إجرام عبئي تخريبي، لا يحكمه قواعد، ولا يضبطه ضوابط.

المحل (الفئة المستهدفة): فالكفار المحاربون المعتدون هم المستهدفون في الجهاد دون سواهم من الكفار الموادعين والمسالمين. وأما الإرهاب فيستهدف جميع الفئات؛ الكافر المسلم وغيره، والذمي، والمسلم؛ سواءً أكان رجلاً أو امرأة أو طفلاً أوشيخاً هرماً.

(وبناءً على ما سبق فإن الإسلام لا يعرف الإرهاب بالمفهوم المعاصر؛ والذي يشتمل على القتل والتدمير والتخريب وقتل الأبرياء، وتروع الآمنين ظلماً وعدواناً، لأغراض سياسية أو شخصية أو عنصرية).⁽¹⁾

⁽¹⁾ نصر فريد واصل، التحديات والتهديدات التي تواجه الآمنين، ص12.

المبحث الثاني

نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية

الطلاق هو (حل رباط الزوجية الصحيحة، في الحال أو المال، بعبارة تفيد ذلك صرامة أو دلالة، تصدر من الزوج أو من القاضي بناء على طلب الزوجة).⁽¹⁾ والطلاق مشروع بالكتاب والسنة، أما من القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿أَطْلَقَ مَرْأَتَهُ فَإِنْسَاكٌ يَمْرُدُ فِي أَزْتَرِيجٍ يُلْخَسِن﴾ (البقرة: 229). ومن السنة النبوية أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر للنبي ﷺ قال: (ليراجعها).⁽²⁾ وقد أثير حول نظام الطلاق في الإسلام شبهات منها:
أولاً: الطلاق يؤدي إلى تشتيت الأسرة، وزيادة التشرد والانحراف والجريمة.
ثانياً: جعل الطلاق بيد الرجل، فيه ظلم للمرأة، وإهدار لكرامتها.

الرد على الشبهة الأولى:

إن الطلاق لا يؤدي إلى التشتيت والتشرد للأسباب التالية:
1- وضع الإسلام موانع أمام الرجل إن أراد الطلاق؛ ومنها: الترغيب في الصبر على ما يكره الزوج من زوجته، لما للصبر من فوائد وثواب عند الله، وبما يرجى للمرأة المكروهه أن يكون لها ولاداً صالحاً يسعد أبوه وأسرته.
وقد حرم الله الجنة على المرأة التي نسالت زوجها الطلاق، قال ﷺ: "إِنَّمَا
امرأة سالت زوجها طلاقها من غير ما يأس فحرام عليها رائحة الجنة".⁽³⁾

(1) محمد محي الدين عبد الحميد، المصدر السابق، ص 239-240.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (5252)، ومسلم في صحيحه (1471).

(3) أخرجه الترمذى في سننه (1187) وقال عنه: حسن، وليبو دلود في سننه (2226)، وبين ماجة في سننه (2055).

- 2- لما كان الهدف الأول والأسمى من التشريع الإسلامي هو رفع الحرج والمشقة عن الناس، شرع الله الطلاق مقصداً حاجياً تشريعياً، والذي إن لم يأخذ به المسلم لأوقع نفسه في الحرج والمشقة.
- 3- الطلاق هو العلاج الأخير بعد سلسلة من الوسائل والإجراءات الوقائية للإصلاح بين الزوجين حين الشعور بالشقاق والنزاع، والتي كنا قد أشرنا إليها في النظام الاجتماعي الإسلامي من الفصل السابع.
- 4- إذا فشلت وسائل الإصلاح بين الزوجين، أباح الإسلام أن يطلق الرجل زوجته طلقة واحدة في بداية الأمر تسمى (طلقة رجعية) يملك من خلالها الزوج إرجاع زوجته بدون عقد ومهر جديدين، وبدون رضاها، ما دامت في العدة.
- 5- الدعوة إلى إلغاء الطلاق تؤدي إلى الإقلال من حالات الزواج، لأن من عرف أن زواجه سجن لا يستطيع الخروج منه في حالة استحکام الخلاف والشقاق، فلن يختار الزواج، وسيكون البديل عنه أمران، إما الإباحية وإما الحرمان، وكلاهما مرفوض في الإسلام.
- 6- الادعاء بأن الطلاق يؤدي إلى زيادة نسبة التشرد والانحراف ادعاء باطل، فالسبب الحقيقي لذلك هو عدم الرقابة من قبل الآباء على الأبناء، وإن انتهاء الحياة الزوجية لا تعني ترك الأبناء دون رعاية، بل تبقى واجبات الأبوين من حضانة ونفقة وولاية مستمرة.

الرد على الشبهة الثانية:

جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل للأسباب التالية:

- 1- الرجل له حق القوامة على المرأة. قال تعالى: ﴿أَرْبَأْلُ قَوْمُوكَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَنْوَالِهِمْ﴾ (النساء: 34).
- 2- إن الرجل أكثر اتزاناً وإدراكاً في تقدير الأمور وعواقبها، على عكس المرأة التي عُرف عنها تأثرها بالظروف الطارئة والعارضية، وخضوعها لعواطفها

وإنفعالاتها المزاجية الآنية. فلو جعل الطلاق بيد المرأة لشاهدنا النساء مزدحمات على أبواب المحاكم الشرعية يردن الطلاق لأتفه الأسباب، كما يحصل في الخلع. ولأدئ ذلك إلى القضاء على كثير من الأسر.

3- يؤدي ذلك إلى تقليل عدد حالات الطلاق، بعكس فيما لو كان الطلاق بيد المرأة، فكون الزوج هو الوحيد الذي يتحمل قدرأً كبيراً من المال سواء للزواج أو الطلاق؛ فإن هذا الأمر يدعوه إلى التروي وعدم الاستعجال، فلا يلجأ إلى الطلاق لسرعة غضب، أو لسبب غير مهم، أو لمجرد كره الزوجة.

4- أعطى الإسلام المرأة حق طلب الطلاق من القاضي الشرعي، في حالة الشقاق والنزاع، أو كان الزوج مفقوداً، أو غائباً أو مسجوناً، أو معسراً، أو مريضاً مرضياً سارياً ومعدياً، أو مريضاً جنسياً، أو عقيماً.

المبحث الثالث

تعدد الزوجات

أثار أداء الإسلام شبهة حول تعدد الزوجات مفادها أن إباحة التعدد أدى إلى ظلم المرأة واحتطاطها، وهدر كرامتها، وأدى ذلك بالمقابل إلى حد التسلط والشهوانية عند الرجل.

ويمكن الرد على هذه الشبهة بالنقاط التالية:

1- الأصل في الزواج أن يكون بواحدة، وأن التعدد استثناء. وعليه فإن الإسلام لا يدعو ولم يوجب تعدد الزوجات. ولم ينذر إليه، وإنما أجاز مشروعيته، بشرط أن لا يتجاوز العدد (أربع نساء)، وأن يكون الزوج قادرًا على العدل. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَعْفَتُمْ لَا نُقْسِطُوا فِي أَيْتَنِي فَإِنِّكُمْ مَا كَاتَبَ لَكُمْ مِنَ الْأَيْسَارِ مَنْ قَرَنَ وَلَكُنَّ وَرَبِيعٌ فَإِنْ جَعْفَتُمْ لَا تَمْلِئُوا فَوْجَيْدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُمْ ذَلِكَ أَذَنَ لَا تَمْوِلُوا ﴾ (النساء: 3) فالنص القرآني الذي أباح تعدد الزوجات بالنسبة نص واحد، وهو متعلق باليتمات اللاتي ترببن في كفالة الرجل، فيحذره القرآن الكريم من ظلمهن إذا تزوج منها.

2- التعدد ظاهرة اجتماعية موجودة في جميع العصور، إلا أنها تختلف في التسمية من عصر لأخر، فإن كان يسمى في التشريع الإسلامي بـ(تعدد الزوجات) فإنه يسمى في التشريعات الأخرى بتعدد الصديقات، أو العشيقات، أو غير ذلك. فتعدد الزوجات يحد من ظاهرة انتشار هذه المسميات.

3- التعدد ضرورة اجتماعية: فالعدد يكون مطلوبًا ضروريًا في الحالات التي تقضي تحقيق التوازن الاجتماعي بين عدد النساء والرجال في المجتمع، ومن الحالات التي ينقص فيها عدد الرجال؛ الحروب، والسفر، وزيادة نسبة مواليد الإناث، فيكون التعدد هو السبيل الآمن والإجراء الوقائي من الوقوع في الفاحشة.

4- التعدد ضرورة أسرية وإنسانية: فهو الطريق الأفضل نفسياً وشرعيًا للزوجين معاً، فالعقل السليم يرى أنه من الأفضل قبول زوجة ثانية في العلن بدلاً

من أن تبقى الزوجة الأولى مخدوعة بعشيقه زوجها، وكذلك في حالة الزوجة العقيمة، والمريضة مرضًا يتعذر معه القيام بالواجبات الزوجية، فالأكرم لها أن تُحْتَ رعاية زوجها وعانياهه، بدلاً من طلبها الطلاق الذي لن يرحمها من

5- يحرم التعدد في حق من تأكّد له الظلم وعدم تحقيق العدل إن تزوج بأخرى قال تعالى: ﴿فَإِنْ خَفَتُمُ أَلَا نَمِلُوا فَوَيْدَةً﴾ (النساء: 3)، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾ (النساء: 129).

6- التعدد هو لصالح المرأة قبل أن يكون لصالح الرجل. فتصور أخي القارئ حال الأخت أو البنت التي فاتها قطار الزوجية، أو حال الأرملة أو المطلقة، فهل سيقدم على الزواج من أولئك شاب في مقتبل العمر؟! فلو لم يشرع التعدد فماذا سيكون مصير أولئك النساء اللاتي قدّر لهن أن يكن بلا أزواج؟!

المبحث الرابع

مكانة المرأة في الإسلام

قرر الإسلام مكانة المرأة ناظراً إلى إنسانيتها وأنوثتها، فأعطاهما جميع حقوقها المنشورة (الإنساني، والشرعي، والاجتماعي، والسياسي). بعد أن عانت وضعها مهيناً، بائساً، في جميع الحقوق، وخاصة عند الرومان واليونان والهنود واليهود والنصارى، يقول القديس سوستن: المرأة شر لا بد منه. ولعهد قريب قبل الإسلام، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى حد الكآبة، والخجل والتور العصبي بمجرد سماعه نبأ ولادة الأنثى. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثَىٰ طَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَلِيمٌ﴾ (٢٨) ينزوي من القبور من شدة ما يُبَشِّرُ به، أي يُكَفِّهُ على هُونٍ آخر يُدَشِّهُ في الرُّأْبِ أَلَّا سَاءَةَ مَا يَعْكُمُونَ (٢٩) (النحل: 58-59).

الحقوق التي فرق فيها الإسلام بين الرجل والمرأة:

فرق الإسلام بين الرجل والمرأة في بعض الأمور، التي اتخذها أعداء الإسلام من المستشرقين والمستغربين وغيرهم، شبهات ثار حولها الجدل والنقاش، مستغلين بذلك عاطفة المرأة، ونقص عقلها ودينها، فادعى هؤلاء أن الإسلام ظلم المرأة وأهدر حقوقها بخصوص هذا التقرير. وهل يعقل أن يأتي غير المسلم (الحاقد) ليدافع عن الإسلام وأهله؟!

ومن هذه الحقوق التي فرق فيها الإسلام بين الرجل والمرأة:

أولاًـ الشهادة:

والأصل فيها قوله تعالى ﴿وَأَنْتَ شَهِيدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجُلَيْكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَ كَانَ مِنْ رَأْضَنَّ مِنَ الشَّهِيدَاءِ أَنْ تَعْنِلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِلَيْهِمَا الْأَكْرَمُ﴾

(البقرة: 282) فبيّنت هذه الآية أن شهادة امرأتين تقوم مقام شهادة رجل واحد. ونرد على ذلك من خلال النقاط التالية:

1- **الثبت في الأحكام**: فلما كانت وظيفة المرأة الأساسية هي الأمومة والحضانة، ورعاية الزوج والأولاد -والتي يكون محلها البيت- فإن ممارستها لشؤون الحياة العامة مثل الحقوق والمعاملات يكون أقل، ويشترط في الشهادة اليقين وإلا تحرم وت رد.

2- **النسيان**: وهو ما ذكرته الآية السابقة، بسبب طبيعة المرأة الأنوثية، ووظيفتها المرتبطة بالأمومة والطفولة التي تحول دون شهودها ما يجري بين الناس، فإن شهدت وضلت في شهادتها تذكرها المرأة الثانية.

3- **الأمور النسائية الخاصة**: نجد الإسلام هنا لم يقبل شهادة الرجل، وإنما اكتفى بشهادة امرأة واحدة مثل: إثبات الولادة، أو الثيوبة، أو البكارية، أو الرضاع أو العيوب الجنسية، وغير ذلك من الأمور الخاصة بالنساء.
وأما الحدود والقصاص فلا تقبل فيها شهادة المرأة إطلاقاً عند جمهور الفقهاء، بسبب العاطفة التي تغلب العقل في أكثر الأحيان.

ثانياً- الميراث:

والأصل فيه قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَصْلَ الْأَنْثَيَيْنِ﴾ (النساء: 11) فقد أعطى الإسلام المرأة من الميراث نصف نصيب الرجل. وللرد على هذه الشبهة نقول:

1- راعت الشريعة الإسلامية في ميراث الرجل والمرأة مبدأ (الغرم بالغم)، فلما كانت أعباء الرجل وتكليفه أكثر من المرأة، ناسب أن يكون ميراثه ضعف ميراث المرأة. فهو المطالب بالعمل ودفع المهر والنفقة على من تجب عليه، بينما لا تلزم المرأة بشيء من هذه الواجبات المالية، وليس من العدل التساوي في الحقوق، مع الاختلاف في الواجبات.

2- ليس دائماً يكون نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة، بل هذا يكون في الوضع العام فقط (الجتماع الأخوة والأخوات) فيأخذ الأخ ضعف أخيه. وإنما هناك حالات خاصة يكون فيها نصيب البنت النصف بشرط أن تكون واحدة، وأن لا يكون معها آخر. وحالات يكون فيها ميراث الرجل والمرأة متساوياً، مثل ميراث كل من الأب والأم السادس إذا كانت للميت فرع وارث، ويرث كل من الأخ أو الأخ لأم السادس إذا انفرداً، بشرط عدم وجود الأصل والفرع الوارث. ويشترك الأخوة لأم (ذكوراً وإناثاً) جميعاً في الثلث.⁽¹⁾

ثالثاً- دية المرأة:

كلمة لا بد منها: كثير من كتب الثقافة الإسلامية، وغيرها من الكتب الأخرى، عندما تتحدث عن موضوع (دية المرأة). لا نجد لها تشير إلى الدليل الشرعي في ذلك، مثلاً أشارت إلى قضايا (الميراث، والشهادة، ورئاسة الدولة). وإذا أشارت هذه الكتب إلى الدليل، فإنها غالباً ما تستشهد (بكتاب عمرو بن حزم الطويل الذي أرسله الرسول ﷺ إلى أهل اليمن، يبين فيه مقادير الفرائض والسنن والديات)⁽²⁾ وينسبون إليه عبارة (دية المرأة نصف دية الرجل).

والذي يسود (الباحث)⁽³⁾ أن ينوه له، وينبه عليه هو: أن هذه العبارة ليست موجودة أصلاً في حديث عمرو بن حزم، وإنما موجودة في حديث معاذ بن جبل الذي يقول فيه: "دية المرأة نصف دية الرجل".⁽⁴⁾ ولم يثبت إسناد هذا الحديث.

⁽¹⁾ راجع الآيات 11 و12 من سورة النساء.

⁽²⁾ النسائي، السنن الصغرى، الأحاديث (4861-4857).

⁽³⁾ خالد إبراهيم الفتاني.

⁽⁴⁾ أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ج 8، ص 95.

قال ابن حجر: (وهذه الجملة ليست في حديث عمرو بن حزم الطويل، وإنما أخرجها البيهقي عن معاذ بن جبل، وقال: إسناده لا يثبت عنده)⁽¹⁾ وأما الدليل على أن دية المرأة نصف دية الرجل هو الإجماع.

قال ابن المنذر (أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل).⁽²⁾ والإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي.

وهنا أثار أعداء الإسلام شبهة مفادها: لماذا لم تتساوى المرأة في الديمة كما تساوت في الكرامة والأهلية والإنسانية. وللرد على هذه الشبهة نقول:

1- إن هذه الديمة تختص بالقتل الخطأ وشبه العمد، أما القتل العمد فيوجب القصاص من القاتل سواء كان القاتل أو المقتول رجلاً أو امرأة.

2- الخسارة المادية المترتبة على فقدان الرجل أكبر من الخسارة المترتبة على فقدان المرأة، إذ أن الرجل هو المعيل الأساسي لأسرته، فنظرًا للتفاوت في الضرر، كان التفاوت في مقدار التعويض. فالدية ليست ثمناً للإنسان.

رابعاً- رئاسة الدولة:

والأصل فيها قوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».⁽³⁾ وقد قال الرسول ذلك عندما علم باستخلاف ابنة كسرى على قوم والدها بعد هلاكه. وعليه تكون رئاسة الدولة محصورة بالرجال للأسباب التالية:

1- الحكم في الإسلام تكليف لا تشريف، فهناك واجبات لرئيس الدولة -والتي تقدمت في البحث الثالث من الفصل السابع- تقف حاجزاً أمام رئاسة المرأة للدولة.

⁽¹⁾ ابن حجر العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعى الكبير، ج 4، ص 34.

⁽²⁾ ابن المنذر، الإجماع، ص 147، وابن قدامة، المغني مع الشرح الكبير، ج 8، ص 313.

⁽³⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (4425)، والترمذى في سننه (2262)، والنسائي في سننه الصغرى (5390).

2- رئاسة الدولة تحتاج إلى مشقة الجهد البدني والعقلي، وإلى السفر خارج الدولة، والاختلاط والخلوة وهذا محرم شرعاً في الإسلام.

3- طبيعة تكوين المرأة الفسيولوجي النفسي والعاطفي، لا يسمح لها بهذا المنصب، ويشهد علم الأحياء والتشريح لذلك.

فقد أكد أدا أن المرأة تطرأ عليها تغيرات مدة حيضها؛ ومنها: انخفاض الحرارة، بطء النبض، هبوط ضغط الدم، ضعف قوة التنفس، تكاسل الأعضاء، وبالتالي نقل قوة تركيز الفكر، وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل، حيث لا تستطيع قوى المرأة أن تتحمل من مشقة الجهد، ما تتحمله في بقية الأحوال.^(١)

ولا مانع أن تستشار المرأة، وتتبدى رأيها في الأمور التي تخص الدولة، لأن كثيراً من النساء راجحات في العقل والتفكير، وفي ذلك تحقيق لحقهن السياسي الذي كفله لهن الإسلام. فقد ثبت أن أم سلمة -رضي الله عنها- زوج الرسول ﷺ أسعفت الرسول برأيها المشهور في صلح الحديبية، وكذلك ثبت عن كثير من الصحابة رجوعهم إلى نساء الرسول ﷺ في كثير من الأمور.

(١) أنور الجندي، معلمة الإسلام، ج 1، ص 451.

المبحث الخامس

الطعن في الصحابة

قبل أن نبين مكانة الصحابة -رضي الله عنهم- وأفضليتهم وخيرتهم على بقية الأجيال، وقبل أن نرد على الذين يطعنون فيهم لا بد من بيان المقصود بالصحابي.

تعريف الصحابي:

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك. وثبت اللقب إما بالتواتر المقطوع به كصحبة الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم من كبار الصحابة، أو يثبت بالاستفاضة والشهرة. أو من روى عنه الصحابة أنه منهم، أو من روى أحد التابعين عنه أنه من الصحابة، أو إذا كان ثابت العدالة والمعاصر بقوله أنه صحابي.

مكانة الصحابة:

الصحاباة هم خير جيل مر في تاريخ البشرية. ولذلك قال ﷺ "خير أمتى قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".^(١) وقد جمع هذا الجيل محسنات الخلق، فكانوا خير من كمل هذه الرسالة إلى البشرية ويوفيها حقها. فقد ضربوا أروع الأمثلة في التضحية وبذل الجهد والورع والزهد والطاعة التامة لله ولرسوله، حتى أن القارئ لسيرهم ولأعمالهم يعجب كل العجب لهذا التميز والفرادة. ولا يملك إلا أن يؤدي لهم تحيّة الإجلال والتقدير. ويكتفى أن الله شهد لهم بالأفضلية في أكثر من موطن منها:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (3650)، ومسلم في صحيحه (2533)، والترمذى في سننه (2222)، والنسانى في سننه الصغرى (3840)، وأبو داود في سننه (4657)، واللّفظ للبخاري ومسلم.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يَأْتُوكُمْ حَتَّىٰ الشَّجَرَةَ فَلَمْ يَأْتِ فُلُوْجَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُكُمْ عَلَيْهِمْ وَآتَهُمْ فَتَحًا فَرِبِّا ﴾ (الفتح: 18).

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ ثَابَ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَصْسَارِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ (التوبه: 117).

وقال ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فامسكوا، وإذا نكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا".⁽¹⁾

وقال ﷺ محذراً من شتم الصحابة: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مذ أحدهم ولا نصفيه".⁽²⁾

الرد:

لقد كثر الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم - على مر العصور من قبل أعداء الدين أو الجاهلين بمكانة الصحابة ومنزلتهم.

وكان هؤلاء يقصدون من طعنهم النفاذ إلى الطعن بالدين الإسلامي، لأنهم يعلمون أن تشويه الصحابة سيؤدي إلى زعزعة الناس بدينهم. لأن الصحابة هم الذي حملوا لواءه ونقلوا نصوصه، ولذلك فإن السكوت على هذا الطعن فيه مخاطر كبيرة يجب أن يتصدى لها علماء الأمة بالتنبيه والرد وقد فعلوا.

وهنا لا بد من بيان أهم ما يجب علينا تجاه الصحابة:

أولاً: محبتهم والعرفان لهم بالجميل، لأنهم هم الذين حملوا الرسالة بكل أمانة حتى وصلت إلينا نقية واضحة.

ثانياً: الدعاء لهم والتضربي عنهم.

⁽¹⁾ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (545).

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (3673)، ومسلم في صحيحه (2540، 2541)، والترمذى في سننه (3861)، وأبو داود في سننه (4658)، وابن ماجة في سننه (161) واللطف للبخاري.

ثالثاً: الاقتداء بهم والسير على نهجهم ومحاولة إعادة بناء جيل كجيشه في الإيمان والورع والتقوى.

رابعاً: الدراسة المتأنية لموافقهم وسيرتهم لتبقى صورتهم نقية كما هي فعلاً لكل البشرية.

خامساً: التأكيد على بشريتهم حتى لا نقدسهم. فهم بشر غير معصومين عن الخطأ، ولكنهم تميزوا بخلقهم وإيمانهم، وأنهم تربوا على يد رسول الله



سادساً: اعتماد الروايات الصحيحة والموثوقة التي تتحدث عن الصحابة، ومحاربة أخبار المؤرخين وغيرهم من المزورين للحقائق. فإذا كان الرسول ﷺ لم يتسلم من أمثال هؤلاء الذين أخذوا ينسبون إليه ما لا يليق به، فما بالك بالصحابة -رضوان الله عليهم-؟!

سابعاً: وهذا واجب على المؤسسات العلمية أن تتبني مشاريع إعداد الدراسات المعاصرة حول الصحابة ودراسة تجاربهم الحياتية في كل المجالات لبناء نظريات إيمانية وفقهية واجتماعية وسياسية من فلسفه حياتهم.